# مختاراتٍ من الأرشيف
# " اليهود تَحت المجْهَر "

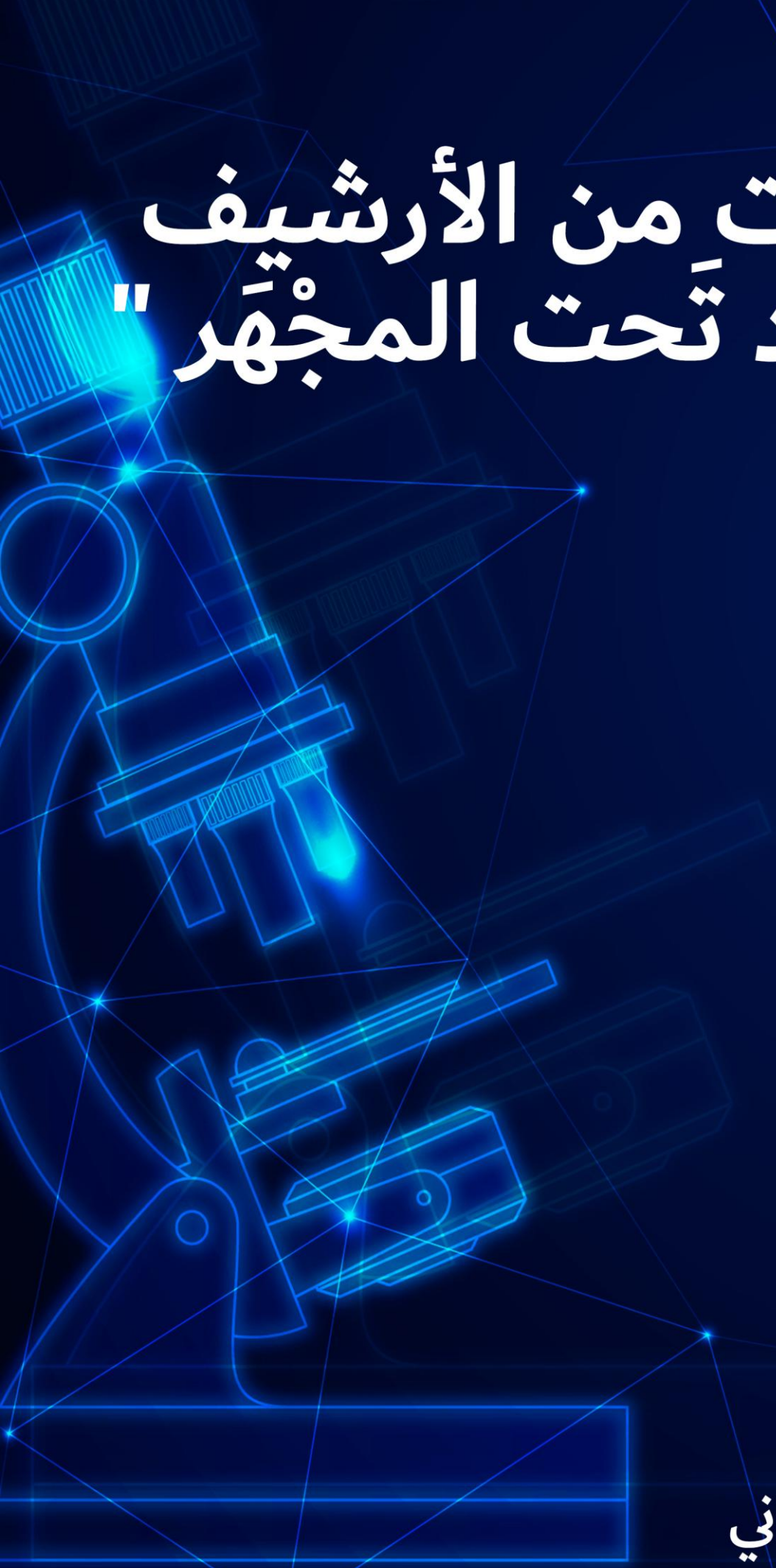

د.حازم صابوني

# مختارات من الأرشيف

## " اليهود تَحت المجْهَر "

**2015**

**المقدَمة**

**- ماركوس سيسيرو (106- 43 قبل الميلاد) سياسي وقانوني وخطيب مُفوّه . في عام 59 قبل الميلاد ، ألقى خطبة أمام هيئة المحلفين وجماهير روما دفاعاً عن موّكله فلاكوس ، المُتهم بمصادرة ذهب تبرّعَ به اليهود إلى هيكلهم في أورشليم (يبوس Jebus) عندما كان حاكماً إقليمياً لآسيا . هاجم سيسيرو في خطبته الطقوس الدينية اليهودية وانتقد يهود روما لنفوذهم السياسي الكبير في الاجتماعات العامة والمجالس الشعبية . خطبة سيسيرو هذه مقتبسة من كتاب " *اليهود بين الإغريق والرومانيين* " للمؤلف ماكس رادين ، 1915 .**

***Jews Among the Greeks and the Romans*, by Radin.M., Philadelphia : Jewish Publ. Society of America, 1915**

**لوبى ما قبل المسيح !**

الأمر الآخر **(الذي سأتحدث عنه)** هو تلك التهمة الخبيثة المُتعلقة بالذهَب اليهودي . ولهذا السبب من دون شكّ رُفعَتْ هذه القضية بالقرب من عتبة أوريليوس **(مسلّة الإمبراطورأوريليوس الشهير في وسط روما)** . وبسبب هذه التهمة ، اخترتَ يا ليليوس **(المدعي العام في القضية)** هذا المكان بالتحديد وذلك الحشد من الناس . فأنت تدركُ تماماً مدى كثرة تلك الشريحة **(اليهودية)** وقوة تكاتفهم مع بعضهم البعض وشدّة نفوذهم في الاجتماعات السياسية .

سأتكلم الآن بصوت مُنخفض بحيث لا يسمعني سوى القُضاة ؛ فهناك وفرة في الرجال ممن يُسعدهم إثارة ذلك الحَشْد ضدَي وضدَ كل مواطن مخلص لبلده . وحسبي أني لن أساعد مثل هؤلاء الأشرار أوأمكّنهم مني بسهولة . والحقيقة هي كما يلي : لقد درجت العادة لممثلين عن اليهود جمع كمية من الذهب كل عام من إيطاليا وجميع الأقاليم **( التابعة للإمبراطورية الرومانية )** بهدف تصديره إلى أورشليم . وكان أن أصدرفلاكوس **(الحاكم الإقليمي لوسيوس فلاكوس)** أمراً قضائياً في إقليمه يَحظر بموجبه تصدير الذهب من آسيا . فهل هناك ، أيها السادة ، من لا يمتدحُ مثل هذا الإجراء ؟ فقد قرّر مجلس الشيوخ في مناسبات عِدة عدم تصدير الذهب .

إن ذلك دليل على إدارة قوية لفلاكوس ومبادرته النشطة ضدّ خرافة أجنبية ، ومؤشّر على إحساس رفيع بالمسؤولية فيما يخصّ الصالح العام ، وجرأة في تحدّي جماهير اليهود العنيفة التي تكتظ بها اجتماعاتنا بشكل متكرر . ليس هناك تهمة بالسرقة . والهدف من وراء هذه التهمة التحريض على

الكراهية ضدّ مُوكلي . فهدف الادعاء العام ليس مخاطبة هيئة المُحلفين ، بل المُستمعين والجَمْهرة التي حولنا .

فالمبادئ الدينية ، ياعزيزي **(المدعي العام)** ليليوس ، هي في الأساس مسائل وطنية . فلدينا مبادؤنا كما للآخرين مبادؤهم . وفي الواقع ، وحتى عندما كانت أورشليم تقف على قدميها واليهود في سلام معنا ، كانت القواسم المشتركة قليلة جداً بين التقاليد الدينية التي تمثلها طقوسهم وشعائرهم ، وتلك التي تليق بأمبراطورية عظيمة كإمبراطوريتنا أو كشعب له سماتنا وكرامتنا .
إن تقاليد أجدادنا تختلف كثيراً عن تقاليدهم . ومع ذلك ، يقع على عاتقنا احترام شعائر الديانة اليهودية رغم أن تلك الأمة قد أثبتت **(باستخدام)** أسلحتها عن مشاعرها تجاه روما ؛ وأظهرت بوضوح عن مدى تمتُعها بالحماية الدينية رغم أنها قد أُخْضعتْ وتشتتتْ واستُعبدتْ .

**هناك وفرة في الرجال ممن يُسعدهم إثارة ذلك الحَشْد ضدي وضد كل مواطن مخلص لبلده**

---

**- <u>الجنرال يوليسيس غرانت</u>** (1822-1885): **قائد عسكري بارز خلال الحرب الأهلية الأمريكية . أنهى الحرب بانتصاره على قوات الجنوب بقيادة الجنرال روبرت لي . أثناء الحرب الأهلية عمل التجار اليهود على تحقيق أرباح طائلة عبر شراء القطن من الولايات الجنوبية وبيعه في الشمال مخترقين خطوط التماس ، وهذا ما أطال أمد الحرب والخسائر البشرية والمادية . فيما يلي بعض رسائل جرانت إلى قياداته العسكرية ووزارة الحرب في واشنطن بهذا الشأن . بعد انتهاء الحرب ، ترشّح الجنرال غرانت في عام 1868 لرئاسة الجمهورية عن الحزب الجمهوري . وقد حاول اللوبي اليهودي جاهداً إسقاطه في الانتخابات ، إلا أنه فاز بالرئاسة 18 للولايات المتحدة لمرتين في الفترة** (1869-1877) .

**Judaic Treasures of the Library of Congress*: "Order No. 11*" (, Ulysses) .**

- 9 تشرين ثاني / نوفمبر 1862

إلى الجنرال ستيفن هيرلبت

" *يرجى رفض جميع الرُخص الممنوحة للوصول إلى جنوب* (**مدينة**) *جاكسون في الوقت الراهن . وبشكل خاص يجب إبعاد الإسرائيليين* (**بني إسرائيل**) " .

التوقيع **:** الجنرال غرانت

- 10 تشرين ثاني / نوفمبر 1862

إلى الجنرال ويبستر ، جاكسون / تينيسي

" *يرجى إعطاء الأوامر إلى كل المفتشين في السكك الحديدية بمنع اليهود من السفر باتجاه الجنوب من أي نقطة كانت . بإمكانهم السفر شمالا بل وتشجيعهم على ذلك ؛ فهمُ مزعجون بشكل لا يُحتمل وعلى المقاطعة التخلّص من تواجدهم* " .

التوقيع **:** الجنرال غرانت

- 17 كانون أول / ديسمبر،1862

من القيادة العامة / مقاطعة تينيسي . إلى معاون وزير الحرب ، واشنطن

" *لدي قناعة راسخة أنه على الرغم من الاحتياطات التي يقوم بها قادة المواقع ، فلا تزال أنظمة وزارة المالية تنتهك في المقام الأول من اليهود وغيرهم من عديمي الأخلاق . وبسبب هذه القناعة الراسخة ، فقد أمرتُ الضباط القادة في* ( **مدينة**) *كولومبوس بعدم منح رخص السفر لليهود للتوجه جنوباً كما أنني قمت مراراً بطردهم من المنطقة إلا أنهم كانوا يعودون ثانية* " .

التوقيع **:** الجنرال غرانت

- 17 كانون أول/ ديسمبر ، 1862

الأمرالعسكري رقم 11 إلى القادة الميدانيين في المواقع .إلى القيادات العامة في مقاطعة تينيسي

"*بناءً على أمر من الجنرال غرانت ، يتم خلال أربع وعشرين ساعة من تلقي هذا الأمر طرد اليهود باعتبارهم شريحة تنتهك جميع أنظمة التجارة المقررة من وزارة المالية وكذلك الأوامر الصادرة عن المقاطعة . وعلى قادة المواقع تزويد جميع أفراد هذه الشريحة بجوازات المرور والطلب إليهم المغادرة . بعد هذا البلاغ ، سيتم إلقاء القبض وسجن كل من يعود* ( **إلى المقاطعة**) ،

*إلى أن تسمح الظروف بإبعادهم كسجناء ، إلاإذا زودوا بإذن من القيادات العامة . لا يمنح هؤلاء الأفراد أي إذن خطي بزيارة القيادات العامة بهدف تقديم طلبات شخصية تتعلق بالتجارة " .*

التوقيع : مساعد القائد ج . ا . رولينز

**American Jewish Archive, Vol.XVII, No.1, 1965,**
**"*Grant and the Jews*" ,Nat. News Co.,1868**

**<u>لوبى ما بعد المسيح !</u>**

**(عام 1868 ، مختصر لمذكّرة مطبوعة ومُعنوَنة إلى الجنرال يوليسيس غرانت)**

<u>حزيران/ يونيو ، 1868 ، نيويورك</u>
جنرال !

*".. كمواطنين أمريكيين ، نرفضُ الآن ترشيحكَ* **(لرئآسة الولايات المتحدة)** *. وكمواطنين أمريكيين يقولون لك إنهم يعتبرونك <u>غير كفؤ</u> للمنصب الأول لهذه الإدارة ، وأنك <u>غير جدير بلقب رئيس للولايات المتحدة</u> . لقد وصمتنا ' كشريحة ' (يهودية) وطردتنا! . وكشريحة ننهض كرجل واحد ونصوّت ضدك ! . نحن كُثُرٌ ؛ نحن ذوي نفوذ ؛ نحن أثرياء ؛ نحن منتشرون في أنحاء القارة* **(الأمريكية)** *ونحن كعائلة واحدة حيثما يمتدّ نفوذنا . فكل يهودي - بغض النظر عن حزبه السياسي - وكل يهودي له حق التصويت سيسعى لهزيمتك . وبمباركة الربّ سنهزمك!....." .*

التوقيع : يهودي (باسم جميع اليهود الأمريكيين)

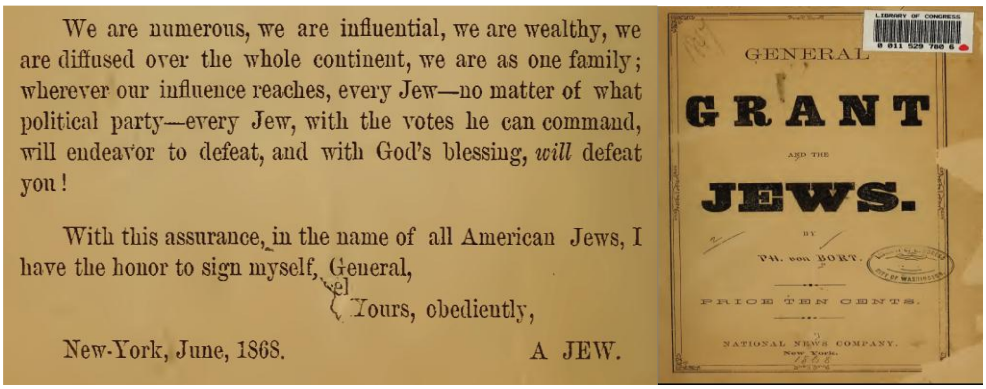
We are numerous, we are influential, we are wealthy, we are diffused over the whole continent, we are as one family; wherever our influence reaches, every Jew—no matter of what political party—every Jew, with the votes he can command, will endeavor to defeat, and with God's blessing, *will* defeat you!

With this assurance, in the name of all American Jews, I have the honor to sign myself, General,

Yours, obediently,

New-York, June, 1868. A JEW.

**نحن كُثُرٌ ؛ نحن ذوي نفوذ ؛ نحن أثرياء ؛ نحن منتشرون في أنحاء القارة الأمريكية ....**

**<u>وندعو لمن اختارته الملايين !</u>**

**ورغم تهديد اللوبي اليهودي للجنرال ومعارضته لترشحه ، أستقبَل غرانت بعد ثلاثة أشهر فقط من توليه منصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (1869) الحاخام حاييم شنيرزون ، القادم من فلسطين ، والذي خاطب الجنرال الأمريكي (النبيل !) بما يلي :**

***The First Rabbi*** **by Sharfman,I.H. ,Malibu: Pangloss Press,1988**

*" السيد الرئيس ، إسمح لي أن أشكر الله القدير ، الذي أوصلتني رحمته إلى هنا <u>لأشاهد وجه من اختارته الملايين من هذا الشعب العظيم</u> ... لقد جئت لفخامتكم من المشرق ... لأتوسل إليكم باسم الله ... الاستماع إلى صلاة خادمكم المتواضع والواقف أمامكم للدفاع عن قضية إخوته المُضطهدين في الأرض المقدسة . فبني إسرائيل في فلسطين ليس لهم حقوق مدنية أو سياسية أياً كانت .... كما أصلي أن يبارك الله هذا البلد الحرّ <u>ورئيسه النبيل</u> في البقعة المقدّسة لأجدادنا المشتركين .*

*السيد الرئيس ، قبل أن أغادر، إسمح لي أن أرفع من صميم قلبي دعواتي الحارة لله القدير.. أن يبارك ويحمي فخامتكم وعائلتكم ... وأن يمنحكم طول العمر ويلهمكم* **(فضيلة)** *الخير والمودّة لجميع البشر " .*

**----------**

**- <u>ديفيد ليفي يولي</u> (1810-1886) سياسي أمريكي ، وأول سيناتور يهودي عن ولاية فلوريدا في الكونغرس (مجلس النواب) قبيل الحرب الأهلية الأمريكية . كان ديفيد يولي إقطاعياً يمتلك أكثر من ألفي هكتار من الأراضي ، خصصها لزراعة قصب السكر والقطن ، واستخدم ثمانين عبداً إفريقياً للعمل فيها . لقّب في فلوريدا ب' آكل النار ' بسبب دعمه اللامحدود لحق امتلاك العبيد وقناعاته بأن**

**السود هم عرق وضيع . ساهم بحكم منصبه السياسي في انفصال فلوريدا عن الاتحاد الأمريكي والانضمام إلى كونفيدرالية الولايات الجنوبية وفي التحريض على الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865) . بعد انتصار الاتحاد الأمريكي (الشمال) على الكونفيدرالية (الجنوب) أودع يولي السجن في عام 1865 بتهمة التآمر والخيانة ، ثمّ حصل على عفو من رئيس الولايات المتحدة أندرو جونسن بعد وساطة من الجنرال يوليسيس غرانت . المقتطفات التالية نبذة مختصرة عن عشرات الوثائق المرتبطة بدور يولي التآمري على وحدة التراب الأمريكي .**

**"HARPER'S WEEKLY" at Fortress Monroe,Saturday, May 3,1862**
**Sites of Dr. Bronson's History ,retrieved 10/02/2014**

**<u>الدعوة للإنفصال</u>**

كتبتْ مجلة هاربرز ويكلي الأمريكية بتاريخ 3 أيار/ مايو ، 1862 :

" نرفق هنا صورة أصلية لرسالة غريبة أرسلها السيناتور يولي إلى جوزيف فينيغان من فلوريدا **(وهو جنرال إنفصالي في الحرب الأهليةالأمريكية)** . اكتشف هذه الرسالة ، التي تكشف الأهداف المُخادعة للخونة الذين أغرقوا البلد في الحرب الحالية ، مراسل النيويورك تايمز في فرناندينا / فلوريدا بعد احتلال هذه البلدة من قبل الجيش الاتحادي Union . وتتضمن رسالة السيناتور القرارات التالية :

*القرار* 1 . *<u>نرى أن على جميع الولايات الجنوبية ، وبالسرعة الممكنة ، الانفصال عن الاتحاد</u>*
<u>Union</u>

*القرار* 2 . *يتوجب اتخاذ إجراءات لعقد اجتماع ينظّم تحالفاً* Confederacy *بين الولايات* **(الجنوبية)** *المنفصلة ، على أن يعقد قبل* الخامس عشر من شهر *شباط / فبراير ، في مدينة مونتغومري بولاية ألاباما.*

*ونظراً للتشريعات العدائية التي تُهدّد الولايات المنفصلة ، والتي يمكن أن تكتمل قبيل الرابع من شهر آذار/مارس* **(القادم)** *، فإننا نطلب تعليمات حول إمكانية بقاء الوفود* **(للولايات المنفصلة)** *في الكونغرس حتى ذلك التاريخ بهدف تعطيل تنفيذ تلك التشريعات .. ' .*

إن رسالة السيد يولي ، السيناتور السابق لولاية فلوريدا ، هي الوثيقة الأكثر أهمية في التاريخ السري للحرب **(الأهلية الأمريكية)** . وهي تؤسس لجريمة تآمرية مُحكمَة أدت إلى العصيان المسلح

. رسالة شائنة بكل معنى الكلمة ، ذلك أن كاتبها كان ، لحظة كتابتها ، مُوظفاً مُحلّفاً **(سيناتور)** ويتقاضى راتباً حكومياً ويتآمر عليها في الوقت ذاته " . *

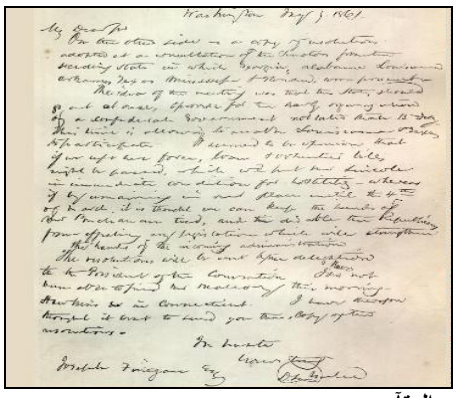

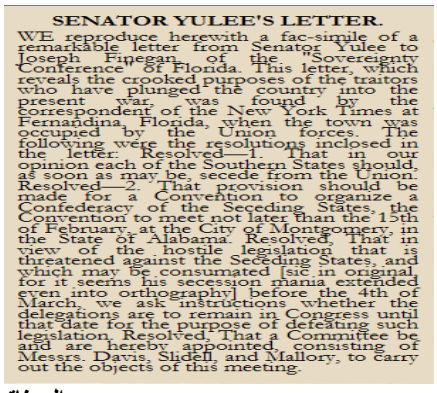

SENATOR YULEE'S LETTER.

WE reproduce herewith a fac-simile of a remarkable letter from Senator Yulee to Joseph Finegan, of the "Sovereignty Conference" of Florida. This letter, which reveals the crooked purposes of the traitors who have plunged the country into the present war, was found by the correspondent of the New York Times at Fernandina, Florida, when the town was occupied by the Union forces. The following were the resolutions inclosed in the letter: Resolved—1. That in our opinion each of the Southern States should, as soon as may be, secede from the Union. Resolved—2. That provision should be made for a Convention to organize a Confederacy of the Seceding States, the Convention to meet not later than the 15th of February, at the City of Montgomery, in the State of Alabama. Resolved, That in view of the hostile legislation that is threatened against the Seceding States, and which may be consumated [sic in original, for it seems his secession mania extended even into orthography] before the 4th of March, we ask instructions whether the delegations are to remain in Congress until that date for the purpose of defeating such legislation. Resolved, That a Committee be and are hereby appointed, consisting of Messrs. Davis, Slidell, and Mallory, to carry out the objects of this meeting.

**السيناتور المتآمر**

## رسائل التآمر

- 2 كانون الثاني/ يناير ، 1861 / الكونغرس

إلى وزير الحرب

*" سيدي ، بكل احترام نطلب إليكم إعلامنا عن عدد القوات المتواجدة الآن في الحاميات المختلفة بولاية فلوريدا ، ومخزون الأسلحة الثقيلة والخفيفة والذخائر الثابتة والطليقة في معسكرات تلك الولاية .*

*مع الاحترام* " .

التوقيع : ديفيد ليفي يولي - ستيفن راسل مالوري

- 5 كانون الثاني/ يناير ، 1861

إلى جوزيف فينيغان المحترم ، تالاهاسي- فلوريدا

*" سيدي العزيز ، إن أهم ما يتوجب فعله حالاً هو احتلال المواقع العسكرية ومستودعات الأسلحة في فلوريدا . والأولوية هي للقاعدة البحرية والمواقع العسكرية في* **(مدينة)** *بينساكولا .. وأعتقد أنه في الرابع من آذار/ مارس ستنفصل الولايات الجنوبية ، ماعدا كينتاكي وميسوري على الأرجح .. ومن المستحسن تنظيم الكونفيدرالية الجنوبية والجيش الجنوبي بأسرع وقت ممكن . فالشماليون يعزّزون قواهم بسرعة ضدنا . إن التنظيم الفوري لحكومة قوية من ثماني ولايات ، وجيش قوي يكون قائده الأعلى جيفرسون ديفيس سيعيد الشماليين إلى صوابهم عن مدى خطورة الأزمة .... سأصوّب على*

*الأعداء طلقة قبل تقاعدي* **(من الكونغرس)** *في الأسبوع القادم . وأقول أعداء ! نعم ، فأنا لهم وهم لي . فأنا أرغب أن أكون سيدهم وليس أخاهم . "*

التوقيع **:** المخلص ديفيد ليفي يولي

**الاعتقال**

**-** 20 أيار/مايو ، 1865 ، مراكز قيادة مقاطعة الجنوب ، هيلتون هيد

إلى العميد ي. فوجز ، آمر منطقة فلوريدا

**"** *بتوجيه من اللواء وأوامره يطلب إليكم اعتقال ديفيد ل. يولي ، من فلوريدا واحتجازه في* **(مدينة)** *جاكسونفيل*"

التوقيع **:** النقيب غارث جيمس .

**-** 27 أيار/مايو ، 1865 ، جاكسونفيل ، مراكز قيادة منطقة فلوريدا

إلى الرائد دبليو. ل. م. بورغر

**"** *يشرفني إبلاغكم إنه وفقاً لتعليمات مراكز القيادة ، تمّ اعتقال السيد يولي واقتياده إلى جاكسونفيل . وهو الآن قيد الاحتجاز تبعاً لتعليماتكم ..."*

التوقيع : العميد ي. فوجز

**-** 24 حزيران/يونيو ، 1865

فخامة رئيس الولايات المتحدة أندرو جونسون ،

*" مستفيداً من الموافقة المُتضمنة في إعلان 29 أيار/مايو ، 1865 ، أقدّم بكل احترام طلب العفو الخاص هذا . لقد وجدتُ نفسي سجيناً في معسكر بولاسكي بأمر من وزارة الحرب . فأنا لم أكن مرتبطاً بعمل عسكري أو مدني في الحكومة الكونفيدرالية . ولم يكن توقيفي ، بالطبع ، ناجماً عن أي سبب نشأ عن الأحداث لذلك النزاع المشؤوم . ولهذا أفترض أن سبب سجني يعود إلى ترك مقعدي في الكونغرس ، عندما انفصَلتْ ولاية فلوريدا* **(عن الاتحاد)** *. وإذا ما كان هذا الافتراض صحيحاً ، فأرجو الأخذ بعين الاعتبار أنه لم يكن باستطاعتي التصرف بشكل مُشرّف آخر ... . وبصدق ، يمكنني القول أنني لم أترك مقعدي في كونغرس الولايات المتحدة لمساعدة الثورة ... كما أنني لم أنصح أو أحرضّ على انفصال الولاية* **(فلوريدا)** *... وأرى .. إن الوحدة الأمريكية يجب أن ينظر إليها الآن كمبدأ أساسي لحكومة الولايات المتحدة ، وبالتالي حجر الزاوية في السياسة ...*

*وأياً كانت الأفعال التي قمتُ بها والتي يمكن أن تعتبروها انتهاكاً لدستور وقوانين الولايات المتحدة ، فإنني أطلب من فخامتكم ، كممثّل للإرادة القومية ، العفو الشامل " .*

التوقيع **:** ديفيد ليفي يولي **/** معسكر بولاسكي .

*** تعقيب المترجم :**

**بالرغم من تآمره على وحدة أراضي الولايات المتحدة وموقفه اللاإنساني من الأفارقة وعبوديتهم ، تسعى المنظمات اليهودية حالياً إلى تحريف التاريخ والسعي لتغيير صورة ديفيد ليفي يولي المشوّهة أمام الرأي العام الأمريكي عامة والأمريكيين-الأفارقة على وجه الخصوص . ففي أطروحة الدكتوراة الصادرة مؤخراً لموريس وايزمان من جامعة فلوريدا (2011) ، حاول المؤلف إقناع القارئ الأمريكي بأن تصرفات السيناتور يولي تنبع من كونه أقرب إلى المسيحية منه إلى اليهودية . فهو يقول :**

***" من سخرية* (الأقدار) *... أن يولي كان منخرطاً في المجتمع المسيحي وتزوج من امرأة مسيحية وكان يحضر أحياناً إلى الكنيسة ويتقيّد بتعاليم الديانة المسيحية ، ومع ذلك ، يعتبره غالبية الناس يهودياً بسبب عائلته وأسلافه " .***

**ومن جهة أخرى ، تعمل الجالية اليهودية حالياً على إشادة نصب برونزي للسيناتور يولي في محطة قطارات شاطئ فرناندينا / فلوريدا ( وهي البلدة التي اكتشفت فيها رسائله التآمرية في عام 1862) باعتباره ' الأب الفعلي للسكك الحديدية في فلوريدا '، الأمر الذي سيمحي الصورة القاتمة لهذا السيناتور بين الأجيال القادمة من الأمريكيين .**

---

**- مارغريت توماس ( 1842- 1929): رسامة وشاعرة وكاتبة بريطانية / أسترالية . تنقّلت في أواخر التسعينات من القرن التاسع عشر في الشرق الأوسط مع زميلة لها ، ورصدت رحلتها في المنطقة كتابة ورسوماً . يروي كتابها " *سنتان في فلسطين وسورية* " ، 1900 ، انطباعاتها ومشاهداتها في بلاد الشام والأرض المقدسة من وجهة نظر فنية ونسوية . وفي الفصل الخامس من هذا الكتاب ، ترسم توماس مشاهد ولقطات لليهود في القدس في تلك الحقبة ، موجّهة عناية خاصة لعاداتهم وتقاليدهم الدينية والدنيوية .**

***THE CONQUEST OF A CONTINENT OR THE EXPANSION OF RACES IN AMERICA***

***Two Years in Palestine & Syria*** **by Thomas, M., London: Nimmo,1900**

قبل عشر سنوات مضت كان عدد السكان اليهود في القدس يناهز 10000 ، واليوم يتجاوز عددهم 47000 نسمة تبعاً لآخر تقديرات رسمية ، وهم يتزايدون بشكل يومي . ووفقاً لهذه الأرقام ، فإن الضريبة التي فرضتها الحكومة التركية على اليهود الواصلين إلى فلسطين ، تبدو ضعيفة الأثر في الحدّ من تدفقهم بسبب المساعدات الخيرية الأوروبية .

واليهودي في القدس لا يمثّل بمجمله ما يبدو عليه في إنجلترا . ففي وطنه يغلب أن يكون أشقر الشعر ، ذا بشرة وردية غريبة وأنف صغير وأكتاف ضيقة مُحدودبة . هو طويل القامة ونحيل وذومظهر ناعم . يلبس ثوباً طويلاً مطوّقاً عند خاصرته فوقه معطف أو رداء من الغبردين - في أكثر مظهر مُبهرَج يمكن تخيله ، منافساً في تألقه الزهور الزاهية أو ريش أكثر الطيور إشراقاً . معاطف اليهود مصنوعة من المخمل أو ما شابهه ، ذات ألوان خضراء زمردية أو أرجوانية متألقة أو زهرية أو صفراء مشعّة ، إلا أن اللون القرمزي الداكن هو الأكثر شيوعاً . وفوق القلنسوة (**العُرقية**) الصغيرة البيضاء المحبوكة ، والتي يضعها الصغار والكبار على حدّ سواء ، يعتمرون قبعة دائرية مسطّحة من المخمل المزركش بالفراء ، والتي تبدو من تحتها أحياناً أطراف القلنسوة البيضاء بشكل غير لائق .

وحتى في أيام السبت الحارّة ، يظل اليهودي معتمراً قبعة الفراء غير المناسبة . أما اليهود الأكثر تزمتاً فيتركون زوجاً طويلاً من ضفائر الشعر تتدلى على جانبي وجوههم . وترتدي نساؤهم أزياء أوروبية قدر المستطاع ، إلا أنه يمكن دوماً تمييزهن بسبب تعلقهن الثابت بالألوان الفاقعة القبيحة المُفتقرة إلى الذوق ، و كمية الحُليّ التي يتقلدنها . وأثناء الزيارات الخارجية ، يُغطين رؤوسهن بشال ، أو يتلفّحن ، على غرار النساء التركيات ، بعباءات بيضاء تخفي ما دونها ولكن من دون أن تحجبَ وجوههن .

**أشكينازيو أوروبا الشرقية**

**<u>فنّ الرسم</u>**

بسبب توقي إلى الاحتفاظ بصورة تُجسّد أنموذجاً لصبية يهودية ، طلبتُ من مديرة مدرسة البنات اليهوديات السماح لي برسم إحدى تلميذاتها . استعرّتُ بضع خرزات صفراوات من عقد كان على رقبة مُدرّسة مسيحية ، و منديل أبيض من تلميذة أخرى ، ووضعتهما أمام حنجرة الطفلة التي اخترتها لأقيّم منظورها الفني . و تمّ الاتفاق على أن أبدأ رسمَ التلميذة في الغد .

عندما وصلتُ إلى المدرسة في اليوم التالي ، وجدتُ أن إحدى التلميذات ، ولربما بسبب غيرتها من اختياري زميلتها لهذه المهمة ، كانت قد أخبرت الحاخامات بأنني ألبستُ الطفلة كالمسيح ، وأنني في صدد عبادتها .

لقد اخبرَ الحاخامات أمّ التلميذة بأن مجرد رسمها سيحوّل الطفلة إلى مسيحية - بسبب جهلهم أطلقوا على العمل إسم تصوير فوتوغرافي - ، وأنها إذا سمحتْ برسم ابنتها فسيطردونها من منزلها وسيحرقونه بعد ذلك .

حضرت أمّ التلميذة إلى المدرسة على أكثر من عُجالة ، بعد أن أشبعت الفتاة ضرباً ، وقالت :

" إنها لن تسمح برسم ابنتها ولو بمئة جنيه " مهددّة بسحب ابنتها من المَدرسة . "

بقيت الأم تراقبني بدقة إلى أن غادرتُ المدرسة . لقد غادرتُ على عجل خوفاً من تعرّض المُدرّسة اللطيفة للمساءلة . إلى هذه الدرجة تصل العوائق أمام الرسم الفني في القدس في هذه الأيام .

**التقمّص**

في أحد الأيام ، كان لي حديث مُطوّل مع يهودي حول آرائه الدينية ، وهو موضوع لا يُعرَفُ عنه إلا القليل . وسأعرض الآن نتيجة ما أراه جديراً بالاهتمام .

قال لي إن اليهود يؤمنون بالتقمّص . فهم يضعون أقدام الميّت باتجاه الباب ، كما يُوضع كأس من الماء ومنشفة وشمعتان بالقرب من جثمانه ، ذلك لأن روحه ستعود لتغتسل ثمّ تنشّف نفسها . تبقى روح كل يهودي في جَهنّم لمدة أحد عشر شهراً - ولآلاف السنين إذا كان مثقلاً بالخطايا ؛ وعن طريق الصلاة يمكن مساعدته على الانتقال إلى الجنة . ويبقى الحافز الأكبر أمام رغبة اليهود في الحصول على ابن ذكر هو أن صلواته تنقلهُم أسرع إلى الجنة من صلوات بناتهم - يُطلّق الكثيرون زوجاتهم الواحدة تلو الأخرى إلى أن يحصلوا على ولد. فعندما ماتت زوجة السيرْ موزيس مونتيفيوري ، مَنحَ جميع كُنُس إنجلترا 20 جنيهاً آملاً أن يصلي الحاخامات عليها ، كما منحَ مبالغ أكبر إلى الكنُس التي في القدس .

والشائع لدى اليهود في روسيا وألمانيا وبولندا وغيرها ، تعليق حَصّالات من القصدير على جدران منازلهم ، مُسطّرعليها "*لأجل أورشليم*" . توضع الأموال في هذه الحصالات لبعض المناسبات ، مثل الشفاء من مرض ما أو بسبب الحصول على مدخول جيد . ويقوم الحاخامات بجمع حصيلتها كل شهرين أو ثلاثة ومن ثمّ ترسل إلى أورشليم لتوزّع من قبل الحاخامات هناك على الأغنياء والفقراء على حدّ سواء وذلك حتى لا يخجل الفقراء من قبولها . وقد أصبح بعض اليهود أغنياء من الرَيع المُرسَل من خلال مشاركتهم في التوزيع والحصول على صدقات ، وعبر إقامتهم للصلوات بدلاً من أولئك غير القادرين على زيارة الأرض المقدسة بأنفسهم .

يقضي معظم الشبان الموهوبين من اليهود حياتهم في دراسة التلمود . أما الأقل موهبة منهم فيتعلمون ممارسة التجارة . ويسعى أغنياء اليهود إلى اصطياد الموهوبين كأزواج لبناتهم ويقومون على رعايتهم وزوجاتهم واولادهم ؛ في حين يَمضي البعض الآخر متنقلاً من عائلة لأخرى ، إذ يفترضُ هؤلاء أنهم سيذهبون أسرع من غيرهم إلى الجنة. وتمتلك النساء أرواحاً ، إلا أنها أدنى منزلة من تلك التي يمتلكها الرجال - ومن الواضح أن الفارق بين المنزلتين ضئيل

**الدفن**

عندما كنتُ في القدس العام الفائت ، توُفيتْ يهودية في مستشفى **(مسيحي)** تعود ملكيته إلى جمعية يهود لندن . وقد حظيتْ السيدة في المستشفى بالاستقبال الودي والرعاية اللازمة بعدما امتنع إخوتها في الدين عن مساعدتها . ولأنها توفيت في موضع مسيحي ، رفض اليهود دفنها **( في مقابرهم)** . لجأ الإنجليز إلى قنصلهم لمعرفة كيف يتصرفون في هذه الحالة . وبدوره لجأ القنصل إلى حاكم القدس التركي ، الذي أجابه بأن الأتراك سيقومون بواجب الدفن إذا لم يقم به اليهود . وتبعاً لذلك ، أرسل الحاكم عدداً من العساكرفي صحبة نقّالة وأربعة رجال حملوا جثمان المتوفاة إلى قطعة أرض قاحلة تخصّ الإنجليز في الطريق المؤدي إلى أريحا ، وتمّ دفنها هناك . إلا أن اليهود تجمعوا بالآلاف وقذفوا العساكر بالحجارة ، الذين ردّوا بضربهم بالسياط . كان ذلك مشهداً حياً من المكان الذي كنا نقف فيه . وفي هذه المعمعة جُرح الكثير من الأشخاص لأن الحجارة سهلة المنال في القدس . ولقد تأكد في وقت لاحق بأن اليهود حاولوا سرقة الجثمان من مدفنها ليلاً " لرميها " **(أي عدم دفنها)** في وادي " يهوشافاط Jehoshaphat " حيث يمكن أن تنهش جسدها الكلاب .

إثر هذه الحادثة ، سَجنتْ الحكومة التركية الكثير من اليهود ، الذين أفرج عنهم عبر رشاوى وصلت إلى 150 جنيهاً .

**وادي يهوشافاط**

## عين الحسود

ينتمي اليهود إلى أربع طوائف : 1- السفارديم أو الإسبان ، ولربما هم الأفضل ؛ 2- الأشكيناز ، الألمان والروس وعامة يهود شمال أوروبا ؛ 3- اليمنيون ، القادمون من أعماق الجزيرة العربية ، وعُرفوا في القدس في السنوات التسع الماضية ؛ 4- القرّاؤون ، ويمكن تسميتهم باليهود البروتستانت . الطوائف الثلاث الأولى يُعتبرون من اليهود الأرثوذوكس ويؤمنون بالتوراة والتلمود ، أما القرّاؤون فيؤمنون بالتوراة فقط .

المغاربة أو اليهود الأفارقة هم كُتْرٌ أيضاً . ويؤمن اليهود العَصريون والحَداثيون بمعتقدات خُرافية إلى حدّ كبير . وخرافاتهم صبيانية ومدعاة للفضول ؛ فهم يُعلقون ، على سبيل المثال ، تعويذة فوق سرير المريضة لحمايتها من خداع ليليث Lilith ، زوجة آدم الأولى ( **خلق الله ليليث قبل حواء وفق رأي بعض الحاخامات !!**) . كما يرسمون " كفّ الجَبروت " الأزرق ، فوق أبواب ونوافذ بيوتهم ، لحمايتهم من العين الشريرة رغم أن الكفّ تُرسَم بشكل رديء لا يشي بالمعنى . وتراهم يعلّقون على رقاب الحمير أطواقاً من الخرز الأزرق ؛ وللهدف ذاته ، تتدلى الخرزات الزرق من شعر أطفالهم . يتشارك اليهود أيضاً في العديد من هذه الخرافات مع العرب . أما الموت فيبعث في نفوسهم رهبة شديدة .

**التميمة الزرقاء**

يتزوج اليهود في سن مبكّرة . ولعل من بين الغرائب التي رأيتها في القدس رجلاً يمنياً ، في السادسة عشر من عمره ، متزوج من إمرأتين ، وكذلك جَدّة في سن يناهز الخامسة والعشرين . ورغم أن شريعتهم تسْمح بذلك ، فمن النادر أن يتزوجوا أكثر من زوجة واحدة .

إن توقَ اليهود لإنجاب ذرية من الذكور أمر معروف ؛ ويعتقد كل يهودي أنه الوالد المُحتمل للمسيح . وأحد الأدعية التي يتلونها في صلواتهم الصباحية تقول : " *أشكر الربّ الذي لم يخلقني امرأة* " وهو دعاء يعود إلى حقبة زمنية بعيدة .

عرفتُ يهودياً أنجبت له زوجته ابنتين ، الواحدة تلو الأخرى . فأعلمها انه سيطلقها إذا أنجبت المزيد من البنات . ومع مرور الزمن ولدت المسكينة توأم بنات . وكان أن دخل الرجل إلى غرفتها وقام بإيذائها بشكل عنيف ، الأمر الذي أدى إلى وفاتها .

الفقر والبؤس اللذان يعاني منهما يهود القدس كبير ومفجع . ففي بلد محروم تقريباً من التجارة والزراعة والصناعة ، تتفشى فيه ، بالضرورة ، البطالة وقلة فرص العمل للعديد من الأشخاص وتتركهم مفلسين وعاجزين في أرجائه . والمساعدات التي يقدمها يهود أوروبا بمجملها غير مناسبة لإعالتهم . فالأعياد المتكررة التي تفرضها ديانتهم ، والتي يتقيدون بها بشكل صارم ، تجعل

مداخيلهم أدنى من تلك التي يحصل عليها المسيحيون . ومع أن المسيحيين يبذلون قصارى جهدهم لمساعدتهم ، إلا أن الجهود القليلة هذه تُبطلها إلى حد ما حقيقة أن الأتراك لا يستخدمون يهودياً عمل ذات مرة لدى المسيحيين . وخلال عيد " المَسْكَن = ميشكان ,Tabernacles " والذي يستمر ثمانية أيام متتالية ، تراهم يسيرون كُسالى ؛ كثيرٌ منهم جوعى والأكثر يعانون من فاقة رهيبة .

## عيد الفصح

أثناء وجودي في القدس ، اغتنمتُ فرصة لمشاهدة احتفال عيد الفصح في بيت يهودي من السفارديم . تحلّقت الأسرة بكاملها ، بما في ذلك النساء والأطفال والخدم وهم في ثياب السبت ، حول طاولة في غرفة مزدانة بعناية . وعلى الطاولة وُضع الخبز والنبيذ والخسّ والأعشاب المُنكّهة ، إضافة إلى عَظْمْ اللحم المغطى بعناية بقماش مطرّز . بدأ الذكور يغنون أنشودة غير شجية ، يترنحون خلال ذلك إلى الأمام والخلف كما هي عادتهم ، وصولاً إلى ترديد وصية مزامير داوود " *جميع عظامي تُمجّد اسمك* " . بعد ذلك قطعَ رب الأسرة شرائح من قطعة خبز على شكل هلال ، مُشبّهاً كلا القطعتين بضفتي البحر الأحمر . ثم دمَج القطعتين مرة أخرى كرمزلإطباق أمواج البحر على جيش فرعون . بعد ذلك وضع نصف قطعة الخبز في منديل ربطه على كتف أكبر أبنائه . وقد بقيت قطعة الخبز في ذلك الوضع حتى الانتهاء من مراسم الاحتفال . شرب الجميع النبيذ وغنوا ثانية وأكل كل واحد قطعة خس ومربى ، ثم عاد الغناء من جديد . قطّع الأب الخبز إلى قطع صغيرة واضعاً فوقها المربى ومغلفاً القطع بالخس والأعشاب قبل أن يوزعها على الجميع لتناولها . وفسّرت رمزية ذلك باستعادة ذكرى النوائب والأوبئة العشرة التي حلّت بمصر . بعد ذلك أكلوا البيض كدليل على فجيعة خراب الهيكل . وأثناء القيام بهذه المراسم الاحتفالية ، قُدّمَ للمدعوين ، الجالسين على أرائك موزعة في نهاية الغرفة ، القهوة والأرجيلة .

**رمزية إطباق أمواج البحر على جيش فرعون**

## الكنيس

يعتبر كنيس اليهود السفارديم آية في القذارة وقلة الذوق ، بأعمدته الخشبية المصبوغة لتحاكي المرمر . مدخل الكنيس عبارة عن ممر نقشت عليه كلمة " شدّاي = الله القدير Shaddai " ويسمونها " المتسوساه M'zuza " يلمسها كل يهودي بإصبعه عند ولوجه إلى الكنيس .

القبة الكبيرة لكنيس اليهود الأشكيناز مَعْلم جلي يمكن مشاهدته من جميع اتجاهات القدس . ولقد زرنا أولى هذه الكُنُس أثناء أحد أهم المهرجانات ، عشية اليوم الأخير من عيد " المَسْكَن ". قبل بضعة أيام من الزيارة ، قام اليهود بالبصق علينا في ذلك المكان ، أما الآن ، ومن خلال نفوذ أحد المعارف اليهود فقد سُمحَ لنا بالدخول إلى منصة في المركز . وكان على اليهوديات أن ينظرن من خلال شبك مغلق ، تماماً كما تفعل السيدات (**لدينا**) في مجلس العموم (**البريطاني**) .

بعد تلاوة لبعض الوقت بصوت مرتعش حاد عالي النبرة وغير مألوف لدى الشرقيين ، تناول الكهنة ثماني لفائف توراتية من الخَزْنة المقدسة . هذه اللفائف الثقيلة ، المصنوعة من الرّق ، كانت محفوظة في حاويات خشبية تبرز منها النهايات المستديرة للفائف . وتحمل تلك النهايات مَشغولات من الفضة ترتبط بها أجراس . إن وضع وترتيب اللفائف ، والذي يعتبر عملاً مشرّفاً لمن يقوم به ، يسمى بالعبرية " تتويج التوراة crowning the Law ".

توضع باقات الورد على كل لفافة ؛ ويترافق ذلك مع تجوال صبية ، يحملون الشموع ، في أرجاء الكنيس عدة مرات ، يصاحبها رقص وتصفيق للرجال الحاضرين . وتحمل الكثير من شالات الصلاة اليهودية (**الطاليثات** taliths) ، التي يتوشح بها المُصلون ، تطريزات مُفضّضة بشكل كبير .

**الطاليث والمتسوساه**

يتمُ الدخول إلى كنيس " القَرّائيين Karaites" عبر ممرّ يشبه ممرّ السكن الخاص . ويقع الكنيسْ في منطقة متّسخة من القدس مخصصة لليهود ، فيها حارات ضيقة معتمة تتلوها حارات معتمة أخرى ، تنحدر كما لوأنها تغوص في الأرض أو تصعد أحياناً عبر درجات رديئة أوتنساب تحت أقواس منخفضة ملتوية على نحو مستمر .

ويُقال إن اسم " القرّائيين " يعني " أبناء العلماء " . وهم لا يسمون أنفسهم يهوداً ويؤمنون فقط بالتوراة أو شريعة موسى . يقع كنيسهم المتناهي الصغر تحت الأرض ، خصص للنساء فيه رواق شبكي أخضر صغير يشبه قفص العصفور . وفي أسفل الكنيس ، هناك كهوف استخدمت للعبادة من قبل هذه الطائفة على مدى ألف ومئتي عام . أما المبنى الحالي فعمره ستمئة عام . وقد أطلعنا أحد حاخاماتهم على الكتاب المقدس الخاص بهم . حيث كتبت حول كل صفحة من صفحات اللفافة بأحرف دقيقة للغاية " المشناه Mishna " أو التفسير ، والتي كانت تبدو على شكل زخارف الأرابيسك الناعمة .

تحمل شالات صلاتهم ( **الطاليثات**) عبارات " *اسمعوا يا بني إسرائيل* " وغيرها ، ومقاطع عن المسيح الموعود كما في الفصل التاسع من كتاب إشعياء .وتبدأ صلواتهم في الواحدة صباحاً وتستمر حتى الخامسة . يتكلم القراؤون باللغة الإسبانية ، وتعيش ثلاث عشرة إلى أربع عشرة عائلة ، تشكل جميع طائفة القرّائيين في القدس ، في بيوت تحيط بالكنيس . وعلى مستوى العالم ، فهناك حوالي نصف مليون شخص منهم .

لقد قيل لنا بأنهم أصبحوا طائفة مستقلة قبل ألفي عام عندما كانوا في بابل . وسُمح لهم بتلفظ اسم الجلالة ، رغم أنهم يفضلون تسميته " آدوناي Adonai / أحد أسماء الرب عند اليهود."

عندما زرنا حاخامهم ، استضافنا في غرفة كبيرة ونظيفة امتلأت بالمقاعد من ثلاث جهات . وهناك رأينا سيدات العائلة وأربعة أجيال من الذكور . وأثناء الزيارة ، أديرت علينا صينية تحمل جرّتين من المربى وكأساً من الماء وملعقة لكل ضيف . كان علينا أن نتناول ملعقة من المربى و نشرب بعدها قليلاً من الماء ، ثمّ نضع الملعقة في داخل الكأس عند الانتهاء . الحاخام الكهل ، الذي قَدم من القاهرة واسمه موزيس بن أبراهام ، وافق على الجلوس لكي أرسمه ، الأمر الذي ساعدني على جعل كتابي مزوداً بالصور . وقال معلقاً على سبب موافقته : " *حتى يمكن للأجيال القادمة معرفة ماذا كان يرتدي*". ويقال إن اليهود ممن عاشوا لعدة أجيال في أوروبا و فقدوا جزئياً سماتهم الشرقية ، يستعيدونها بعد عودتهم إلى أرضهم الأصلية خلال جيل أو جيلين .

---

**- مارمادوك بيكثال** (1875 - 1936) : **روائي وصحافي بريطاني ، اعتنق الإسلام (وحوّل اسمه إلى محمد بيكثال) . من أبرز أعماله ترجمة القرآن الكريم إلى الإنجليزية . يروي في كتابه " *لقاءات مشرقية، فلسطين وسوريا 6-1894* " ، الصادرفي عام** 1918 **، قصة طريفة عن البصطرما اليهودية .**

***Oriental Encounters: Palestine and Syria*, 1894-6 by Pickthal,M. , London : Heinemann,W, 1918**

**البصطرما المُقدّسة**

بدأ القمر بالتألق فوق غوطة دمشق ، ملقياً عليها ظلالاً شاحبة ، رغم أن ضوء النهار لم يكن قد اختفى تماماً ، والسماء خلف الأشجار من جهة الغرب لم تزل بعدُ خضراء اللون . كنا جالسين على مقاعد منخفضة تحت شجرة جوز ، إلى جانب جدول ذي خرير ممتع . كان الجو محمّلاً بعبق ورود غير مرئية . وخلفنا ، هناك نُزُل صغير يضيء مدخله المقوّس فانوس كعين صفراء

وحيدة وسط الشفق . وكنا كالعادة محور اللقاء إذا كان سليمان بصحبتنا . فصوتهُ يجذب الناس كما يفعل الطبل تماماً ، والمواضيع التي يتكلم بها كانت تشدهم . صوته النافذ بطبقاته المتغيرة عن عمْد ، تَعدُ بالحكمة وإن بنكهة مازحة ساخرة . كان يختار مواضيع أخلاقية أو دينية لأحاديثه ويزينها ، بما نسميها ، النوادر المختارة من خبرات حياته الواسعة .

ووفقاً لرواياته ، فهو قد سافر إلى حافة العالم ، ولم يتواصل مع الرجال فقط ولكن مع الجنّ والغيلان . ومن ناحية أخرى ، فقد زار أوروبا عدة مرات ، وعرف شوارع باريس ولندن .

وبشكل أو بآخر ، لم يكن أحد يشكك أبداً في قصصه عندما يرويها ، فلهجة صوته مقنعة . كان المرء يحسّ بشكل غريزي غريب بأن رواياته ، وحتى الأكثر غلواً منها ، حقيقية . في هذه المرة اختارأن يتحدث إلينا عن الذنب والبراءة ، وأعمال الخير والشر وأثرها في الخلاص من الخطيئة . طرَحَ نظرية أثارت همهمات الموافقة لدى جمهرة المستمعين . ومفاد نظريته أن وجود نية حسنة هي الرغبة الرئيسية لكل ابن آدم خلال رحلته في الحياة مهما أدت أعماله إلى نتائج سيئة أو فاشلة . و بيّن أن " الخطيئة المرتكبة من دون تفكير لا وزن لها إذا ما قورنت بتلك التي خطط لها ونفذتَ " .

تابع سليمان حديثه : "*لديّ هنا قصة نادرة ، ستشرح لكم ما أعنيه* " :

عُيّنَ قاض جديد للمدينة المقدّسة **(القدس)** . وكان في صدد مغادرة اسطنبول بالباخرة لتولي مهام منصبه الجديد . وعلى رصيف الميناء ، تقدّم أحد معارفه اليهود بكل احترام ، راجياً منه أن يُوصل سلة من البصطرما إلى ابنه الذي يعيش هناك ، والتي يسميها اليهود بلغتهم 'أورشليم' . وأنتم جميعاً تعرفون ماالبصطرما ؛ هي عبارة عن لحم خاروف مجفّف ومملّح وشهي جداً ، يعشقه الأتراك إلى حدّ كبير . وافق القاضي بلطف على ذلك ، وطلب من كبير خدمه أن يضع السلة بعناية مع بقية حوائجه . وبعد أن ذهب اليهودي ، أبحَر القاضي ومرافقوه إلى أن وصلوا إلى مقصدهم . وبُعيدَ وصولهم ، وجدوا شاباً يهودياً يستفسر بلهفة عن سلة بصطرما . كان القاضي قد نسي قصة السلة بمجملها ، فصاح مُستذكراً : "*آه ، لقد أعطيتها إلى كبير خدمي لكي يحفظها* " ، ثمّ نادى ذلك الخادم وأمره بتسليم سلة البصطرما لليهودي المُنتظر .

أحنى كبير الخدم رأسه ، واضعاً كلتا يديه على صدره وقال : " *أطلب المغفرة يا سيدي . فالسلة موجودة ، إلا أن البصطرما كانت في غاية الجودة ، فعندما تذوقتُ قطعة منها أردت المزيد ؛ وهكذا التهمتها كلياً أثناء رحلتنا . وأرغب في دفع ثمنها إلى هذا اليهودي الشاب* " .

وجد القاضي أن عَرْض خادمه عادلاً ، إلا أن اليهودي الشاب انتابه غضب جنوني فأمسك بخناق الخادم طارحاً إياه بعنف على الأرض ، محاولاً انتزاع روحه من جسده بأسنانه وأظافره . وكان أن طلب القاضي المساعدة من المارّة والحاضرين ، الذين استطاعوا بعد جهد انتزاع اليهودي من فوق ضحيته .

- "*لماذا ، بحق الله ، هاجمتَ خادمي بتلك الطريقة الوحشية* ؟ " سأل القاضي اليهودي الشاب .

- "*ذلك الرجل...* " ، قال اليهودي وهو لا يزال شاحباً من ثورة الغضب ومؤشراً بإصبعه الغليظة إلى الخادم ، الذي كان قد نهض من الأرض ، "*إن جدي قد أصبح الآن في أحشاء ذلك الرجل* ! "

- "*ما هذا الكلام ؟ اشرحْ لي ما تقوله* ! " صاح القاضي .

- "*قبل ثلاثة أسابيع ، يا سعادة المُوقّر ، مات جدي في اسطنبول . وكانت أغلى أمنياته أن يُدفَن في المدينة المقدسة بالقرب من موقع يوم الحساب* (**أي وادي يهوشافاط** Jehoshaphat) *؛ تلك الرغبة كانت دَيناً في عنق أحفاده . ولكن كيف يمكننا تحقيق ذلك ؟ كيف ؟ كنت أتسائل . إذ لن يقبل ربان ، أكان نصرانياً أو مسلماً ، أن يحمل يهودياً على ظهر سفينته بأقل من وزن جثته ذهباً ، ونحن فقراء ؛ كما وأن نقل جثمانه براً كان مستحيلاً . وهكذا قام أبي وأمي بتقديد أطرافه الميّتة وصنعوا منها بصطرما ثمّ أرسلوها إلى هنا بالطريقة التي تعرفونها. وها هو خادمكم قد اقترف أكثر الجرائم بشاعة. بحق الله ، دعه يُقتل ويُدفن في القبر الذي أعددناه ، وهكذا يمكن تحقيق أمنية جدي الكبرى* * ".

ومع سماعه القصة ، كان كبير الخدم أقرب منه إلى الميت من الحي ، فقام بتمزيق ثيابه ثمّ سقط على الأرض بلا إحساس . وبحكمة ، أجاب القاضي الشاب اليهودي قائلاً :

*- " لا يحق لك الحصول على أكثر من ثمن سلة البصطرما من خادمي هذا ؛ ويحقّ له بدوره الحصول على كل ما تملك . فأي ثروة يمكنها أن تُعوّضه عن الرعب الذي يمكن أن ينتابه يوم القيامة ، عندما ينهضُ مختلطاً وغير قادر على الانفصال عن جدك الفاضل ؟ اذهب ، ولا تحاول الاقتراب منه ثانية ، وإلا فسأنفذ حكمي بالتأكيد وأفقرك أكثر فأكثر " ، "أما الخادم ... "*

وهنا تعالت صرخة تقاطع قصة الراوي سليمان " *مسكين ، مسكين* " : "*لقد أكلتُ ذات مرة لحم الخنزير عن طريق الخطأ ، ولكن ورطة هذا الرجل تبدو أكثر فظاعة* " .

وصاح أحد معارضي سليمان : " *لقد كان الحكم الصادر بحقه ، بلا شك ، لسرقته البصطرما ، ولكن ماالذي حدث له بعد ذلك ؟ أيها الراوي* " .

*- "كبير الخدم الذي كان شريراً إلى حدّ كبير كما عرفته عن قرب منذ الصغر، أشهدُ إنه أصبح من ذلك اليوم الأقدس بين الرجال . كان يتذكر جريمته ويشعر بالأسى لما حصل وظل يرى نفسه وحشاً قذراً إلى أن مات ، رحمة الله عليه ، ودفن في المدينة المقدسة كما كانت أمنية اليهودي .ولهذا ، أقول ، إن الأفضل للناس أن يفكروا في خطاياهم بعد وليس قبل ارتكابها* " .

*** <u>تعقيب المترجم</u> : ورد في كتاب " يوميات رحلة الحاخام بنيامين التُطيلي " ترجمة أشر ، 1840 ، ص. 93 ، مايلي :**

**العادة التي يتبعها اليهود في إحضار عظام آبائهم وأمهاتهم وأصدقائهم إلى فلسطين مصدرها إعادة صياغة المقطع الأصلي من سفر التثنية (43:32) : " *... <u>ويصفحُ (الله) عن أَرضهِ وعن شعبه</u>* " والذي ترجمه بعض التلموديين : " *... <u>الأرض التي ستغفر ذنوب شعبه</u>* " . وقد أدى ذلك إلى الاعتقاد بأن الدفن في 'الأرض' (أي في أرض فلسطين) كان كافياً لغفران الذنوب المُرتكبة أثناء الحياة .**

---

**- <u>آدا غودريش فرير</u> (1857 - 1931) : كاتبة أمريكية ، زارت القدس عام 1901 وأقامت فيها عدة سنوات . من كتابها " *القدس من الداخل* " 1904 اقتبسُ بعض ملاحظاتها عن عادات وأخلاقيات اليهود في المدينة المقدسة . وبما أن بعض العادات التي توردها ترتبط بشكل كبير بتعاليم التوراة والتلمود ، فلا بد من تقديم شرح مبسّط لها قبل عرض مقتطفات الكاتبة * .**

***Inner Jerusalem*** **by Goodrich-Freer, A. , New York : Dutton , 1904**

*** <u>توضيح للمترجم</u> : من المعروف أن ' يَهوَه Jehovah ' (إله اليهود) قد اختار لهم السبت يوم عطلة مقدّس ، وأمرهم بالعمل ستة أيام وبالراحة في اليوم السابع . واعتبر أن العمل يوم السبت ' نجاسة لبني إسرائيل ' يعاقبُ من يمارسه بالموت . وقد وردت تعليمات يَهوه هذه صراحة في سفر الخروج** Exodus 31 **:**

***12*** *وقال الله لموسى :* ***13*** *تكلّم إلَى بني إسرائيل وقُل لَهم :* **احفظوا سبُوتي لِأَنَّها علامة بيني وبينكم جيلاً بعد جِيل لتعرفوا أني أنا الله الذي أقَدسكم** ***14*** **احفَظوا السبت لأنَّه مقَدس . وكل من ينجسه يُقتَل . فَكل من يقوم بعمل ما في** *السبت يُقطَع من وسط الشعب* ***15*** *اعملوا ستة أيام ، وأما اليوم السابع فاحفظوه للراحة ، فهو يوم مقَدس لله . من يعمل في يوم السبت فَإنَّه يُقتَل* ***16*** *علَى بَني إسرائِيل أن يحفظوا السبت لِيبقى جيلا بعد جيل كعهد أبدي .*

**ويروي سفر العدد** Numbers 15 **كيف أمر الربّ موسى برجم المخالف لقدسية السبت حتى الموت :**

***32*** *وفي أَثْناء إقَامة بَنِي إسرائِيل في الصحراء ، وجدوا رجلا يجمع حطَباً في يوم السبت* ***33*** *فاقْتادوه إلَى موسى وهرون وبقية الْجماعة* ***34*** *وزجّوه فِي السجن لأَنَّه لَم يكن واضحاً بعدُ ما يتوجب عليهم أَن يفعلوا به* ***35*** *فقال الرب لموسى :* **لترْجمه الجماعة كلها بالْحجارة خارج المخيم** *، لأَنّ عقابه القتل حتماً* ***36*** *فَأخذه الشعب إلَى خارِجِ الْمخيم ورجموه بالحجارة حتى مات ، كَما أَمر الربّ موسى .*

**وإضافة إلى حظر العمل يوم السبت ، فقد فُرِضَ على اليهود البقاء في أماكنهم ومنازلهم وعدم التجوّال أو حمل أي شيء داخل أو خارج مكان تواجدهم ، كما يتضح ذلك في سفر الخروج** 16 **:**

***29*** *انظروا . فها الرّب قد أعطاكم السبت لذلك هو يقدّم لكم في اليومِ السادس خبز يومين ، فَلْيلْبث كل واحد في مكَانه ولا يُغادره في اليوم السّابع .*

**أو في كتاب أرمياء 17 :**

*[21] هذا ما يقوله الرّب: احترسوا لأنفسكم ولا تحمِلوا أحمالاً في يومِ السّبت ولا تدخِلوها في بوابات أورشليم ، [22] ولا تنقلوا حملاً إلَى خارجِ بيوتكم فِي يوم السبت ولا تقوموا بأي عمل. إنما قدسوا يوم السبت كما أوصيت أباءكم .*

**وكان على الحاخامات أن يحددوا ماهية الأعمال المحظورة على اليهود أيام السبت ومفهوم البقاء في المكان وإمكانية التنقل التي وردت في التوراة وذلك تفادياً للرجم حتى الموت . وقد أمكنهم التوصل إلى 39 ' عمل رئيسي Abhoth ' يُحظر القيام بها ، نذكرُ منها : الحراثة ، البذار ، الحصاد ، الترزيم ، الدّرْس ، النَخلْ ، الذريْ ، الطحن ، الفصل ، العجن ، الطبخ ، القص ، الغسل ، التمشيط ، الغَزْل ، الفَتْل ، الصبغ ، الربط والفك ، الخياطة ، التكسير إلى قطع صغيرة ، الهدم ، صيد الحيوانات ، صيد الأسماك ، القتل والسلخ ، الكتابة ، التنشيف ، إضرام النار وإطفاؤها ، حمل أي شيء إلى الشارع أو الأماكن العامة .**

**ويتفرع عن هذه المحظورات الرئيسية عدد من المحظورات الفرعية . فعلى سبيل المثال ، يُشتق من عملية الحراثة ، أي عمل مماثل كالحفر والثقب وإزالة الأعشاب الضارة والتسميد وغيرها . وقد أودعت هذه التعليمات المُرهقة التي لا تنتهي في باب " سيدر موعيد Seder Moed " من المشناه التلمودي . فمثلاً إذا وقف متسّول خارج مُلكية خاصة (بيت مثلاً) ومدّ يده إلى داخل البيت ووضع أو أخذ شيئاً من يد المالك ثمّ سحب يده ثانية إلى خارج الملكية ، يعتبر المتسوّل مذنباً وصاحب الملكية غيرآثم . وإذا مدّ صاحب الملكية يده إلى خارج ملكيته (حيث يتواجد المتسول) ووضع شيئاً في يد المتسول أوأخذ منها شيئاً ، ثم سحب يده ، فيكون المالك مذنباً والمتسول غير آثم . أما إذا مدّ المتسول يده إلى داخل الملكية والتقط المالك من يد المتسوّل شيئاً أووضع فيها شيئاً ، ثمّ سحَب المتسول يده إلى الخارج فكلاهما غير آثم ، وهكذا ...**

**إضافة إلى ذلك هناك تعليمات ' إروب أو إروف Erubh,Eruv ' (وتعني الترابط) ، هدفها التلاعب بمسألة تنقل الأفراد في يوم السبت بحيث يمكن احتماله . فعن طريق تعليمات الترابط هذه يمكن لليهود وصل الأماكن مع بعضها البعض ' بالتحايل ' وتحويلها إلى شكل من أشكال المكان الخاص . وفي هذا الشأن لاحظت فرير ما يجري فعلاً في القدس أيام السبت :**

*" في كل طريق ومخرج من مخارج القدس وعلى مسافة 2000 ذراعاً هناك علامات تذكير مثيرة للإهتمام ؛ فمن خلال بوابة المدينة يَمرّ المرء تحت شريط محمول على عامودين تشير إلى الحدود المسموحة لحركة اليهود أيام عطلة السبت . ولعله من المحزن أن تجد هذه أو غيرها من التشريعات الدينية يتمّ التهرب منها عبر خرافات دينية تدعى' سيدر موعيد ' . وبالتالي ليس مستغرباً على اليهود أن يضعوا طعامهم ، في المساء السابق ، على مسافات تبعد 2000 ذراعاً عن بعضها لمناطق ينوون سلوكها يوم السبت ، وبالتالي فهم يؤسسون بذلك سلسلة من البيوت الوهمية المتصلة مع بعضها البعض . أو أنهم ينصبون أعمدة أبواب وعتبات في نهاية الطريق ليصبح الطريق بمجمله وكأنه بيت واحد .*

*ويروى ، أنه منذ فترة ليست ببعيدة ، تصادفت زيارة شخصية هامة مع يوم السبت ، وكان اليهود تواقين لتكريم هذه الشخصية . فتحايلوا على مشكلة الخروج من منازلهم للقائه ، بأن صنعوا بوابة خشبية ظلوا يدفعونها أمامهم ، وبالتالي ضمنوا بقاءهم داخل المدينة طوال الوقت " .*

**لوس أنجلوس** **مانهاتن** **فيلادلفيا**

**نماذج من تعليمات الحاخامات الأمريكيين لحدود حركة اليهود أيام السبت ( خرائط إروف ) في أهم المدن الأمريكية . في بعض الحالات يعتبر الانتقال من رصيف إلى آخر محرماً !!**

**Notes on <u>Manhattan</u> Eruv Map :**

**1. On 111th Street, between Manhattan Avenue and the FDR Drive, only the south side of the street is in the eruv.**

**2. <u>The intersection of 111th Street and Park Avenue is not included in the eruv.</u> When walking (and carrying) east or west on 111th Street, turn south on Park Avenue and cross at 110th Street.**

**3. On Cathedral Parkway, between Columbus and Manhattan Avenues, only the south side of the street is in the eruv. On Manhattan Avenue, between Cathedral Parkway and 111th Street, only the east side of the street is in the eruv.**

## <u>هداية اليهود</u>

**وفيما يتعلق الأمر بجدية اهتداء اليهود إلى المسيحية ، تستشهد الكاتبة بمقولة الكاتب البريطاني إسرائيل تسانغفيل : " *لم يَرتدّ يهودي أبداً عن دينه إلا لملء كيس دراهمه أو معدته أو لتفادي الاضطهاد* " .**

وتروي قصة يهوديين إسبانيين (**ممن تلقوا مساعدات مادية** ) كانا بانتظارتعميدهما كنسياً في كاتدرائية بورغوس الإسبانية . وكان هناك حشد كبير من الكاثوليك متلهفين لوصول كاردينال خاص لإتمام شعائر تعميدهما ، باعتباره انتصاراً معنوياً كبيراً . ولكن الكاردينال تأخركثيراًعن موعده مما أغاظ وأهاج اليهوديين . وهنا التفت أحدهما إلى الآخر وقال **:** " *أتعرف ماذا يا موسى ؟ إذا لم يحضر الكاردينال قريباً ، فسنتأخر عن حضور صلاة العصر*' المينشاه Minchah ' " .

**-** يشتري الانجليز الأراضي في يافا لليهود المُهتدين إلى المسيحية ويبنون بيوتاً لهم . وإذا كان أحدهم نجاراً يعطونه أدوات النجارة . لقد أعطوا هؤلاء المهتدين خيولاً وحميراً وعربات ومعاول للزراعة ، إضافة إلى شلناً إنجليزياً كل يوم . لقد أخذ المهتدون اليهود كل هذا ، وما أن أصبحوا ميسوري الحال حتى هربوا عائدين إلى يهوديتهم ، باستثناء خمسة أو ستة منهم .

**-** في أحد الأيام كنتُ ذاهبة من يافا إلى القدس فوجدت جماعة يضربون يهودياً ، كان ذلك بالقرب من الرَملة . فبعد أن أكل اليهودي وشرب لديهم ، قفز على حصانه وأطلق له العنان من دون أن يدفع ثمن مأكله ومشربه . وكان أن لحق به أفراد الجماعة وأشبعوه ضرباً . سألتهم كم المبلغ ؟ فقالوا لي سبعة قروش ، فدفعت عنه المبلغ بعد أن أخبرهم إنه لا يملك مالاً . إثر ذلك أردت أن

أعرف حقيقة كونه لا يملك أي شيء ، وهكذا طرحت عليه السؤال . فقال : نعم لدي الكثير من المال ، ولكني لم أرغب في إعطائه لهم ، وفكرت أنه بإمكاني الهرب على حصاني . أعطاني اليهودي ' مجيدية ' **(عملة عثمانية)** فأخذت منها القروش السبعة التي دفعتها عنه وأعدت له الباقي . لقد كان يهودياً تحوّل بعدها إلى النصرانية . سألته هل أنت من البروتستانت ؟ فإجاب : لا ، كل ما في الأمر إني أمرّ عليهم وأقول لهم إني فقير معدم . فيعطونني ملجأ آوي إليه وكساءً وشلناً كل يوم . وعندما أكتفي أغادرهم . فاليهود لا يتحولون عن دينهم . وهم فقط يضحكون على الإنجليز . أنت تعرفين ساحة كنيسة القيامة في القدس . هناك لا يمكن لأي يهودي المرور فيها . وإذا ما فعل فسيقتلونه . لقد حصل المسيحيون على فرمان من السلطان ، يسمح لهم بقتل كل يهودي يقبضون عليه في تلك الساحة .

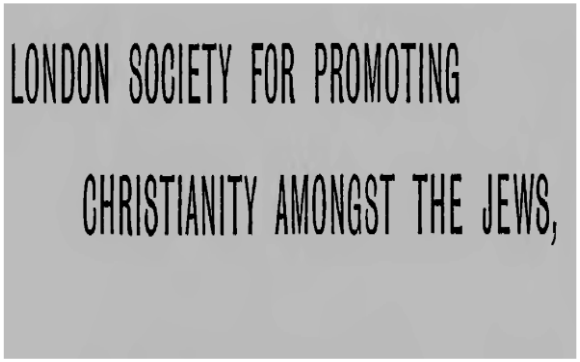


**جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود**

**التعليم**

ويقال إنه فيما مضى كان هناك موقف من التعليم . فقد منعَ الحاخامات تدريس بعض المواد تحت أعذار واهية ومنها اللغة الفرنسية ؛ ذلك لأن تصريف أفعال savoir **[عَرَف]** و se marier **[ تزوّج ]** تتطلب من الطالب أن يردّد كلمة j ai su أو مشتقات كلمة marie والتي تذكّر الطالب اليهودي باسم المسيح وأمه مريم Jesu ، Marie . كما مُنع تدريس الجغرافيا نظراً لوجود كلمة القديسين St. لبعض المدن ، مثل سان فرانسيسكو، سان بطرسبرغ ، سان جيرمان ؛ أو تدريس الرياضيات نظراً لأن إشارتي الجمع والضرب تماثلان شكل الصليب .

وقد تبدو هذه القصة غير قابلة للتصديق ، لولا أنها حدثت في عام 1902 ، حيث مَنعتْ مَدرَسة إيفيلينا دي روتشيلد **(اليهودية)** رفع العلم البريطاني حفاوة بتنصيب الملك إدوارد ، ليس لأن العلم إنجليزي ، بل لأنه يحمل الصليب .

---

**- <u>إليزابيت فينّ</u>** (1825-1921): **كاتبة بريطانية ، أمضت سبعة عشر عاماً في فلسطين** (1846-1863) **كزوجة للقنصل البريطاني جبمس فينّ . الاقتباسات التالية من كتابيها " *بيت في الأرض المقدسة* "،**1866 **و " *السنة الثالثة في القدس* "** ، 1869 .

***Home in the Holy Land*** **by Finn, E.A. , London : Nisbet, 1866**
***A Third Year in Jerusalem*** **by Finn, E.A., London : Nisbet , 1869**

**<u>صلاة قاديش</u>**

يعتقد اليهود أنه بعد الموت يوجد حاجز ' المَطْهر' بين الجنة والنار ، ويعتبر إلزامياً على الأولاد الصلاة على أرواح آبائهم . وتسمّى هذه الصلوات ' قادّيش *Kaddish*' . وبالتالي ، يعتبر من ليس لديه الأولاد لتلاوة الصلوات من البلاوي الكبرى . وعلى هذا الأساس يتلهف اليهود جميعاً لإنجاب الأبناء والحفاظ عليهم أحياء . ويعتبر فقدان الابن الوحيد بلوة كبرى وبالطبع ، فإن المصيبة تكون أكبر إذا ما اعتنق الابن الديانة المسيحية ولا يموت على عقيدته اليهودية . إذ تتطلع الأم أن يتلو ابنها القادّيش على روحها بعد موتها .

**<u>الطهارة</u>**

في البداية ، عندما كانت سارة **(الخادمة اليهودية - الإسبانية)** تأتي إلى منزلنا ، كنت أقدم لها بعض الطعام ؛ إلا أنها لم تكن تقبل مني سوى القهوة من دون الحليب والبيض غير المسلوق الذي كانت

تفضل شيّه على الجمر ، والخبز بعد أن تتأكّد أنه مصنوع من قبل يهودية وأحُضرَ إلى البيت من قبَلها وحُفظ في سلة نظيفة لوحده . وأخيراً ، كانت تقبل مني الحليب ، شريطة أن تحضره الفلاحة طازجاً في جرة ولم يُسكب بعد في أي وعاء من أوعيتنا .

ومهما كانت سارة جائعة أوباهتة اللون ، لم تكن تلمس أياً من طعامنا . بداية ، شعرت بشيء من الاستياء ظناً مني أنه ناجم عن تعاليها ؛ إلا أن السيد أندرسون ، الذي تحدثت معه بهذا الشأن ، شرح لي مَردّ ذلك :

- هناك أسباب متعددة تمنع اليهودي من لمس طعامنا . السبب الأول هو الخوف من تناول الدم أو اللحم غير الطاهر وفقاً لشرائع الأحبار . فاللحّام اليهودي مدرّب ومؤهل بعناية على القواعد الواجب اتباعها في مهنته التي يشرف عليها الحاخامات ؛ وعليه أن يكون متعلماً وناجحاً في اختبار قاس ، قبل أن يحصل على لقب ' شُخّاطْ *shochet* ' . فأول ما يتوجب عليه فعله هو إراقة دم الحيوان المذبوح على الأرض .

ولهذا السبب ، يجب أن يكون السكين ذا شكل مميّز وشفرة دقيقة . بل لقد ذهب الحاخامات أبعد من ذلك حيث أعتبروا أن اللحم لا يتوافق مع الشريعة إذا ما تبيّن لهم بأن حدّ السكين ثلمْ . فعملية الذبح يجب أن تتم بشكل مميز لا أكثر ولا أقلّ . وعدم التقيّد بأي من هذه القواعد ، تجعل لحم الحيوان المذبوح نجساً ومخالفاً للشرع . وهكذا ، فهم لا يأكلون من طعامنا ، بل ويعتبرون أوعيتنا وأدوات طعامنا ملوثة لأنها لامست طعاماً لا يتوافق مع الشرع اليهودي .

- هذا يفسر وجود صحن مكسور أمام باب البيت في أحد الأيام .

- نعم ، ذلك لأن شريعة موسى تأمر بكسر الأوعية الخزفية عندما تدّنس ؛ أما المعدنية منها فيمكن تنظيفها بالنار والتطهير. ويعتبر يهود بولندا الأكثر تشدداً في هذه الأمور .

**شُخاط مُعتمد للحوم الكوشر**

## النزاع المسيحي - اليهودي

في أحد الأيام بعد عيد ' البوريم Purim ' اليهودي ، والذي حلّ قبل شهر تماماً من عيد الفصح ، صعد (**أخي**) والتر إلى غرفتي وقال : " *سارة* (**الخادمة**) *في الأسفل تريد محادثتك ؛ ويبدو لي أنها واقعة في مشكلة ، إذ أنها أحضرت صبياً صغيراً معها . لقد كانت تقبّل كلتا يديّ ولم أتمكن من معرفة السبب ، فلغتها الإسبانية الغريبة كانت صعبة عليّ* " .

نزلتُ إليها . وسارة التي كانت رزينة في طبعها ، التقطت يداي وأخذت تقبلهما بحرارة ؛ وحتى أنها حاولت تقبيل أطراف أكمامي في حين حاول حفيدها الصغير ، ذو التسعة أعوام ، أن يفعل الشيء نفسه

- ما الأمر يا سارة ؟

- ( **بلغة إسبانية وإنجليزية مختلطة**) سنيورا ، عليك مساعدتنا فنحن خائفون جداً . دعينا ندخل إلى الغرفة وسوف اخبرك .

وما أن أغلقت الباب بعناية ، خشية أن يسمعها أحد ، قالت :

- إننا خائفون جداً من أولئك المسيحيين . فهم يريدون قتلنا ، فالقدس مليئة بهم هذه السنة . ماذا علينا أن نفعل ؟ فأملنا أولاً في الله ثمّ بكُمْ .

وبصعوبة تمكنا من تهدئتها لكي نصل إلى رواية مترابطة عما حدث لكي تخاف على هذا النحو .

قالت ، إنه بالأمس في الصباح الباكر كان حفيدها ياكوفيكو ( **تصغير يعقوب**)، ابن ابنها جرشون البائع المتجول ، في البازار يشتري الخضروات لأمه . وعند عودته ، شتمه صبي من الحجاج اليونانيين ودفعه أرضاً وأخذ منه الخضروات . كان ياكوفيكو خائفاً فهرب إلى منزل مجاور وبقي هناك لفترة اعتقد بعدها أن الصبي اليوناني قد ذهب . وما أن خرج حتى تبيّن أن اليوناني لازال بانتظاره . ولما كان ياكوفيكو خائفاً من المرور بجانبه ، فقد رماه بحجر لدفعه على المغادرة . وياويلتي ! أصاب الحجر قدم المسيحي وأدماها ، الأمر الذي أثار شغباً كبيراً لدى الحجاج وكادوا يقتلون صغيري . ولكن بعض ' المسلمين Moros الأغنياء' خرجوا من دكاكينهم وأخذوا ياكوفيكو إلى السراي . ولم يكن الباشا ، أطال الله عمره مئة عام ، مستعداً لسماع مسألة صبيانية كهذه فأمر بطردهم . وقام أحد المُسلمين ، الذي كان جرشون يبيعه الثياب طوال الخمسة عشر سنة الماضية ، باستبقاء ياكوفيكو لديه حتى ذهاب جميع المسيحيين خوفاً من تعرضه للأذى ثمّ أعاده إلينا .

وقد أعطى جرشون الرجل قطعة قماش مزركشة لقاء معروفه . وماذا كان بوسعنا أن نفعله لقاء إنقاذه حياة الصبي ؟ . واليوم جاء المُسلم مرة أخرى وأبلغنا إنه من الأفضل عدم خروج ياكوفيكو إلى الشارع ثانية لأن المسيحيين غاضبون جداً . فهم يقولون بأن اليهود يريدون دماً من أجل عيد الفصح ، بل ويتحدثون بكلمات سيئة وأنهم سيلحقون بنا الأذى .

- إننا خائفون جداً سنيورا . ! كُرمى لله ، دعي الصبيّ يبقى في بيتكم إلى أن يزول الخطر ، وستكون حسنة كبرى ؛ آه ، أنقذي حياة الصبي .

- صه سارة ! هذا يكفي . بإمكان ياكوفيكو البقاء هنا إذا أراد ذلك ؛ ولربما أنت خائفة أبعد مما يجب فالمسيحيون لا يفكرون في أية أذية .

- بلى سنيورا ، إنهم يفكرون فعلاً . لقد سلكت طريقاً مطولاً للوصول إلى هنا ، إلا أن ثلاثة من الحجاج رأوني في نهاية الطريق ، وأشاروا لي بأيديهم هكذا (مرّت بحافّة يدها أمام حنجرتها ) وهم يصرخون، يهودي ! يهودي !

- بإمكان حفيدك البقاء هنا ، سارة ؛ ولكن آمل ألا يكون هناك خطر .

- أتمنى أن لا ينطفىء نورك سنيورا وأن تعيشي سنوات عديدة ، ولكن لا تدعي خَدَمك يخبرون الناس إنه هنا .

- هراء ، فهم لا يعلمون بأنه قد رمى الحجر .

- ولربما هي على حق ، قال والتر ، فأنت تعرفين ما قالته (**الخادمة**) هيلانه عن استخدام اليهود للدم

- آه ، ولكن هذا مختلف كثيراً عن تسليم الصبي للغوغاء لقتله . وعدا ذلك ، أود معرفة من سيتجرأ على إخراجه من بيت إنجليزي .

---

**- في كتابه " *الأرض المقدسة* " الصادر عام 1844، يقدم القسّ الاسكوتلندي <u>أندرو ريدمان بونار</u> (1818 -1867) للقارىء ملاحظاته عن بعض العادات والتقاليد الدينية لليهود في فلسطين .**

***The Holy Land*** **by Bonar, A.R. , London: Seeley, 1844**

**<u>الولادة</u>**

في جميع مناسبات الحياة ، هناك شعائر وصلوات محدّدة لدى اليهود . فقبل ولادة طفل ، تكتب أسماء ثلاثة ملائكة على باب غرفة الأم لتفادي تسلل الروح الشريرة إليها. وعلى كل جدار من جدران الغرفة يُكتب في داخل دائرة أسماء آدم وحواء ولياليث **( زوجتا آدم )** .

وفي هذه المناسبة لا يُسمح بتوظيف أو استخدام أي مسيحي ، وذلك خوفاً من إصابة الطفل إصابة خبيثة . وفي بعض الأماكن ، يقوم الحاخام بقراءة الفصول 20 ، 88 ، 92 و102 من سفر المزامير ويصلي من أجل مباركة الجميع . فولادة طفل هي مناسبة لفرح جميع أفراد الأسرة ، وبعضهم يقيم احتفالاً مساء السبت التالي للولادة يطلق عليه اسم احتفال ' نجاة الابن' .

وبعد ثمانية أيام يقام احتفال ' الطُهور' ، الذي يكون مُكلفاً تبعاً للظروف المادية للعائلة ، حيث يقدم الكثير من الطعام وأفضل الخمور . ويجب أن لا يقل عدد المدعوين عن عشرة ولا تقلّ أعمارهم عن الثالثة عشرة . أما في الليلة السابقة فيقام احتفال آخر في غرفة الأم غالباً ما يخلو من الرصانة . يتم طهور الصبي عادة في الصباح ، لإثبات دأب اليهود على إطاعة الأوامرالإلهية . ويحظر إنجازهذه المهمة من قبل مسيحي أو أمرأة ، إلا في حالات الضرورة القصوى . ويمكن لأي رجل تطهير طفله إذا كان يهودياً خبيراً ويقظاً وجاداً .

**مراسم الطهور اليهودية**

ويكون من بين الحضور أيضاً يهودي ، يسمونه ' ربّ الميثاق ' أو' بعل بريث Baal Berith ' ، وهو بمثابة المشرف على شعائر الطهور حيث يدير الإجراءات في هذه المناسبة الهامة . وإلى جانب هذا الرجل ، يُتركُ مقعد فارغ مخصص للنبي إلياس ، والذي يفترض دخوله مع الصبي ليجلس على المقعد الخالي . ويعتقد اليهود بأن إلياس لن يأتي إلا إذا طلب منه ذلك على وجه الخصوص . وبما أن الياس ضعيف السمع ، نظراً لتقدمه الكبير في السن ، يصرخ الحاضرون بأعلى صوت ' باروخ هابّا Baruch Habba ' أي مبارك هو ذلك القادمْ ' . وخلال هذه المراسم ، تتلى الصلوات وتمنح البركات وتغنى الأغاني ، ثم يأخذ ' ربّ الميثاق ' فنجاناً من النبيذ الأحمر و يقدسه ويباركه قبل أن يشرب منه والحضور أثناء تلاوة الصلوات للطفل الوليد . لا تجرى أي شعائر أو مراسم إذا كانت المولودة أنثى ؛ ولكن مع أول زيارة تقوم بها الأم إلى الكنيس عقب الولادة ، يمنح الحاخام بركاته للطفلة ويعطيها الاسم الذي اختاره والداها .

## الحاخامات

يُمنح لقب الحاخام لمن هو مطّلع جيداً على التلمود . وهو لقب أعلى مرتبة بقليل من المرتبة الفخرية . ويعتقد اليهود الأكثر جهلاً بأن لدى الحاخامات مقدرة السيطرة على الأرواح . وكدليل على ذلك ، نقتطف النادرة التالية المنشورة في إحدى الدوريات :

" *منذ وقت ليس ببعيد ، استأجر يهودي بولندي حاخاماً ليرسل ملاك الموت ويُهلكَ أحد النبلاء البولنديين لكونها الطريقة الوحيدة للتهرب من اكتشاف ذلك النبيل خديعته المشينة . بعد حين ، ماتت زوجة النبيل في حين بقي زوجها حياً . وذهب اليهودي ليوبّخ الحاخام ، الذي أجابه بأنه أرسل*

*الملاكَ لأداء المهمة ، وعندما لم يجد الملاكُ النبيلَ في منزله ، عمل أفضل ما بوسعه فقتل زوجتة . وقد لقيت حجّة الحاخام هذه ارتياحاً لدى اليهودي المُشتكي. "*

## قصّ وتجميع الأظافر

يبدأ اليهود أولاً باليد اليسرى ، وإن كان من غير اللائق قصّ أظافر إصبعين متجاورين على التوالي . فالترتيب المُعتمد للقص هو ، بالنسبة لليد اليسرى ، أولاً البنصر تليه السبابة ، ثم الخنصر وبعدها الوسطى وأخيراً الإبهام . أما بالنسبة لليد اليمنى ، فتكون البداية مع السبابة يليها البنصر ثم الإبهام فالوسطى وأخيراً الخنصر .

ويجب توخي الحيطة في التخلص من بقايا الأظافر ؛ فالتلمود يحددّ بوضوح : إن من يرميها على الأرض هو شخص خاطىء ؛ ومن يدفنها فهو مُنصف ؛ ومن يرميها في النار فهو تقي ومثالي .

## المرض والموت

في الطقوس اليهودية ،هناك صلوات خاصة بالمرضى . فعندما يعتقدون أن شخصاً مريض جداً ، فغالباً ما يغيرون اسمهُ * ، على أمل تجنب أوتفادي الحُكم عليه بالموت . حُكم يخشون أنه صدر ضده في محكمة السماء .

وعند موت يهودي ، يُطرح الماء من بيته والبيوت المجاورة مباشرة إلى الخارج ، ويجب أن لا يبقى أي حاخام في هذه البيوت إلى أن ترفع الجثة من المكان .

وبعد وضع النعش في المكان المخصص في أرض المقبرة ، يقوم الأقرباء برمي التراب على النعش . وما أن تنتهي عملية الدفن ، يسارع المشاركون في الابتعاد عن المكان بأقصى سرعة خوفاً من أن يسمعوا صوت قرع المَلاك ، الذي يفترض أن يأتي ويقرع على النعش قائلاً للميت بالعبرية : *أيها الشرير* ! ، *أيها الشرير* ! ، *ماهي قرينتك* ( بازوق Pasuk) ؟ .

ولشرح معنى القرينة أو البازوق ، يمكن القول بأن كل يهودي يُسمى وفق فقرة معينة من الكتاب المقدس ، فمثلاً إذا سُمي طفل أبراهام (**إبراهيم**) ، فتكون قرينته المقدسة الفقرة التالية من كتاب نحميا " *أنت هو الرب الإلَه الّذي اخترت أَبرام وأَخرجته من أُور الكلْدانيين ودعوته إبراهيم* ". ويقوم الأهل بتعليم الطفل قرينتهُ هذه مع بداية تعلمه الكلام ، وعليه تكرارها كل صبح ومساء حتى يتمكن من الإجابة عندما يسأله الملاك عنها في القبر . وإذا لم يتمكن من تكرار بازوقه ، فسيضربه المَلاك بقضيب حديدي ساخن إلى أن يكسر عظامه .

*** <u>تعقيب المترجم</u> : تغيير الأسماء عادة مُستحبة لدى يهود شرق أوروبا على الأخص ، ليس للهرب من ملاك الموت فحسب بل أحياناً للتهرب من أداء الخدمة العسكرية أو من دفع الضرائب أو الإفلات من ديون متراكمة أو غيرها . (فالأوكرانية) المولد غولدا مابوفيتش في عام 1898 تحوّلت إلى (الأمريكية) غولدا مايرسون في عام 1917 ثمّ أصبحت (الإسرائيلية) غولدا مائير في عام 1948 . والبولندي النسب أرئيل شاينيرمان تحوّل إلى أرئيل شارون والبولندي النسب بنيامين ميلايكوفسكي أصبح بنيامين / بيبي نتانياهو وغيرهم كثير .....**

---

**- <u>جورج سانداز</u> ( 1577- 1644 ) رحالة وشاعر بريطاني . سافر إلى العديد من البلدان الأوروبية والشرق الأوسط . في المقطع التالي يصف سانداز طوائف يهود بلاد الشام ( الأرض المقدسة) وعاداتهم الدينية وذلك أثناء زيارته للمنطقة في زمن الحكم العثماني .**

***Sandays Travels, containing an history of the Original and present State of the Turkish Empire .*, by Sandays , G. , London : J. Williams Junior , 2nd. ed. 1673**

هناك ثلاث طوائف (من اليهود) . طائفةٌ منهم يُجيزون فقط كتب موسى (التوراة) ، وهؤلاء هم اليهود السامريون ، الذين يقيمون في دمشق ، ويحجَون إلى نابلس وهناك يعبدون العجل إلى يومنا هذا ، كما أبلغتُ بذلك من تاجر يقيم هناك . وطائفة أخرى تُجيز جميع كتبِ العهد القديم . أما الطائفة الثالثة فتمزج العهد القديم مع التقاليد وخرافات غريبة اخترعها حاخاماتهم وحشروها في تلمودهم . وفي جميع الأراضي الواقعة تحت السيادة التركية يسمح لليهود بإقامة كُنُسهم ، كما هو

الحال في روما وغيرها في إيطاليا . كُنُسهم ( تبعاً للكثير مما رأيته) ليست جميلة من الخارج ولا مزخرفة من الداخل ؛ سوى من ستارة في الطرف العلوي ومن بضع مصابيح لا تضاءُ في النهار . وفي الوسط ، تتربع مصطبة يقف عليها قارئ الكتاب المقدس ومُرتّل الطقوس الدينية . إنهم يرتّلون بنبرة فظّة وينشدون بألحان لا صلة لها بالموسيقى . إلا أن إيماءاتهم الغريبة تتجاوز كل تخلّف ؛ فهم يتمايلون بأجسامهم بشكل مستمر ، ويقفزون أحياناً بشكل عمودي . يصلي اليهود بصمت وهم ينوسون برؤوسهم بطريقة مضحكة . وأثناء الصلاة ، يغطون رؤوسهم بأغطية كتانية ذات شراشيب مزودة بعدد من العقد يرتبط عددها بعدد تعاليمهم الدينية . وهم يُبجّلون بشكل كبير جميع أسماء الله ، وبشكل أخص اسم " يهوة Jehovah " إلى درجة أنهم لا يستخدمونه أثناء حديثهم . ومع أنهم يتعاملون مع أسفار العهد القديم الأخرى بكثير من الاحترام والتقدير، فإنهم يسمحون لسِفر إستير ، المكتوب على لُفافة طويلة ، بالسقوط على الأرض عند قراءتهم له ، ذلك أن اسم الله غير مذكور فيه ولو لمرة واحدة ؛ ويُرجِعون ذلك لحكمةِ كاتب هذا السِفر .

لفافة سفر إستير

---

**- <u>غريغوري ورتابيت</u> : كاهن من أصول أرمنية ومن مواليد سوريا . عمل مع مجلس المفوضين الأمريكيين للإرساليات التبشيرية الخارجية . عاد إلى سوريا وفلسطين بعد رحلات خارجية**

**لأمريكا وأوروبا وآسيا وإفريقيا استغرقت عدة سنوات . ألف كتاباً عن أحوال سوريا في ظل الحكم العثماني يحمل عنوان " *سوريا والسوريون* " صدر في عام 1856 .**

***Syria and the Syrians*** **by Wortabet, G. M. , London: Maden,1856 ,Vol. II**

**<u>الصلوات</u>**

لست متأكداً أنني كنت أكثر ابتهاجاً أو ألماً عندما حضرت إحدى صلواتهم في أكبر كُنسهم في القدس . كان ذلك يوم السبت والكنيس مكتظ بالمتعبدين . وكانت رؤوس الرجال تغطيها شالات بيضاء ، وكما علمت ، فهم يضعونها فقط أثناء تعبّدهم . يصلي اليهود وقوفاً وهم يتأرجحون إلى الأمام والخلف بطريقة هي الأكثر مدعاة للضحك . كانت تصرفاتهم محزنة جداً عندما يتدحرجون على الأرض ويخبطون رؤوسهم على الجدران . كانوا يتأوهون ويبكون بأعلى أصواتهم ويصدرون أصواتاً هي الأكثر جموحاً وغرابة .

**<u>النظافة</u>**

إن معظم يهود القدس هم من الأشكينازيين الفقراء ، ومن المحزن جداً أن يسير المرء في حيّهم . فهو ، من دون ريب ، الأكثر قذارة واتساخاً عن أي مكان حللت فيه ، باستثناء أحيائهم في صفد وطبريا والخليل . ويبدو لي أن اليهود في المشرق يكرهون النظافة ويستمتعون بالقذارة .

إلا أن هناك استثناءً واحداً لطائفة يهودية صغيرة ومحتقرة تسمى ' القرّائيين Caraite ' ، لا تربطهم ألفة أو مودة مع غالبية اليهود ؛ وحتى أن الطوائف اليهودية الأخرى تنكر عليهم يهوديتهم ، ويرفضون الأكل والشرب معهم أو الاختلاط بهم . ففي أحد المشافي اليهودية في القدس ، هناك غرف منفصلة للقرائيين ، ذلك لأن اليهود الآخرين لا يريدون الاحتكاك بهم أو النوم في سرير نام فيه واحد منهم .

لقد زرت بيوت القرائيين ، ووجدتها الأكثر نظافة بين بيوت اليهود . رجالهم حسنو المنظر ، لا يثير مظهرهم الاشمئزاز في النفس مثل اليهود الآخرين الذين تجتمع بهم في القدس .

---

**- <u>جون كلمان</u> (1864-1929) : راهب اسكوتلندي كان راعياً لكنيسة سانت جون في ليث ، وسكرتيراً في لجنة إدنبره . ألف كلمان العديد من الكتب الدينية ، من بينها كتاب " *من دمشق إلى تدمر*" ، 1908 وكتاب "*الأرض المقدسة*" ، 1902 وغيرها .**

***The Holy Land*** **by Kelman,J., London: Adam & Charles Black, 1902**

يجب علينا الاعتراف بأن يهود فلسطين مثيرون للاشمئزاز بشكل عام . ولعل ما وصفهم به مارك توين بعد ما رآهم في طبريا لا يتّسم بالمبالغة : " *طويلو الأنف ، نحيلون وطويلو القامة ، أشباح بطلعة كئيبة وقبّعات يصعب وصفها وضفائر شعر ملفوفة و طويلة تتدلى أمام كلتي الأذنين* " .

قبعاتهم السوداء الدائرية تضفي على معتمريها إحساساً بالاستقامة والاستعلاء الكهنوتي؛ أما الضفائر فتربى لإراحة المَلاك الأكبر يوم القيامة . ويترك شباب وصبيان طبريا انطباعاً هو الأكثر نفوراً بين جميع السكان . فهم مصابون بالاضطرابات العصبية ومخنثون ، وفي الوقت ذاته متكبّرون إلى حدّ كبير .

يتلقى كثير من هؤلاء اليهود إعانات ومساعدات مالية ، وبالتالي فإن ديانة تعتمد على المعونة لا بد لها إلا أن تفسد وتتراجع . ومن المرجّح أن الرجل الذي يتلقى دخلاً فقط لأنه يهودي ، من دون تقديم أي خدمات لأقرانه ، لن يكون فخراً لأجداده .

---

**- <u>إلكان نيثان آدلر</u> (1861-1946): كاتب ومؤرخ ورحالة بريطاني- يهودي . زار فلسطين ومصر وعدداً من الدول العربية وكثير غيرها في آواخر القرن التاسع عشر . المقتطفات التالية من كتابه " *اليهود في العديد من البلدان* "، 1905 ، يشرح فيها وجهة نظره عن مشاهداته في فلسطين وبلدان أخرى .**

***Jews in Many Lands*** **by Adler, E.N., Philadelphia: Jew.Publ.Soc. of America, 1905**

**<u>اليهود وفن العمارة</u>**

لا بد أن أي زائر لمدينة القدس يتوقع وجود أثرمن فن العمارة اليهودية تحديداً سيصاب بخيبة أمل مفجعة . فهو غير موجود على الإطلاق . وحتى الهيكل نفسه كان على الأرجح صورة تحاكي

الأعمال الفنية في كل من مصر **(الفرعونية)** وبلاد الآشوريين . فأسلوب بنائه كان عبارة عن تزاوج ما بين أعمال الحضارتين . وفي كتابه "الحضارات الأولى" يقول غوستاف لوبون **(المؤرخ الفرنسي)** عنا **(أي عن اليهود)** : " كان اليهود عاجزين بشكل كبير عن إشادة مدنهم وهياكلهم وقصورهم . وحتى في أكثر حقب قوتهم في ظل حكم **(النبي)** سليمان ؛ وكان الأجانب مضطرين لإحضار المعماريين والعمال وفناني النحت والرسم ، ذلك لعدم توافرهم في **(مملكة)** إسرائيل .

ورغم أن هذه المقولة لا تحمل الإطراء ، فأنا لست شوفينياً ومتعصباً بشكل كاف لأرفضها كونها تحملُ الكثير من الحقيقة . إن ما يكفينا ، كقيّمين أوصياء على الإنسانية ، أننا نملك الأرض والكتاب **(التوراة)**

## **الباليه الدينية**

في عشية احتفالات " ابتهاجات خَتْم التوراة / Simchath Torah " قمت بزيارة للحاخام جودا لايب ديسكين الشهير . وعند دخولي إلى الكنيس ، وجدت الحاخام جالساً على مقعد وثير وهو يحدق متأملاً في الفضاء ؛ وكان بعض شبّان المدرسة الدينية يرقصون في محيط الغرفة بلهو ومرح ، كلّ على هواه . وقد ظنّ أحدهم ، بأريحية شرقية أنه سيكرمني ويسعدني عبر استبدال قبعة رأسه بقبعتي . ولكنني شعرت بالحزن وبالذعر عندما توّج رأسي بقبعته ، معتبراً أن الترحيب بي على هذا النحو قد فقد تأثيره ومنزلته . وفي الواقع كان شعوري إلى حدّ ما يشابه شعور غاليفر Gulliver بين عمالقة أرض بروبدينغناغ Brobdingnag **( من قصة رحلات غاليفر لجوناثان سويفت،** 1726**)** . ومع ذلك فإن طريقتهم المتبعة في احتفالات الابتهاج كانت مثيرة للاهتمام.

**الرقص الكنسي هاكافوث**

إن أسلوب ممارسة شعائر" هاكافوث Hakafoth" والدوران في أرجاء الكنيس خلال احتفال "الابتهاج بالشريعة التوراتية " مضحك . إذ يُحاط كل حامل " للفافة التوراة scroll " بثلاثة أو أربعة رجال يرقصون ببطء ، وإن بحيوية ظاهرة وإيماءات كثيرة . كان مضحكاً وفظيعاً أن ترى رجالاً مُبجّلين بلحاهم البيضاء يدورون حول أنفسهم وعلى رؤوس أصابع أقدامهم ، مثل بعض الراقصات الأوروبيات في المسارح الإيمائية . وكنت أثناء ذلك أتظاهر بالرضا خشية تعرضي للتوبيخ .

ولعل أوضح مثال لمدى الاحترام الذي يَحظى به مثل هذا الرقص الديني ، يمكن عرضه عبر رواية تتعلق بالحبر إسحق لوريا . ففي صباح يوم من أيام السبت ، قال الحبر إسحق لأتباعه وتلامذته في الكنيس بأنه سيعرض عليهم أمراً في غاية الغرابة إذا ما وعدوه بعدم الضحك . وحذّرهم بأن من لا يفي بوعده فسيموت خلال عام . وهكذا استحضر صانع المعجزات **(أي الحبر إسحق لوريا)** من بين الأرواح المُتعددة سبعة أشباح للمشاركة في حفل قراءة الشريعة اليهودية . وهؤلاء الأشباح يماثلون في الواقع هارون وموسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف . وكان سابع وآخرمن استحضره هو الملك **(النبي)** داود ، الذي حضر وهو يقفز ويرقص إجلالاً للشريعة اليهودية . وهنا ، لم يتمالك أحد سيئ الطالع من تلاميذه نفسه ، فانفجر ضاحكاً بشكل لاإرادي . وبالطبع ، فقد مات التلميذ في العام نفسه . إلا أن الحبر الحاخام إسحق لم ينج من فعلته ، إذ مات بُعيد ذلك عقاباً له على طواعيته وضعفه أمام فضول تلامذته وأتباعه .

**صموئيل الثاني 6:14 "** ***وراح داود يرقص بكلّ قوته فِي حَضرةَ الرّب وَهوَ مُتَنَطِّق بِأَفُودٍ من كتّان*** **"**

## خُرافة طاقة البوريم

**تعقيب المترجم : في الرابع عشر من شهر طوت Tevetالعبري ، يحتفل اليهود السفارديم في مدينة الخليل بعيد ما يسمونه ' نافذة أو طاقة البوريم Purim Taka ' . والطاقة هذه فتحة علوية تؤدي إلى الغار الشريف ( أي مغارة مكفيلة Machpelah ) الكائن أسفل الحرم الإبراهيمي في المدينة ، حيث مدافن الأنبياء إبراهيم وإسحق ويعقوب وغيرهم كما يقال ) .**

من الطبيعي أن تكون هناك العديد من الحكايات الشعبية اليهودية التي تتمحور حول طاقة مغارة ' مكفيلة ' أو طاقة البوريم التي لا يزال سفارديم الخليل يحتفلون بها سنوياً بسبب تحررهم من ضريبة مالية لا تطاق فُرضَت عليهم في الماضي . وأصل الحكاية أنه كان هناك باشا مُغرم بجمع المال . فقرّر سعادته الحصول عليه من رعاياه اليهود . وطلب منهم دفع خمسين ألف قرش تحت طائلة التهديد بقتل الوجهاء منهم وبيع الآخرين كعبيد .

ارتبك الحاخامات بشكل كبير ، لعدم استطاعتهم جمع هذا المبلغ . وفي النهاية لم تسعفهم الوسيلة سوى الكتابة إلى آبائهم الأجلاّء **( إبراهيم وإسحق ويعقوب)** عن مشكلتهم هذه . وبالفعل ، فقد حرّروا عريضة الشكوى وقدموا رشوة لحارس الجامع لإنزالها بالحبل من الطاقة المؤدية إلى مغارة ' مكفيلة ' ذلك لأن الحارس نفسه لم يتجرأ على دخولها . في تلك الليلة ، استيقظ الباشا ليجد إلى جانب سريره ثلاثة حُكماء موقّرين يطلبون منه دفع خمسين ألف قرش وإلا فالموت بانتظاره إذا امتنع عن الدفع . ونظراً لجدّية حديثهم ، فقد تناول الباشاً كيس دراهمه ودفع المبلغ للشيوخ الغريبين

. ومع حلول صباح اليوم التالي ، حضر عسكر الباشا إلى حيّ اليهود لإحضار ضريبة الخمسين ألفاً التي فرضها عليهم . وكان جميع اليهود يصلون في الكنيس لمعرفتهم بأن ساعتهم الأخيرة قد أزفت . دقّ العسكر على باب الكنيس ، وعندما سارع الشمّاس لفتحه لاحظ وجود كيس من المال في حوض ، يغسل المصلون أيديهم فيه قُبيلَ دخولهم إلى الكنيس . وعندما سلّم العسكر الكيس إلى الباشا عَرفَ أنه والمال الذي بداخله هما ما أخذه الشيوخ الأجلاّء منه في الليل الفائت . وهكذا أقرّ الباشا بأن إبراهيم وإسحق ويعقوب قد نهضوا بأنفسهم من قبورهم لمنعه القيام بفعلته الشيطانية ، وأن اليهود هم بالفعل أحباء الله لأن الأنبياء جاؤوا بعد آلاف السنين لحمايتهم من الأذية .

**طاقة البوريم ؟**

## اليهودي الورع

يقال إنه قبل سنوات عديدة مضت فاض نهر هرموس **( أو ما يسمى حالياً نهر غيديز في مقاطعة إزمير التركية)** على ضفتيه . وقد لاحظ بعض المارة بلهفة نعشاً قديماً كبير الحجم يطوف عائماً مع التيار الجارف ، وباءت مساعيهم بالفشل للإمساك به . بعد ذلك حاول اليونانيون أو المسيحيون بدورهم التقاطه ولكن من دون جدوى . وفي النهاية استُدعيَ اليهود ، الذين احضروا النعش إلى ضفة النهر من دون أي صعوبة تذكر . وتبين بعد فتح النعش وجود هيكل عظمي وأربعة مجلدات بكتابات لا

يعرف كنهها سوى اليهود . وقد أعطى الأتراك الكتب لهم واحتفظوا بالهيكل العظمي ، الذي قاموا بدفنه بكل إجلال في جامع أوروم في مغنيسيا **( مقاطعة شرق اليونان)** والذي كان قبل ذلك كنيسة .

وفي عتمة الليل ، رأي الحاخام طيفاً ، ويا لغرابة ما رأى . ذلك الرجل ، الذي دفنه الأتراك بإجلال ، اعترف للحاخام بأنه لم يكن قديساً تركياً بل يهودياً ورعاً ، ثمّ توسل إليه بأن يرفعوا جسده من تلك الأرض غير المقدّسة .

وفي الليلة التالية ، أخرج اليهود عظام الرجل الغريب من القبر خفية وأعادوا دفنها في أرضهم المباركة . وإلى يومنا هذا ، بقي القبر في جامع أوروم فارغاً ، رغم أن أحفاد **(النبي)** إسماعيل لا يعرفون ذلك .

**الحدود الجغرافية للطلاق !**

تعتبر مدينة حلب الحدود الشمالية الأبعد ، والتي يمكن لليهودي الفلسطيني السفر إليها من دون أن يُنظرَ إليه على أنه مسافر مُرتحل . إذ تتضمّن عقود الزواج اليهودية ، المُسجّلة في الأرض المقدسة **( فلسطين)** ، فقرة يعطي فيها الزوج زوجته حق ' الطلاق المشروط ' . ويسري مفعول هذا الشرط إذا ما سافر الزوج إلى بلدان خارجية **( بعيدة)** . أما الحدود الجنوبية لسريان هذا الشرط فيبدأ عند مدينة الإسكندرية . ويهدف هذا الطلاق المشروط إلى حماية الزوجة من الترمّل الدائم في حالة عدم عودة الزوج المغامر وانقطاع أخباره .

**اليديديون أو الجديديون** Yadidin

كنت مهتماً بزيارة مدينة ' مَروْ Merv ' **( في تركمانستان)** لأنني وجدت أنها موطن ألفين من المارانو Marranos **( يهود تحولوا ظاهراً إلى المسيحية في إسبانيا والبرتغال أثناء محاكم التفتيش 1492)** ، إلا أنهم مارانو القرن التاسع عشر . فقبل ثمانين عاماً مضت ، وأثناء حكم والد الشاه الوحشي نور الدين ، اضطُهد يهود مَشهَد إلى أبعد الحدود وخيّروا ما بين الإسلام أو السيف ، فاختاروا الإسلام . ومنذ ذلك الوقت عرفوا هناك باسم ' اليديديين أو الجديديين' . ورغم أنهم قد خضعوا ظاهرياً إلا أنهم لم يتركوا أبداً شعائرهم اليهودية بل بقوا على يهوديتهم الخفية crypto-Judaism خوفاً على حياتهم .

وعند ذهابهم إلى الحجّ في مكة **(المكرمة)** ، يعرجون في طريقهم إلى القدس ؛ فحائط المبكى أكثر قدسية لهم من الحجر الأسود للقبلة . ويقال أن هناك ألفين منهم في مَشّهد ، وخمسين إلى ستين عائلة في مَرو وعدد قليل في عشق آباد وآخرين في بخارى وسمرقند . في سمرقند ، حظيت بشرف أن أكون عرّاباً لإبن يديدي يمارس جميع التقاليد اليهودية بتقى . وكان الولد يشعر ووالده بالخجل الشديد لكونهم يسجدون مؤقتاً في معبد الإله رمّون Temple of Rimmon **( أي يسجدون لغير إله اليهود ، كما جاء في سفر الملوك II ، 5-18)**

## **قرّاؤو مصر ، عام 1888**

قبل الدخول إلى كنيس القرّائين Karaite ، والذي يشبه الجامع بوفرة السجاد على أرضيته ، يتوجب على المرء خلع حذائه . وفي داخل الكنيس ، يقف المُتعبدون أو يجلسوا على السجاد حيث لا توجد هنا مقاعد أو أي أثر للمنبر داخل المبنى . وتختلف طقوس القرّائين بشكل كبير عن تلك المتبعة لدى طائفة اليهود السفارديم ؛ فهم يستشهدون بشكل رئيس بفقرات من التوراة **(لا يعترفون بالتلمود)** . وتقف النساء والفتيات بمرح ، وهنّ بكامل زينتهنّ ، في فناء الكنيس الخارجي . وعندما اقترحت أن آخذ صورة لهن ، تمّ نهيي بأن ذلك مُنكر دينياً .

يعيش القرّاؤون في جزء منفصل عن الحيّ اليهودي . وتعتبر سماتهم الأكثر وسامة من بين من قابلتهم ، حيث لا يمكن تمييزهم عن العرب . ولربما تمّ تهجين هذا العرق عن طريق الزواج المختلط .

وبالفعل ، ينظر اليهود الآخرون إليهم بتعال كأبناء زنا ، ويطلقون عليهم لقب ' مامزريم Mamzerim ' **( أي نسل العلاقات غير الشرعية)** . كما أن اليهود لا يدخلوا كنيسهم أو يختلطوا بهم .

---

**- <u>تسينايد راغوتسين:</u> كاتبة روسية ، هاجرت إلى الولايات المتحدة عام 1874 . ولها عدة مؤلفات في التاريخ الديني والسياسي القديم . في مقالتها " *يهود روسيا والأغيار* (غير اليهود) " المنشورة في مجلة ' سينتشوري '1881 ، تحدثنا عن الحرمان الكنسي الذي يفرضه الحاخامات وسطوة الكاهال والمحاكم اليهودية على يهود روسيا القيصرية ، وعن بعض العادات والتقاليد التي تسيطر عليهم .**

**Russian Jews and Gentiles by Mme Ragozin, Z. , The Century Magazine, Vol XXIII, November, 1881,**

**<u>الحرمان الكنسي</u>**

الحرمان الكَنَسي **(خيريم** Kherem**)** هو الملاذ الأخير والسلاح الأمضى الذي يلجأ إليه كل من الكاهال Kahal **( مجلس إدارة البلدة الخاص باليهود في روسيا القيصرية ودول أوروبا الشرقية )** وبيت دين Beth-din **(المحكمة التلمودية في البلدات والقرى ذات التجمعات اليهودية)** لقمع بدايات العصيان أو لعقاب تمرّد واقعي . والأمر المروّع هو خبث وأذيّة اللعنات التي تُصَب على رأس المُذنب ، وليس من المستغرب أنه حتى اليهود من ذوي التوجهات الليبرالية يُرهَبون ويَرتعدون من عنف هذه اللعنات المُروعة . فاللعنات العامة تصدر أولاً باسم الرب والقوى السماوية ، ومن ثمّ اللعنات الخاصة التي تتبع لكل شهر من أشهر السنة **(العبرية)** وعلى الشاكلة التالية : " إذا كان المُذنب مولوداً في شهر نيسان ، وهو الشهرالذي يَحكمُه المَلاك الرئيس أوريل Uriel ، فيمكن لعن المُذنب بأوريل أو بأحد

أتباعه من الملائكة " والأمر مشابه لبقية الأشهر الأحد عشر من السنة . ويلي ذلك أيام الأسبوع والفصول الأربعة ، ومن ثمّ اللعنات الأخيرة ، والتي لا يمكن إنكار قوتها الشاعرية : **( مختصرة من الأصل !)**

" لتُعجّل نكبة الربّ بمباغتته (**أي مُباغتة المُذنب**) ! ؛ اكسرهُ واحنيه أيها الرب الخالق ! ، لتلاقيه العفاريت . لتحلّ عليه اللعنة أينما كان ، ولتخرجْ روحه فجأة . ليحلّ عليه موت قذر بحيث لا يُكمل شهره هذا ! ليرسلْ له الرب السلّ ، الحمّى الدماغية ، الالتهاب ، الجنون ، القرحة واليرقان ! ليُخرَقَ صدره بسيفه ولتُكسَر أقواسه ! وليكنْ كقشة في مهب الريح ! . ليطارده ملاك الربّ و لتُحدقَ المخاطر بدربه ويغطيه الظلام ! وليُواجه بيأس كئيب ، وليساق من عالم النور إلى عالم الظلام ! . لا يسامح الرب هذا الرجل بل لتحلّ اللعنات عليه كما سُطّرتْ في الشريعة ! "

وكأن كلّ هذه اللعنات والدعوات لا تكفي . فعلاوة على ذلك ، يكتمل شَجبُ ( **المُذنب**) من خلال تعميم يوجّه إلى " عقلاء وحكماء الأمة " بإبلاغهم إن " ابن إسرائيل" قد تمّ طرحُه في الظلام الخارجي . وبعد التحية والسلام وتعداد آثام الشخص المُتهم ، يتابع الكاهال تعميمه بالقول :

" *ولهذا فقد أخضعناه للحرمان الكنسي . وعلى غرار ذلك ، فهل تعلنونَ على عامة الناس* (**من اليهود**) *بأن خبزه هو خبز الأغيار* (**غير اليهود**) ، *وأن خمرهُ هو خمر الوثنيين وأن خضرواته نجسة وأن كتبه مثل كتب السَحَرة . عليكم ألا تأكلوا ولا تشربوا معه ولا تقيموا له طقوس ' تطهير' ابنه ولا تعلموا أولادهُ شريعة اليهود . لا تدفنوا موتاه ولا تستقبلوه في أي جمعية . وعليكم أن تغسلوا الكأس التي شرب منها . وفي أي وجه من الأوجه ، يجب التعامل معه على أنه غير يهودي.* "

## المناسبات الخاصة

مهما كانت العائلة اليهودية بائسة فهناك مناسبتان - العرس وختان(**الطهور**) الإبن - لا يمكن فيهما تفادي دفع مبلغ محدد للاحتفال بهما . وهنا يُدعى الضيوف ويُقدم الطعام ويُستأجر الموسيقيون . وفي أي من هذه الأمور لا يسمح لصاحب الدعوة بحرية التصرف وفق ميوله أو رغباته ، بل عليه أن يتبع معايير وتعليمات قد تكون مضحكة لسخافتها لولا أنها تثير جميع مشاعر استقلالية الفرد والكرامة الإنسانية .

وهنا نشير إلى بعض من هذه التعليمات : يجب ألا يتجرأ أحد على تقديم مأكولات قوامها الكعك والفودكا فقط ، في احتفالات الختان . بل يجب تقديم وجبة لحم من عند ' الشخّاط ' ؛ وإذا كان

صاحب الدعوة فقيراً ، فعليه تقديم اللحم لما لايقل عن عشرة أشخاص . وفي حالة الفقر المدقع ، يمكن إعفاؤه من ذلك بعد الحصول على موافقة من الكاهال . ويحظر على الزوار القادمين لتقديم التهاني لولادة الابن أو الإبنة ، وكذلك على الأبوين ، تذوّق مأكولات على شاكلة الكعك والفواكه المحفوظة والحلويات بمختلف أنواعها ، تحت طائلة الحرمان الكنسي ' خيريم ' .

وفي الأعراس يُحظر تقديم كعكة كبيرة محشوة بالفواكه المحفوظة . ويُسمح لكل عائلة بإقامة احتفال واحد ، قبل وبعد العرس . " لا يسمح بأكثر من ثلاثة موسيقيين في أي عرس كما لا يسمح لهم بالأكل أكثر من ثلاث مرات " . يسمح بمناسبة الختان دعوة " الأقارب حتى الدرجة الثالثة فقط وجارين متتالين على طرفي المنزل وثلاثة عبر الشارع و مُعلم أبناء المُضيف وعدد محدود من الأشخاص الآخرين ". ولا يسمح بإرسال الدعوات إلا عبر بيت- دين **( المحكمة التلمودية )** .

من المعروف أن اليهود الأرثودوكس حريصون على شكليات طعامهم ، وكيف أن لهم استثنائيات خاصة تتعلق بكيفية ذبح وطبخ لحومهم تبعاً لتعليمات صارمة جداً مبينة في التلمود ؛ واشمئزازهم الكبير والثابت في مشاطرتهم الطعام مع غير اليهود . ولكن ما هو غير معروف عامة أن خصوصيتهم هذه ، التي تُحترَم في كل مكان كوجه من وجوه تقيدهم بتعاليم ديانتهم ، تمسّ بشكل كبير ، وبشكل مباشر أو غير مباشر ، صحة الجماعات التي يعيشون بينها . فمن المعتقد أن الفرق بين لحم الكوشر kosher (**المسموح به دينياً** ) والتريفاه trefah (**غير المسموح به دينياً**) يرتبط بتفاصيل تافهة في طريقة الذبح ، كشكل السكين وحدّته وموضع الذبح في الحيوان وغيرها .

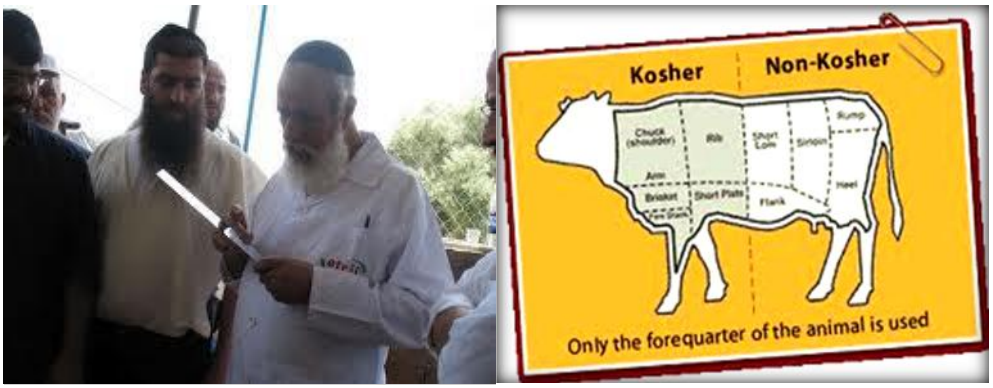


**الجزء الأمامي (كوشر) مخصص لليهود والجزء الخلفي (تريفاه) من نصيب غير اليهود !! . موافقة الكاهال على السكين !!**

فلو كان الأمر كذلك ، فليس من الضرر إيصال اللحم إلى المسيحيين ، والذي يعتبره أخوتهم اليهود الذين يصعب إرضاؤهم غير مناسب لهم . ولكن هذا ليس كل شيء . فإذا تبيّن لليهود ، بعد ذبح

الحيوان ، أن أعضاءه الداخلية كالمخ أو القلب أو الكبد إلخ .. تعاني من أي خلل ولو بسيط أو داء ما فتعتبركامل الذبيحة محرمة ، وتُباع في الأسواق للمسيحيين **!( أو لغير اليهود)** .

فليس من المستغرب إذاً نفور اليهود الشديد من طعام المسيحيين ، نظراً لمعرفتهم بأن معظم اللحوم التي يبيعونها لهم ليست أفضل من الجيَفْ . كما لا يشعرون بتأنيب الضمير لهذا العمل الجائر ، نظراً لأن شريعتهم الموسوية تقول بجلاء تام في كتاب التثنية 14 : 21 " *لا تأْكُلُوا جثَّة حيوانٍ ميت، بل أَعطوها لِلْغريب الْمقيم في جواركم فيأْكلَها أَو يبيعها لأَجنبي، لأَنكم شعب مقَدس للرّب إِلَهكم* ."

---

**- <u>ريتشارد أندريه</u> ( 1835-1912 ) جغرافي ألماني كان من أوائل معدي أطلس العالم . كان من بين اهتماماته إجراء مقارنات بين مختلف الإثنيات والأعراق . في كتابه " *نحوالمعرفة الاجتماعية لليهود*" ، 1881، يروي أندريه الطريقة المتّبعة للتكفير عن ذنوبهم في عيد الغفران .**

**Zur Folkeskunde der Juden, von Andree,R., Bielefeld, Velhagen Verl.,1881**

**<u>الديك والدجاجة</u>**

في الصباح قُبيّلَ عيد الغفران **(يوم كيبور)** ومع انتهاء أيام الكفّارة ، يحتفل اليهود بطقوس تشابه في مغزاها ' كبش الفداء ' . إذ يأخذ كل رجل ديكاً وكل امرأة دجاجة ، يفضّل أن يكونا أبيضي اللون ، وفق ما ورد في كتاب أشعياء 18:1 " *إن كانت خطاياكم كلطخات قرمزية فإنها تبّيضُ كالثلج* " . بعد ذلك يُقرآ المزمور 107 ومن ثمّ سفر أيوب 33 : " 23 *إِنْ وجِد لَه ملاك ، شفيع، واحد من بين أَلْف ، ليعلن للإِنسان ما هو صالح لَه* . 24 *يترأف عليه قائلاً: أَنقذهُ يا رب من الانحدار إِلَى الهاوية ، فَقد وجدتُ لَه فدية* " . وهذه الفدية هي الديك أو الدجاجة ، التي يُديرها اليهود حول رؤوسهم ثلاث مرات ويرددون أثناءها : " *هذا الديك (الدجاجة) هو وكيلي ويحلُّ محلي وهو كفّارتي* Kapporah ؛ *وقد حُكم عليه بالموت* **(افتداءً)** *لحياة بهيجة لي ولكل إسرائيل* " . وما أن تنتهي عملية انتقال ذنوب اليهود إلى ' ديوك ودجاجات الافتداء ' حتى يتمّ ذبحها ثمّ طهيُها وأكلها . أما أحشاؤها فترمى في العادة فوق أسطح المنازل .

---

**- <u>كلود رينيه كوندر</u> ( 1848-1910) : ضابط في سلاح الهندسة البريطاني ومُستكشف . قام بأعمال المسح والتجسس في فلسطين ، اعتباراً من عام 1872 ولعدة سنوات لحساب "صندوق استكشاف فلسطين PEF" البريطاني . له العديد من المؤلفات ، منها " *الأعمال الجوالة في فلسطين* " ، 1878 و "*مذكرات ، مسح غرب وشرق فلسطين*" ، 1880 .**

***Tent Work in Palestine*, by Conder, C.R. , London: Bentley,1879 ,Vol.1**

**<u>خرافات</u>**

تلبس اليهوديات أحياناً الزي المحلي المغطى بالمئزر وأحيانا أخرى أثواباً أوروبية وتغطين رؤوسهن بالشالات . أما الرجال من المذهب الفرَسي Pharisees وبعض المذاهب الكنسية الثانية فيتميزون بجدائل شعرهم الطويلة والنحيلة المتدلية فوق آذانهم وخدودهم . جدائل ، تعتبر الأكثر قباحة في أعين الأوروبيين والأكثر خنوثة يمكن للمرء أن يبتدعها .

وضع النساء اليهوديات لا يحسدن عليه ، إذ يتم الطلاق منهن لأبسط الذرائع ، وحتى لمجرد إعداد سيء لوجبة عشاء . وبالتالي فهن يعشن في حالة من القلق الدائم . وفي إحدى المناسبات ، قابلتُ يهودياً له ثلاث زوجات ، تزوجهن خلال عدة سنوات . وأعتقد أن هذه ليست حالة فردية . تؤمن النساء اليهوديات بالخرافات إلى أبعد الحدود ، وقيل لي أنهن يمزجن قُلامات أظافرهن أو خصلات شعرهن مع أطعمة أزواجهن لضمان استمرار عاطفتهم ومحبتهم .

**للرجال فقط . دخول النساء ممنوع بتاتاً**

## النار المقدّسة

في الأعوام 1873 و1875 حضرنا ما يسمونه مسيرة ' النار المقدسة Holy Fire ' ، حيث أُخذنا إلى موقع في الرواق اللاتيني يُطلّ على قبة **(كنيسة القيامة)** غربي القبر المقدس . في الشمال ، كان يبرز مشهد مخالف تماماً . هناك تقف جمهرة من المسيحيين اليونان **(الأرثوذكس)** ، غالبيتهم سوريو المولد وهم في نوبة هيستيرية لا تسمح لهم بالسكون للحظة بل وتزداد شدة . وبين الحين والآخر ، يتسلق رجل على أكتاف جيرانه ؛ وفي إحدى المرات امتدت ستة أذرع لحمل رجل والحفاظ على توازنه . وفي مرة أخرى كان هناك رجل آخر يُدفَع ويُدحرج فوق رؤوس الناس ، كما لو أنه يسبح. هؤلاء الرجال ، المحمولين على الأكتاف ، أصبحوا بعيد ذلك قادة المسيرة بهتافاتهم المتعددة ، التي استطعت جَمعها **(وترجمتها)** . أبرز هذه الهتافات التي كانت ترددها مئات الحناجر في وقت واحد :

- *هادا* **(هذا)** *قبر سيدنا*

وهتاف آخر بالإيقاع ذاته :

- *اللهم انصر السلطان*

أما الهتافات التالية فكانت تسمع بالكاد :

- *يا يهود ! يا يهود ! عيدكم عيد القرود*

والهتافات الأطول والتي ترددت تكراراً :

- *المسيح أتانا*

- *وبدمّو* **(أي بدمه)** *اشترانا .*

- *الناس اليوم فرحانا*

- *واليهود حَزانا .*

- *سبت النور عيدنا*

- *وهادا قبر سيدنا*

---

**- <u>سارة هانتينغتون سميث</u> ( 1802-1836) : زوجة المُبشر والمستشرق إلي سميث . أرسلت وزوجها إلى سوريا من المجلس الأمريكي للإرساليات التبشيرية الخارجية حيث تعلمت العربية وأسست مدرسة للبنات في بيروت . بعد وفاتها المُبكرة ، نشر المُبشر إدوارد هوكر كتاباً لمذكراتها بعنوان " مذكرات سارة ل. هانتينغتون سميث " ، 1840**

***Memoir of Mrs. Huntington, Sarah L.*** **by Hooker, E.N.Y., The American Tract Society,1840**

نابلس ، كما تسمى الآن ، مدينة كبيرة ومزدهرة جداً ، تطوقها حدائق خصبة تسقيها جداول رائعة . ويقال إنها موطن 10000 نسمة ، معظمهم محمدانيون **( مسلمون)** . قمنا بزيارة **(للطائفة)** السامرية Samaritans وكنيسهم . ويبلغ عدد هذا العرق القديم واللافت للنظر ، المتحدّر من منطقة " كوثا Kutha " **(حالياً تل إبراهيم في العراق)**، الآن حوالي المئة شخص . بداية زرنا عائلة الكاهن ؛ وبعد تردَد ، سمح لي رغم كوني امرأة بمرافقتهم إلى الكنيس . وهناك أطلعونا على نسخة من التوراة المكتوب بلغتهم الأصلية ، مدّعين بأنه يعود إلى 3400 سنة خلت . والتوراة هو الجزء الوحيد من كتب اليهود المقدسة الذي يعتبرونه مُلهَم من الله .

ولقد أسرّوا لنا بكل صراحة بأن جميع الأنبياء ' كاذبون' . ورداً على سؤالي حول وجود علاقة مودّة الآن بينهم وبين اليهود ، نفوا ذلك بكل ازدراء . وهم يتوقعون مجيء المسيح ، والذي سيكون مجرد رجل سيجعل من " سوخار Sychar **( مدينة في السامرة قرب نابلس)** عاصمة لمملكته .

**السامريون**

---

**- <u>الليدي إيزابيل بورتون</u> (1831-1896): كاتبة بريطانية وزوجة المستكشف والقنصل البريطاني في دمشق الكابتن ريتشارد بورتون . أقامت في سوريا لمدة 4 أعوام (1869-1873) وألفت العديد من الكتب ، أهمها " *خفايا الحياة في سورية وفلسطين والأرض المقدسة* " ، 1875 ، وكتاب " *المغامرات الرومانسية لإيزابيل ليدي بورتون* " ، 1897 .**

***The Inner life of Syria, Palestine, and the Holy Land*** **by Burton, I. , London: King, 1875.**
***The Romance of Isabel Lady Burton.The Story of her Life*****, New York: Dodd, Mead, 1897**

**<u>شايلوك دمشق</u>**

في جميع الأزمنة ، كان لليهود مواقع معينة في سورية ، ذلك لكونهم خبراء ماليين للبلد . وحتى قبل الحقبة المصرية في سورية (**أي حقبة محمد علي باشا**) كان حاييم فارحي قادراً على إهانة وإفلاس عبد الله باشا حاكم عكا . وفي زمن إبراهيم باشا ، أي قبل أربع وأربعين عاماً ، دخل قليل من اليهود تحت الحماية البريطانية وهذا ما زاد من نفوذهم . وأثناء مجزرة عام 1860 ، زادت ثروة يهود سوريا بشكل كبير حيث حصلوا على دعم بريطاني من قبل السير موزيس مونتيفيوري والسير فرنسيس غولدسميد وآل روتشيلد . وهكذا أصبح القنصل البريطاني ' مأموراً لتحصيل الديون ' الخاصة باليهود .

وعندما ذهبنا إلى سورية ، وجدناهم يعصفون بكامل البلد ، وأعني هنا فقط بضع مُقرضي المال منهم (**المُرابين**) . فبعد وصول ( **القنصل البريطاني الجديد**) الكابتن بورتون إلى دمشق عام 1869، حضر إليه " شايلوك رقم1 shylock " ورَبَتَ على ظهره بشيء من التنازل وأخبرهُ بأن لديه 300 قضية له تتعلق باسترداد ديون بمقدار 60000 جنيه . وقد أجابه الكابتن بورتون : " *أعتقد ياسيدي أنه من الأفضل لك استئجار ودفع رواتب قنصل لك وحدك ، فأنا لم أرسل إلى هنا لأكون ' مأموراً لتحصيل الديون' أوالضرب على كتف الفلاح من أجل قضية تشبه قضاياك* " .

**شايلوك شكسبير كما تصوّره الغربيون**

وكان أن هدّد اليهودي الكابتن بورتون بالشكوى إلى الحكومة البريطانية ، فأجابه الأخير : "*إلى حد بعيد ، هذا أفضل شيء يمكنك فعله . فلست قادراً على تغييرمسيرة مهامي الصريحة* " . بعد ذلك حاول ' شايلوك ' الأمر نفسه معي بهدف التأثير على زوجي ، وكانت إجابتي بأن زوجي لم يكن يسمح لي التدخل في شؤون العمل .

في دمشق ، كان هناك دوماً من يحاول تشويه صورتنا مع حكومتنا ويرسل تقاريره الكاذبة إلى وزارة الخارجية . وكان سبب عداوة البعض لنا أن ريتشارد وجد من الضروري إبلاغ اليهود بأنه لن يساعدهم في مساعيهم فرْضَ الربا غير العادل على السوريين . فقد كانت عادة بعض شيوخ وفلاحي القرى الجَهلة عقد اتفاقات كارثية مع اليهود ، وكان ابتزازهم مُروّعاً . وعلاوة على ذلك ، اشتبه ريتشارد بأن بعض المُرابين اليهود كانوا يشجعون المذابح بين المسيحيين والمسلمين ، ذلك لأنهم ، ولكونهم يعيشون في أمان تام هنا ، بإمكانهم جنيَ الأرباح من تلك الأحداث المُرعبة عبر شرائهم الأملاك والعقارات بأسعار رمزية . فقد أُبلغَ ريتشارد بأن صبيين يهوديين يخدمان لدى سادة يهود ، يخضعون للحماية البريطانية ، قد أُعْطيا إشارة واضحة لرسم صلبان على الجدران *

**(وكانت هذه إشارة لمذابح عام 1860)** .

لقد حقّق ريتشارد في الحادث فوراً ، وقام برفع الحماية البريطانية عن أسيادهم بشكل مؤقت . وقد رأى بعض مُقرضي المال اليهود ممن يكرهون ريتشارد لوقوفه في وجه ابتزازهم واستغلالهم للكادحين في ذلك فرصة لطرده من منصبه ، وهكذا ، فقد أبلغوا الأمر إلى بعض الأعيان اليهود في إنكلترا مدّعين بـأنه قد قام بتعذيب الصبيّين . وفي الواقع فإنه لم يقم بمعاقبتهما بأي شكل أكثر من

تأنيبهما . وكان اليهود الأغنياء في إنكلترا توّاقين إلى إعادتنا من سوريا فأشاعوا بإننا من الداعين لكراهية اليهود . وللمفاجأة ، كتب السير فرنسيس غولدسميد **(مصرفي يهودي- بريطاني)** إلى وزارة الخارجية التالي : "*سمعتُ أن الليدي ، زوجة الكابتن بورتون ، كاثوليكية متعصّبة ومن المرجّح أنها حرّضته على اليهود* " .

**المصرفي السير فرنسيس غولدسميد**

ورغم وجود حقوق للمرأة ، لم يكن مسموحاً لي بالردّ على السير فرنسيس غولدسميد علانية . وعندما سمعت ما قاله ، لم أتمالك نفسي من إرسال إفادة واقعية حول حقائق الحادثة إلى اللورد غرانفيل **(وزير الخارجية)** مرفقة بالرسالة التالية :

قنصلية جلالتها البريطانية ، دمشق ،
29 تشرين الثاني/نوفمبر ، 1870
سيدي اللورد ،

" *كانت لدي دوماً قناعة ، بأن هناك اتفاق سادة* **(الجنتلمن)** *ينصّ على عدم إقحام إسم سيدة في الشؤون العامة ، ولكنني أقبلُ بكل سرور الإطراء الذي منحني إياه السيد* ( --- ) *عند تعامله معي كرجل ، إذ مَكّنني من الحصول على امتياز كتابة رسالة رسمية لكم ، وإرسال نسخة عنها له إذا وجدتم ضرورة في ذلك . لقد وافق السيد* (---) *على سلسلة المغالطات التي نقلها إليه ثلاثة أشخاص من كبار مُقرضي الأموال في دمشق لأنهم إخوته في الدين . وجَزمَ بأني كاثوليكية متعصّبة وبالتالي أنني أثّرتُ زوجي ضدهم . أنا لست بمستوى تعصّب السيد* (---) *. إذ لو قام ثلاثة من الكاثوليك بفعل نصف ما فعله هؤلاء اليهود الثلاثة ، فلن يهدأ لي بال أبداً قبل أن أقدمهم للعدالة . إذ لا أملك في العالم أي تعصّب سوى تعصّبي ضد النفاق .*

*ولربما نكون ، زوجي وأنا ، الأكثر ملاءمة في مدينة كدمشق ، مدينة يُقسّمها إثنان وثلاثون ديناً . فنحن لا نتحرى إطلاقاً عن ديانة أي كان ، كما لا نجعل من الدين شغلنا الشاغل . وبالتالي لا يمكن لزوجي أن يكون مناسباً للحياة العامة إذا ما سمح لي بالتأثير عليه على النحو المشار إليه ؛ وسأكون غير جديرة كزوجة لأي رجل صالح إذا ما حاولتُ ذلك . فديني هو دين المستضعفين . لا توجد حرب دينية بيننا وبين اليهود . بل هناك رفضٌ لاستخدام اسم انجلترا في مساعدة ثلاثة يهود أغنياء ونافذين على أفعال جائرة واضطهاد للمُستضعفين كسجنهم أوتركهم يموتون في المعتقل من اجل اغتصاب ما ليس لهم القدرة على إعطائه . كما أن هناك عدم استجابة لإتمام صفقات مالية مشبوهة وأجنبية باسم حكومة جلالتها .*

*وإضافة لذلك ، كان من الضروري لمرة أو مرتين ، منع اليهود من تحريض المسلمين على القتل . قتل لم يعانوا هم منه ؛ بل يشبعون فيه كراهيتهم للمسيحيين الضحايا الحقيقيين . ولا أظن أحداً يكنّ الاحترام للدين اليهودي أكثر من زوجي ومني ، أو لليهود لكونهم مختارين من الرب ، وأنهم الأقدم بين الناس . وكما لدى جميع أعراق البشر ، يحيدُ البعض عن جادة الصواب وهؤلاء يتوجب معاقبتهم . لقد مضت ثلاثة أشهر على جميع هذه الشكاوى والتلفيقات ؛ وما يقوله يهودي واحد يردده الآخرون من دون تدقيق . فهناك مثل شائع يتردد هنا بأن من يقول ' نعم ' لهؤلاء سببه امتلاكهم للمال . وهؤلاء الثلاثة يعتمدون على نفوذ رجل أو رجلين* **(بريطانيين)** *على شاكلة السيد (---) ، ويستغلون سذاجتهم وحماسهم الديني لدعم أفعالهم السيئة أو إخفائها . ولكن ، أيقبل مثل هؤلاء الرجال حماية مُرابين محتالين فقط لكونهم يهوداً ؟*

*أرفق لكم إفادة صادقة عن الواقعة ، إضافة إلى بعض الرسائل الخاصة ، إحداها من أحد مبشّرينا الرئيسيين وأفضلهم ، والتي ستبيّن لكم بعض الشعور الإيجابي تجاهنا هنا .*

*مع الاحترام ، سيدي اللورد ، خادمتكم المطيعة والمتواضعة إيزابل بورتون " .*

*** <u>حاشية للكاتبة الليدي إيزابيل بورتون</u>**

**في 26 أغسطس / آب تلقى القنصل البريطاني ، الكابتن ريتشارد بورتون ، الرسالة التالية من المترجم الرئيسي في القنصلية البريطانية بدمشق ناصيف مشاقة : " إن المسيحيين في دمشق في حالة من الاستنفار الشديد وغادر معظمهم إلى صيدنايا ، والآخرون منهم في صدد المغادرة إلى أماكن أخرى . إن أسباب استنفارهم تعود إلى الحقائق التالية . لقد رُسمَت علامات الصليب**

**في الطرقات بنفس الطريقة التي سبقت مذابح عام 1860 . ففي 23 من الشهر الحالي ، قبض محمد رشيد ، المفتش السري الحكومي 'Teftish' ، على حدَث يهودي في الثانية عشرة من عمره ، يخدم لدى سلومون دونمبرغ المتمتع بالحماية البريطانية ، وهو يرسم صلباناً على خزانة جامع يقع في السوق الجديد .**

**والبارحة ، قُبض أيضاً على حَدث يهودي آخر ، يعمل في خدمة اليهودي الفرنسي ماركو. وقد أُخذ هذان الحدثان إلى الحكومة . ولكونهما صغيران ، فقد أطلق سراحهما بناءً على أمر من ' مجلس تمييز الحقوق ' "**

---

**- <u>تشارلز دودلي وارنر</u> (1829-1900): روائي وصحافي ورحّالة أمريكي ، كان معاصراً وصديقاً للكاتب الشهير مارك توين وله العديد من المؤلفات والمقالات . المقتطفات التالية هي من كتابه " في المشرق " ،1893 الصادر في جزئين .**

***In the Levant* by Warner , C.D., Boston: Houghton, 1893**

**<u>عائلة دمشقية</u>**

في البيت اليهودي الأول الذي دخلناه ، استقبلتنا العائلة بأكملها كباراً وصغاراً ، أعماماً وخالات ، متزوجين وعزاباً . وكانت الفتيات الصغيرات يرتدين ثياباً بيضاء ؛ وجميعهن ، عدا الصغيرات جداً منهن ، يتقلدّن الألماس . إحداهن كانت عروساً في الثانية عشرة من عمرها وسيعقد زواجها في العام القادم . وكانت ترتدي صدرية من الحرير الأبيض تتلألأ بالألماس .

ومن الواضح أن الفتيات كنّ يتقلدن ألماس العائلة بأجمعها . وكنت أتخيل أن بازار ' موسى' **(سوق صاغة اليهود في دمشق)** قد أفرغ من محتواه . وبالتأكيد ، لم نرَ مثل هذا التباهي في خزنة مجوهرات السلطان .

ولقد وجدنا الأزياء نفسها في بيوت أخرى زرناها لاحقاً . شابات كنّ فعلياً مغطيات بهذه الأحجار الكريمة . أكاليل في الرأس ودبابيس وقلادات وأرطال من الألماس المتلألئ ، لقد أضحتْ قيمة هذه

المجوهرات في أعيننا ، بعد مدة ، كقيمة الزجاج . وبدت بالنسبة لنا مبتذلة ورخيصة . وإذا ما تمكن أحد الأشرار من إقناع إحدى هذه المخلوقات المتلألئات بالهرب والزواج منه ، فسيكون لديه من الكنوز ما يكفي لافتتاح معهد لهداية اليهود إلى المسيحية .

يتجوّل جميع نساء وأطفال العائلة في البيت وهم ينتعلون صنادل خشبية **(قباقيب)** ، مُطعّمة ببراعة بالعاج أواللؤلؤ ، وتعلو بهم حوالي ثلاثة بوصات عن الأرض . وهم يقعقعون بها مع كل خطوة . وبالطبع ، فإن المشي الأنيق على هاتين ' الطوّالتين stilts ' الصغيرتين أمر مستحيل . وهكذا تمشي النساء مثل الدجاجات اللاتي قد جُمّدتْ أصابع أقدامهن .

**" .. بازار موسى أفرغ من محتواه .."**

## الشَكْ!

عندما دخلنا القطاع اليهودي من المدينة **(القدس)** وجدنا أنفسنا في أزقة ومزاريب كريهة يتعذر المرور فيها وخالية من الحيوية والإثارة باستثناء سكانها. وقد دفعنا الفضول إلى البحث عن يهود حقيقيين من النمط الذي سكن المدينة في حُقبة أبانا **(يسوع المسيح)** ، إلا أننا شاهدنا العديد من ذوي البشرة الجميلة والشعر الفاتح والأنف المستقيم والقسَمات الاعتيادية .

فالأشخاص الذين اعتدنا على تسميتهم باليهود ، والمُوزعون في أوروبا في الحقبة الأولى من التاريخ المعاصر، لهم قسَمات وسمات الآشوريين بأنوفهم المعقوفة وشعرهم وعيونهم الداكنة ، وليس إطلاقاً قسمات عرق أشقر الشعر، يفترض أن مُخلّصنا ومُنقذنا **( يسوع)** قد تَحدّر منهم . فمملكة إسرائيل ، بقبائلها العشر ، التهمها الآشوريون في الفترة الزمنية التي تأسست فيها روما . ومنذ تلك الحقبة ، لم يعد لتلك القبائل أثر في التاريخ .

ويعتقد بعض العلماء ، الباحثين في هذه المسألة ، أن اليهودي الذي نعرفه في أوروبا وأمريكا ليس من السلاسة المباشرة ليهودي القدس ، وأن السلالة الحقيقية ليهودي القدس هو صاحب الشعر الفاتح والأنف المستقيم والذي نصادفه أحياناً في القدس في هذه الأيام . وإلى أن تُحلَّ هذه المسألة العرقية الإثنية ، فسأتوقف ، بالتأكيد، عن مساهمتي الضعيفة في " إعادة restore " أولئك الأشخاص **(إلى فلسطين)** الذين يمارسون العمل التجاري لدى الأمم الغربية بدعوى أنهم يهود .

## حائط النحيب والبكاء

في اليوم الذي زرنا فيه الموقع **(حائط المبكى)**، لم يكن هناك أكثر من عشرين يهودياً حاضراً بدوا كممثلين مسرحيين في هذه الشعائر الدينية المهيبة . لم ينتحب هؤلاء كثيراً بل كانوا يُتمتمون الكتب المقدسة ويأرجحون أجسادهم إلى الأمام والخلف . سأكون آخر من يشكّ بمدى استمتاعهم بهذه التعاسة المؤلمة . إلا أن المنظر كان يبدو أشبه بعمل مسرحي . فأثناء أدائهم للشعائر، كان أحد الدهاة ' الإسرائيليين ' يدور بعلبة بين المتفرجين لجمع بعض القروش منهم .

لقد قلت لنفسي ، لو أن هذه الشعيرة الدينية حقيقية وغير زائفة ، فليس لي مكان هنا أنا وفضولي الواضح ؛ وإن كانت الشعيرة زائفة وغير حقيقية ، فهي من أكثر العروض هزالة يمكن أن تقدمها مدينة القدس للسائحين فيها .

**" ... وأثناء أدائهم للشعائر ، كان أحد الدهاة الإسرائيليين يدور بعلبة بين المتفرجين لجمع بعض القروش منهم ... ".**

**التعويذة**

تتكون التعويذة من علبة جلدية صغيرة Tefillin متصلة بشريطين رفيعين . وتحتوي العلبة على لفافة سُطّر عليها كتابة مقدّسة . وعندما يمارس المتعبد صلاته في الكنيس ، يربط تعويذة على ذراعه اليسرى وإخرى حول رأسه ، بحيث يبرز الصندوق الصغير كقرن جلدي في أعلى جبهته .

وأياً كانت القيمة المعنوية للتعويذة عند اليهودي فيما مضى ، فيبدو أنها فقدت رمزيتها حيث أنه يرغب الآن ببيعها كسلعة تجارية . ولربما دفعه الفقر لبيع تعويذته العتيقة والتي قد يعود صنعها لقرون خلت . كما يقوم بعض المحتالين بتعتيق اللفافات الجديدة لتبدو قديمة .

**" .. ويبرز الصندوق الصغير كقرن جلدي في أعلى جبهته .. "**

---

**- ألبرت بايسون ترهيون** (1872- 1942): **كاتب وروائي وصحافي أمريكي ألفّ عشرات الروايات . في كتابه "** ***سوريا من على صهوة الحصان*** **" ، 1896 يروي ترهيون انطباعاته عن رحلته إلى كل من سوريا وفلسطين**

***Syria From The Saddle*** **by Terhune , A.P. , NewYork: Silver, Burdett Co., 1896**

**أثرياء الحرب**

لقد كان واحداً من أكثر رجال دمشق ثراءً ؛ كان يهودياً وسأطلق عليه اسم ' *إسماعيل* ' . اسمه الحقيقي معروف جداً في سوريا بما لا يسمح الإفصاح عنه هنا * .

قلت له : "*لا بد أنك رجل سعيد جداً* " وأنا أعني حقيقة ما أقول ، فحياته هادئة ومحسوسة . يتناول شراب العرق سوس وأرجيلة وفق رغبته بين أزهارشجرة البرتقال ورذاذ نافورة البحرة البارد . لا عُجالة ولا مشاكل في العمل ويتمتع بالكثير من النوم - كل هذا يخلب لبّ رحّالة قادم تواً من أرض شعارها ' خُلقَ الإنسان ليُسرعْ ' . إلا أن اليهودي كان له رأي آخر .

- "*أتقول سعيد* **!** " ، هتف بتنهد عجيب : "*آه ، ياسيدي ، ليس كل ما يلمع ذهباً* " . ومن دون انتظار لاستفساري ، اندفع في سرد مُسهب لشكواه ومفاده أنه قد أفلس بسبب دَين ظالم . ورغم أنه من الرعايا البريطانيين ، فقد رفضت الحكومة البريطانية تقديم الحماية له . سألني إذا كان بإمكاني الكتابة إلى الحكومة عن ذلك بعد عودتي إلى بريطانيا ليحصل على العدالة ، وقال إنه سيكون مديناً لي طوال حياته ، وإلى آخر مثل هذا الكلام ...

بعد وداع هذا ' اللورد ' الساخط ، سألت مرافقي **(وداليلي)** أيوب عن مدى صدق تلك الرواية البائسة التي سمعناها من الرجل للتو .

- " *لا صحة لها على الإطلاق* " كان ردّه ، "*فاسماعيل العجوز مَدينٌ لحكومتنا ولم يكن ينوي سَداد المبلغ ، وهكذا ناشد إنجلترا لإنصافه ؛ وفي الوقت ذاته حاول خفية إيجاد تسوية مع وكيل السلطان***(العثماني)** *مُحرّضاً الدولة على الأخرى . إلا أن الدولتين اكتشفتا المخطط ورفضتا مساعدته ، وبالتالي ، فستتم مصادرة جميع أملاكه - وهو ما تطلقون عليه لقب مُفلس . لقد كانت خطيئته هو ، وسيُباع بيته وأثاثه لوفاء ذلك الدين* " .
- "*ولكن ماذا سيحلّ بإسماعيل* ؟ " ، سألتُ أيوب
- " *آه ، سيذهب إلى الشيطان* " ، ثمّ تابع أيوب كلامه : " *إن إسماعيل هو واحد من الرجال الذين أصبحوا أثرياء من خلال المذبحة* **(عام** 1860**)** . *وكما تعلم ، لقد فقد المسيحيون واليهود آنذاك جميع أملاكهم على حدّ سواء . فقد أُحرقتْ بيوتهم وسُرقت أموالهم وهذا ما أغضب الحكومة . وبعد وقف عمليات السلب ، أمرتْ بتعويض كل شخص تعرض للأذى أو السرقة . وهنا ، تقدم إسماعيل وكثير من اليهود ، الذين لم يكونوا يوماً أغنياء ، وأقسموا بأن ثرواتهم الكبيرة قد سُرقت وأن آباءهم وإخوتهم ، الذين قتلوا في المذبحة ، كانوا أيضاً أثرياء . و قدّم هؤلاء وورثتهم جميعا طلبات بالتعويض . وقد قامت حكومتنا السَمحة بدفع المبالغ المطلوبة مهما بلغت .* "

لقد تذكرتُ عدداً من الصفقات العبرانية الماكرة التي شهدتها في بلاد الغرب ، ولكني لم أجد ما يشبه هذا الأسلوب في استغلال أحد موت عائلته أو أصدقائه كنقطة انطلاق للوصول إلى الثراء .

*** <u>تعقيب المترجم</u> : من المُرجّح أن ' *إسماعيل* ' هو واحد من عائلة ' *الفارحي* ' الدمشقية فاحشة الثراء .**

**---------- ---------**

**- <u>السيدة ماكنتوش</u> مؤلفة كتاب " *دمشق وأهلها ، مشاهد من الحياة المعاصرة في سورية* "، 1883 . لا تتوافر معلومات دقيقة عن هذه السيدة أو عن اسمها الحقيقي ، سوى أنها عملت في المدارس السورية البريطانية التي أسستها الإرساليات الإنجليزية - الأمريكية الإنجيلية اعتباراً من الأعوام 61/1860 في بيروت ودمشق وجبل لبنان والبقاع ، في أعقاب مذابح 1860 المعروفة .**

***Damascus and its People: Sketches Of Modern Life in Syria*** **by Mrs. Mackintosh, London: Seeley, 1883**

يبلغ عدد اليهود في دمشق ما بين 5000 إلى 6000 نسمة ، يعيشون منطقة من المدينة تقع جنوبي ما كان يسمى " الشارع المستقيم " . ويؤسفني القول إنه في الوقت الراهن يعتبر الحي اليهودي في المدينة الأكثر قذارة من بين الأحياء . وعندما كنا نقوم بزيارة بعض أصدقائنا اليهود ، كان علينا أن نسلك طريقاً بين أكوام الخضروات الذاوية وجميع أنواع النفايات بروائحها الطاردة وغير الصحية .

ولا يختلف لباس اليهود عن باقي الدمشقيين إلا قليلاً . وهم يتكلمون جميعاً اللغة العربية بحيث يمكن القول بأنهم سوريون أصلاء ؛ وبالتالي ، فهم على النقيض من يهود القدس الذين أتوا من بلدان مختلفة ويتكلمون لغات متباينة ويلبسون أزياءً متنوعة .

يمكنني القول إنه لا يوجد أحد من بين اليهود يعمل في حراثة الأرض ، ويبدو أنهم يحتقرون الزراعة . فجميع أغنيائهم يعملون كمصرفيين أو في تبديل العملات وإقراض الأموال بفوائد مرتفعة جداً . ومع أنهم يخشون مخالفة حرمات يوم السبت ، عن طريق إشعال قنديل أو إضرام النار أو قطف وردة ، إلا أنهم يتغاضون عن التعاليم المقدسة الخاصة بالربا . فغالباً ما نسمع بأن هذه القرية أو تلك تعود ملكيتها إلى يهودي . ومردّ ذلك أن اليهودي قد أقرض الأموال بفوائد عالية إلى

الفلاحين المساكين المثقلين أصلاً بالضرائب . وهكذا تؤول القرية بكاملها إليه لعدم تمكنهم من سداد قروضهم .

ولا يزال الحاخامات في دمشق يمارسون بعض النفوذ على رعاياهم ، ويُطاعون بشكل عام حتى عند تطبيقهم قواعد أكثر تشدداً حول حرمة يوم السبت . وغالباً ما يطلب اليهود من حاخاماتهم عقد اجتماع لمحاسبتهم عن سبب تأخر مجيء المسيح **( أي ماشيح اليهود وليس عيسى بن مريم !)** . وبعض اليهود بدأ يفقد ثقته بهم ، نظراً لعدم صحة نبوءاتهم المتكررة بموعد مجيئه . وقد صرّح بعضهم بأنهم بدأوا يعتقدون بعد ذلك ، بإمكانية أن يكون ' عيسى المسيحيين ' هو المسيح الحقيقي .

---

**- <u>فريدريك آرثر نيل</u> موظف بريطاني : عمل في قنصلية بلاده في سوريا ما بين الأعوام 1842 و1850 . وله عدة مؤلفات عن بلاد الشام إبان الحكم العثماني وعن دولة سيام (تايلند) . المقتطفات التالية من كتابه " *ثماني سنوات في سوريا وفلسطين وآسيا الصغرى* " ، الصادر عام 1851 .**

***Eight Years in Syria, Palestine and Asia Minor from 1842 to 1850*** **by Neale, F.A. , London: Colburn ,1851**

هناك عيد ديني يهودي يتصادف مع فصل الخريف يحتفل به ' بنوإسرائيل ' الأكثر ثراء في مدينة حلب . ففي هذا الوقت من السنة يكون الطقس متقلباً إلى حد كبير والليالي باردة جداً ، وهذا ما يجبر اليهود الفقراء على التخلي عن الاحتفال به . وعلى العكس من ذلك ، يمتلك الأغنياء أكواخاً خشبية صغيرة بأسقف زجاجية تسمح لهم بمراقبة النجوم وتحميهم في الوقت ذاته من الطقس القاسي . فقبل يومين أو ثلاثة أيام من العيد تُخرَج هذه الأكواخ الصغيرة المتنقلة من مخازنها وتحمّل على البغال مع ما يلزم من أثاث وملحقات ، تحت إشراف الخدم ، لتنصب بعد ذلك في مواقع مختارة ، غالباً ما تكون منعزلة عن حركة ودروب المسيحيين والأتراك .

وبعدما تتم إشادة الأكواخ ، تتشكل قرية عبرية غريبة تبرز فجأة في وسط قفر موحش . وعلى مدى ثلاثة أيام وليال يسكن في هذه القرية ما يقرب من مئتي رجل وامرأة وطفل . ويذبح في هذه المناسبة عدد هائل من الخرفان كما تُحضّر أطعمة أخرى تؤكل "على عَجَل" . ويتلو الحاخامات المغطين رؤوسهم والخالعين نعالهم ، العديد من أجزاء التلمود . وفي الليل ، يضّجع اليهود في

أسرّتهم وهم يحدقون في النجوم . وبعد انقضاء أيام العيد الثلاثة ، يعود " محدقو النجوم " إلى حلب ، حيث يصاب بعض كبار السن منهم في حالات الإغماء الناجم عن الإفراط في الطعام أوعسر الهضم .

أما العديد من الشباب فيصابون بحالة من القنوط بسبب انفصالهم عن الفتيات ، اللاتي يشكلن بالنسبة لهم المصدر الرئيسي للفتنة والجاذبية أيام العيد . "

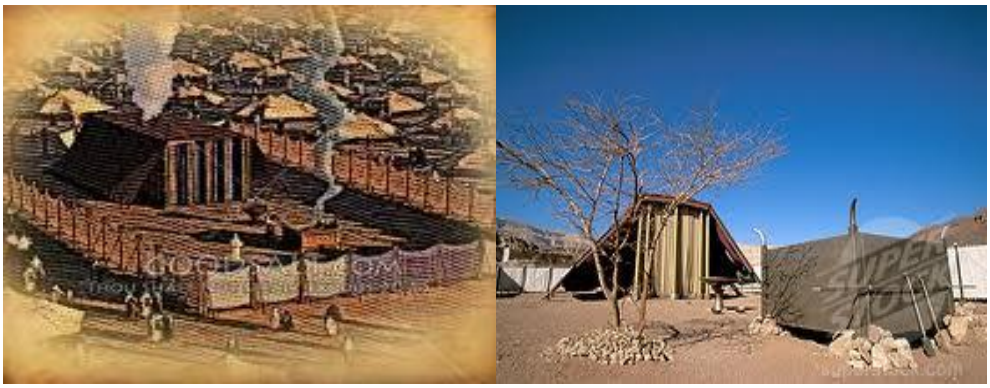

**الاحتفال بعيد الميشكان وسط القفرْ tabernacle**

**<u>التسامح الديني</u>**

تتم المعاملات المالية في حلب فقط خلال أربعة أيام في الأسبوع . ففي يوم الخميس ، يعطيك مصرفيّ شيكاً لصرفه لدى صراف تركي ؛ فإذا ذهبت إلى الصراف يوم الجمعة ستصاب بالصدمة لكونه غائباً وأبواب محله مغلقة ، فتعود مسرعاً إلى المصرف مذعوراً . وخلال ضحك المصرفي على ما أصابك من رعب سيُخبرك إنه كان يتوجب عليك الذهاب إلى الصراف يوم الخميس . فيوم الجمعة هو عطلة ' المحمدانيين ' ؛ وبالتالي ، فإن جميع الأعمال تبقى معلقة في ذلك اليوم . وإذا ما أعطاك تحويلاً إلى صراف يهودي بدلاً من التركي ، فسينصحك المصرفي صرف الشيك حالاً . وإذا ما انشغلت بالتسكع في البازارات والأسواق وجذبتك المشاهد والمناظر الجديدة ، فقد تنسى أمر الشيك إلى ساعة متأخرة من النهار . وتعزي نفسك بأن لديك يوم غد بطوله لصرف الشيك . وفي اليوم التالي ستكتشف أن أبواب الصراف اليهودي مغلقة . وسيذكرك المصرفي مرة أخرى بأنه يوم السبت ، وهو يوم الراحة لدى اليهود . وبالطبع ، فإن الأحد هو عطلة للصراف المسيحي . وبالتالي ، ما عليك إلا انتظار يوم الاثنين .

---

**- السير جون بورينغ (1792 – 1872) سياسي وكاتب ورحالة بريطاني . تنقل في العديد من الدول ومن بينها سوريا ، التي وصل إليها في العام 1838 . المقتطف التالي من مذكراته ، يروي فيه انطباعاته عن عادات أغنياء اليهود في مدينة حلب أثناء زياراته لهم . مذكرات السير جون ، جمعها ابنه لوين بورينغ فيما بعد في كتاب ، يحمل عنوان " ذكريات السيرة الذاتية للسير جون بورينغ " ، صدَر في لندن عام 1877 .**

***Autobiographical Recollections of Sir John Bowring*, by Bowring L.B., London, King & Co. Publ.,1877**

أثارتْ حلب اهتمامنا بقدر كاف ، على الرغم من أن أن شوارعها كانت مدمَرة بفعل زلزال . إذ أن لحلب تجارة هامة ويقيم فيها بعض التجار البريطانيين ، الذين استقبلونا بالكثير من كرم الضيافة . هناك (في حلب) عدد وفير من اليهود ؛ ولا يبدو من خلال مظهرهم الخارجي أي مؤشر لثرائهم ولا للرفاهية التي لمسناها في بيوتهم . فهم يمتلكون كميات كبيرة من الأحجار الكريمة نظراً لسهولة حملِها في حالة الخطر ؛ إلا أن زوجاتهم وبناتهم يتقلدون تلك الأحجار ، عند استقبالهم للأجانب . ولم نجد صعوبة في التواصل مع العائلات العبرانية ، كما هو الحال مع عائلات المُحمدانيين (المسلمين) . ومن خلال تواجد العائلة ، تقوم الصبايا بإحضار القهوة للضيوف ، وتقديم مستلزمات

التدخين وإعطاء الخَيار لهم ما بين تدخين الأرجيلة أو الجَبق (çubuk غليون تركي) ، وتفضَل النساء اليهوديات تدخين الجَبق . يعيش اليهود في خوف دائم من اضطهاد المسلمين ، ومن المؤسف القول ، إن سكان البلد المسيحيين لا يقدمون لهم ولو قليلاً من الحماية أو التعاطف .

---

**- <u>ماري إليزا روجرز</u> (1828-1910): رحالة بريطانية رافقت أخاها الدبلوماسي إدوارد توماس روجرز ( القنصل البريطاني في دمشق والقاهرة ) إلى فلسطين في أواسط القرن التاسع عشر، ويبدو أنها تعلمت اللغة العربية هناك. القصة التالية مترجمة بتصرّف من كتابها " *الحياة الأهلية في فلسطين* " ، 1862**

***Domestic Life in Palestine* by Rogers, M.E. , Bell Publ.,1862**

صعدتُ إلى ظهر الباخرة التجارية ' ديمتريوس' المُبحرة إلى ليفربول ، وكنت الراكبة الوحيدة التي حظيت بقمرة فيها . أبحرنا من السواحل السورية ووصلنا إلى ميناء الإسكندرية بعد يومين . هناك نزل جميع ركاب ظهر السفينة ، عدا رجل يهودي من حلب كانت وجهته ليفربول . وفي اليوم التالي لمغادرتنا ، أراد القبطان أن يزوّد اليهودي ببعض التعليمات المتعلقة بالرحلة ؛ إلا أنه تعذر التفاهم معه فطلب القبطان مساعدتي لترجمة أقواله . كان اليهودي في الثلاثين من عمره ، ذو ملامح ذكية لكنها مشوبة بجُبن وذعر كبيرين .

اقتربت من الرجل وقلت له بالعربية : " *حماكَ الربّ* ! " . جَفل اليهودي من شدة دهشته وانحنى يقبّل يدايَ بحماس وهو يهتف : " *بارك الله بالصوت الذي يكلمني بالعربية ! لقد حسبت أنني قد تُركتُ وحيداً على هذا المركب* " . وبعد قيامي بالمطلوب ، تبادلت مع الرجل أطراف الحديث وعلمت أنه ذاهب للقاء بعض التجار السوريين في مدينة مانشستر . واكتشفت أنه لا يعرف كلمة واحدة بالإنجليزية حتى أنه كتب اسمه في مفكرتي بالعربية " أشعيا ، أي Isaiah " .

بعد فترة ، لاحظتُ أن الحاخام أشعيا يبدو مريضاً وضعيفاً . واعتقدت أن الطعام الذي يتناوله ليس كافياً . فقد أحضر معه مؤونته لأنه لا يستطيع تناول طعام يُحضّره المسيحيون .

بعد مغادرتنا ميناء لشبونة ، وما أن صعدت إلى ظهر السفينة ، حتى جاءني أشعيا وألقى بنفسه على ركبتيه متشبثاً بثوبي وهو يبكي بحرقة .

سألته : " *ما الذي يُرعشُ قلبك يا أشعيا* ؟ " .

نظر إلى برعب وأجاب : " *البحارة يريدون قتلي .. إنهم يريدون قتلي .. أنا خائف منهم* ! " .

قلت: " *أجبني بهدوء أشعيا ، هل آذاك أحد في وقت من الأوقات على هذه السفينة؟ أو حاول أذيتك* ؟ "

أجاب : " *كلا ، ولكنهم قالوا لي كلمات فظيعة - لقد لعنوني* "

قلت : " *كيف عرفت أنهم تلفظوا بكلمات فظيعة وأنت لا تفهم لغتهم؟ ماذا قالوا يا أشعيا*؟ "

لم يجب ، بل تناول ورقة وقلماً وكتب بأحرف عربية ' ج، ا، ك **( j, a, k )** ' .

قلت : " ج، ا، ك ؛ *لم أسمع من قبل بهذه الكلمة العربية ، ماذا تعني* ؟ "

أجابني : " *اخفضي صوتك سيدتي ، هذه ليس بالعربية بل بالإنجليزية* "

فجأة لمعَ في ذهني خاطر ، لم أتمالك نفسي بعدهُ من الابتسام .قلت له بنبرة إنجليزية : " *جاك* ؟ "

- " *نعم ، نعم سيدتي ، إنها الكلمة التي يلعنونني بها مراراً وتكراراً* "

- " *آه أيها الحاخام ، إنها ليست لعنة ولا كلمة سيئة . فالبحارة لا يعرفون أن اسمك أشعيا ، ولهذا فهم ينادونك ' جاك ' ولربما كانوا سينادونني بنفس الاسم لو كنت صبياً* "

وعلى ما يبدو أن أشعيا لم يقتنع بكلامي ، فقد سألني إذا ما شعرت بالخوف عندما بقيت وحيدة بين الغرباء على هذه السفينة . وعندما أجبته بالنفي قال : " *أنت في مأمن لأنك بين مواطنيك ، إلا أنني يهودي والبحارة المسيحيون يلعنوني بصوت عال* " .

بعد ذلك ، لاحظت أن رُعبَ أشعيا وضعفه ازداد يوماً بعد يوم . وقد عبّر لي عن خوفه الشديد من البحارة ، وأخبرني إنه متى وَجدَ اليهودي نفسه وحيداً بين المسيحيين فسيكون واثقاً من أنهم سيقتلونه .

وفي أحد الأمسيات ، أجفلني أشعيا بأن أعلن أنه قد أصبحَ مسيحياً . ولما سألته عن سبب ذلك ، أدهشتني إجابته بشكل كبير : " *بحق المسيح ، أخبري القبطان بأنني مسيحي ، فلربما لن يغضب مني بعد ذلك* " .

في مساء اليوم التالي وبعد أحاديث مطولة ، طلبتُ منه الذهاب للنوم والراحة ، وتمنيتُ أن يحلّ السلام عليه . ذهب أشعيا إلى ركن نومه بين بالات القطن على ظهر السفينة وغطى نفسه بلحاف سميك . وعندما سألت المُضيف في اليوم التالي عن حال أشعيا ، أجابني بحزن : " *لا أدري ، آنستي ، فهو مفقود . فالقبطان بحث عنه في كل مكان ولم يجده* " .

وفي هذه اللحظة حضر القبطان وعليه علائم القلق ، وأخبرني بأنه بحث في كل ركن من أركان السفينة يمكن أن تختبئ فيه ولو قطة ، ولكن بلا جدوى .

بعد التحريات ، وجدنا بحاراً ، تصادف وجوده على ظهر السفينة ، قد رأى أشعيا مستنداً على أحد جوانب السفينة خلف الصاري الأمامي عند منتصف الليل ، ولكنه لم يشك في الأمر . وقد ساد الوجوم علينا جميعاً وتولدّ الانطباع لدينا بأن المسكين أشعيا قد انتحر برمي نفسه في البحر . لقد توصلتُ ، على مضض ، إلى نتيجة مفادها أن المسكين أشعيا ، بسبب جُبنه المُفرط وجنوح تخيلاته ، قد فقد السيطرة على أعصابه وألقى بنفسه في البحر بإرادته أو بلا وعي منه . ولقد قرأت مؤخراً في أحد الكتب بأن الأسباب الشائعة للجنون تنتج عن تبدلات عاطفية عنيفة يتمّ عبرها تدمير التوازن في العقل السليم .

---

**- <u>جراتان جيري</u> ( ؟ - 1900) : كاتب هندي ومحرّر في صحيفة " تايمز أوف إنديا " ومن ثمّ صاحب صحيفة " بومباي غازيت" . من مؤلفاته " عبر تركيا الآسيوية " الصادر في جزئين ، 1878 .**

## وَرثة الميّت

يعيش في البصرة العديد من اليهود ولديهم عادات غريبة . من هذه العادات اللافتة للنظر طريقة دفن الميّت . يُحمل الجثمان في نعش مفتوح مُلفح بالسواد . ومع الابتهالات الجنائزية ، يسير الموكب إلى المقبرة . وأثناء المسيرة يتوقف الموكب سبع مرات . وعند كل وقفة ، يدور المُشيّعون حول النعش وهم يصلون ويبتهلون ، و يلقي كل شخص أثناء دورانه قطعة من النقود في جرّة موضوعة على جثمان الميت . في الوقفة السابعة والأخيرة ، يرفع الحاخام الجرّة ويخاطب المُشيعين قائلاً : " كما تعلمون لا يوجد أحد في العالم بلا " سيرا ليباثالاه Sera Lebathalah " * **(أي بلا خطايا)** ولهذا فنحن نعطيكم **( أيها العفاريت الموجودون في جثمان الميت)** هذا المال لتتركوا جسده وروحه يرقدان بسلام . فباسم الأبدي وكلمته المقدسة ، وبموافقة الرعايا المتواجدين هنا ، نُلقي عليكم اللعنة الكنَسية التي تُجبركم على الهرب إلى مناطق برّية منعزلة ، بحيث لا يمكنكم أن تضايقوا أحداً بعد الآن " . وبعد الوصول إلى المقبرة ، يدور المُشيّعون في موكب مهيب حول القبر ويعودوا بعد ذلك من حيث أتوا .

---

***ملاحظة المؤلف :** ' **سيرا ليباثالاه ' كلمة من تُراث القبالاه** Kabbala **اليهودية ، وتعني خطايا غامضة أو أفكاراً أو روحاً شيطانية تُولّدُ أعداداً هائلة من العفاريت تأتي لتعذب الميّت ، بهدف حصولها على حصة من ميراثه مدّعية أنها من أولاده**

---

**– <u>إسرائيل جوزيف بنجامين</u> (1818-1864): رحّالة يهودي ، ولد في رومانيا وتوفي في بريطانيا . بدأ رحلة طويلة إلى آسيا وإفريقيا بحثاً عن القبائل العشرة الضائعيين لبني إسرائيل (Lost Ten Tribes of <u>Israel</u>) . و سجّل مشاهداته عن الجماعات اليهودية في تلك البلدان في كتابه "*ثماني سنوات في آسيا وإفريقيا* " الذي صدر في هانوفر عام 1859 .**

***Eight Years in Asia and Africa from 1846 to 1855*** **by Benjamin, J.J. II , Hanover, 1859**

**<u>يهود كردستان العراق</u>**

يجتمع اليهود القادمون من الموصل وأربيل وكركوك وجبال كردستان سنوياً في قرية القوش ، موضع قبر النبي ناحوم القوشي ، لإقامة شعائر 'عيد الأسابيع'. وما أن تنتهي تلك الشعائر ، يذهب الجميع إلى مرقد ناحوم المقدس ، حيث تقام هناك المراسم والاحتفالات البهيجة . ومع بزوغ الشمس ، تتلى صلوات الصباح ثم يسير الرجال ، تتقدمهم التوراة ، وهم مسلحون بالبنادق والمسدسات والخناجر إلى أحد الجبال القريبة . وهناك في ذكرى التشريع اليهودي ، الذي أنزل عليهم في طور سيناء ، يقرأون التوراة ويتلون أدعية ' الموساف Mousaph ' ثم يعودون أدراجهم لتبدأ بعدها مسرحية الحرب . فالمُحاربون وصيحاتهم القتالية وسحب الدخان المتصاعدة وتصادم الأسلحة مع بعضها وما يقومون به في هذه المناسبة تضفي على المكان منظراً رائعاً وتترك انطباعاً غريباً لدى المشاهد . ووفق معتقدات أهل المنطقة ، فإن مسرحية الحرب هذه تُمثل المعركة الكبرى ، بُعيد مجيء المسيح ، التي سيشنها اليهود **(في الشتات)** ضد الأمم التي تعارض دخولهم إلى أرض الميعاد وتجمّعهم في مملكة حرة ومستقلة .

**احتفالات يهود كردستان العراق**

## معجزات ناحوم

الإيمان بالمعجزات أمر شائع في هذه المنطقة . فهنا يُحضر الحُجاج مرضاهم إلى قبر النبي ناحوم ويغلقون عليهم الباب فُرادا في المرقد . فإذا ما تغلبّ المريض على خوفه في ذلك الموقع الموحش ، يُعتبر شفاؤه أمراً أكيداً . أما المريض المُؤمن بالخرافات فتواكب ليلته هذه نتائج سيئة . ففي منتصف الليل ، كما تقول الروايات ، يشعر المريض بحركة في منصّة القبر وينهض منها طيفٌ ضخم يخاطب المريض بصوت جنائزي : " *ماذا تفعل هنا وماذا تريد* ؟ " . فإذا تجرأ المريض وأجاب على السؤال من دون خوف فسيشفى مباشرة ، وإلا فإنه سينتهي . ويُحظر على الأشخاص الأصحّاء البقاء في مرقد النبي عند منتصف الليل .

## اليهود السود في كوشين الهندية

يعيش في مدينة كوشين وضواحيها **(على الساحل الغربي للهند)** حوالي ألفي شخص أسود من أتباع الديانة اليهودية . وألوان بشرتهم ، مع ذلك ، ليست داكنة جداً كما هو الحال مع ' الزنوج negroes ' . ويتحمل اليهود السود لعنة الاضطهاد بسبب لونهم . فكما يتفادى يهود بومباي أي اتصال مع ' أبناء إسرائيل Bene-Israel ' **(طائفة يهودية هندية)** أو التزاوج معهم ، يرفض اليهود

البيض أي اتصال مع إخوتهم السود . ويشعر يهود كوشين بالبهجة عندما يعترف بهم الآخرون كإخوة لهم في الدين ."

**يهود كوشين**

---

**<u>ماثيو باريس</u> (~1200-1259) راهب بريطاني ومؤرَخ ورسَام . له العديد من المؤلفات معظمها باللغة اللاتينية . الواقعة التالية مقتبسة من كتابه " *التاريخ الإنجليزي ما بين الأعوام* 1235-1273" والمترجم عن اللاتينية في عام 1852 . يتحدَث المؤرخ عن موقف بعض يهود أوروبا الغربية خلال تقدم جحافل التتار في القارة الأوروبية في بدايات القرن الثالث عشر ميلادي ، واعتقادهم بأن التتار هم إخوتهم من أسباط بني إسرائيل العشرة ، المفقودين منذ سَبيهمْ من الآشوريين في القرن الثامن قبل الميلاد** The Ten Lost Tribes.

**Matthew Paris's English History. From the year 1235 to 1273. Vol. I, translated from the Latin, by Rev. J. A. Giles , London, Bohn, 1852 .**

**<u>أذية اليهود الهائلة</u>**

في هذا الوقت **(1241 م)** ، اعتقدَ بعض اليهود في القارة الأوروبية ، وبخاصة المُنتمين منهم إلى إمبراطورية روما ، أن **(الغزاة)** التتار والكومانيَون هم طائفة من عرقهم **(أي أنهم أسباط بني إسرائيل العشرة المفقودين)** القادمين من متاهات جبال قزوين . لهذا اجتمع هؤلاء اليهود في مَوضع سري ، حيث خاطبهم الأكثر حكمة ونفوداً بينهم قائلاً **:** **"** *إخوتي في الدين من ذرية إبراهيم الشهير ، ومن كَرْمُ الربَ الذين سمح إلهنا -أدوناي- بأن يُضْطَهَدوا طويلاً تحت حكم المسيحيين ؛ لقد حان الوقت الآن لتحرير أنفسنا منهم ونبدأ نحن باضطهادهم بمشيئة الله ، بحيث يمكن إنقاذ البقية الباقية من بني إسرائيل . إن إخوتنا أسباط بني إسرائيل ، الذين كانوا مُغيَبين فيما مضى ، قد جاؤوا ليُخضعوا العالم بأكمله لهم ولنا ...*

*دعونا إذاً نذهب للقائهم مُحمَلين بالهدايا القيَمة ولاستقبالهم بأسمى آيات الحفاوة والتكريم ؛ فهمْ بحاجة إلى الحبوب والخمر والأسلحة* **"** .

وما أن استمع المجتمعون إلى هذه الكلمات بابتهاج ، حتى سارعوا إلى شراء جميع السيوف والخناجر والأسلحة المتوافرة للبيع أينما وجدت .

ومن أجل إخفاء تآمرهم ، وضعوا تلك الأسلحة في براميل خشبية ثمَ أعلنوا أمام المسؤولين المسيحيين ، المُنضوين هم تحت سيطرتهم ، إن هذه الجماعة المعروفة بالتتار هم في الواقع يهود ، ولا يشربون خمراً إلاَ إذا صنَعه يهود وفق ما أخبرونا به ؛ وبكل جدية توسلوا إلينا ، كإخوة في الدين ، بأن نزودهم ببعض ما نصنعه . ورغبة منا في أن نزيل من بيننا أعدائنا المتوحشين هؤلاء ، وتحريركم أنتم ، أيها المسيحيون ، من تدميرهم الاستبدادي الوشيك ، فقد أعددنا ثلاثين برميلاً مليئاَ بالخمر المُثمل المُميت ، لنحمله إليهم على جناح السرعة . وهكذا سمح المسيحيون لهؤلاء اليهود الفاسدين بتحضير هذه الهدية الرديئة لأعدائهم الأشرار . وما أن وصل هؤلاء اليهود إلى أبعد نقطة حدودية من ألمانيا وعلى وشك عبور أحد الجسور مع حمولتهم من البراميل ، طلب إليهم مراقب الجسر ، كما جرت العادة ، دفع مكوس عبورهم . إلا أن اليهود رفضوا طلبه بعجَرفة مُدَعين أنهم مُستخدَمين في هذا الشأن لمصلحة الإمبراطورية ؛ ومُرسَلون خفية من عامة العالم المسيحي لتسميم التتار بخمرهم .

ولأن مراقب الجسر راوده الشكَ في مقولة اليهود ، فقد أحدث ثقباً في أحد البراميل ؛ لكن الخمر لم يتسرب منه ، وهذا ما أكَد له خداعهم . وعندما فتح غطاء البرميل ، تبيَن له أنه مليء بالأسلحة . عندها صرخ فيهم **:** **"** *يا للخداع الشائن ، لمَ نسمح لمثل هؤلاء الناس العيش فيما بيننا* ؟ **"** . إثر ذلك

قام المراقب ، وجمهرة آخرون التمَوا على صوت صراخه ، بفتح جميع البراميل الأخرى ليجدوا أيضاً أنها مرصوصة بالسيوف والخناجر في داخلها .

وهكذا عرض هؤلاء أمام الملأ أسلوب الخداع الخفي لليهود ومراوغتهم غير الاعتيادية عبر تفضيلهم مساعدة أعداء العالم . وهكذا سُلَم هؤلاء اليهود إلى الجلاّدين ، ليُودعوا في سجن أبدي أو ليُقتلوا بسيوفهم ذاتها .

**الموت بسبب معتقد خرافي**

في هذا الوقت **(من عام 1260)** وفي مدينة تيوكسبيري **(البريطانية)** ، وقع يهودي **(في حفرة)** مرحاض عام يوم السبت . ومن منطلق حرصه على احترام قدسية ذلك اليوم **( باعتباره يوم راحة لليهود ، يحظر فيه العمل شرعاً !)** ، لم يحرَر نفسه من الحفرة إلى اليوم التالي . ونتيجة ذلك ، قضى الرجل خنقاً من رائحة المكان النتنة .

---

**- إدموندو دي أميتسيس** (1846-1908): **روائي وصحافي إيطالي وعضو فخري في أكاديمية الفنون والعلوم الأمريكية . زار عدة بلدان وكتب عنها . المقتبسات التالية من كتابه " *مراكش : أهلها وأماكنتها* "، 1876، و ترجم إلى الأنجليزية في عام 1882 .**

***Morocco: Its People and Places*** **by De Amicis,E., London: Cassell, Petter, Galpin & Co., Translated 1882**

**حارة اليهود**

تقدم منا أحد كبار السنّ الرسميين داعياً السفير **(الإيطالي)** لزيارة حارة اليهود أو " الملاح Mellah " وهو اسم مُهين يستخدمه العرب ويعني الأرض الملعونة . دخلنا عبر بوابة مقنطرة إلى متاهات وأزقة شنيعة أكثر قذارة ونتانة من مثيلاتها في المدينة العربية . وعبرنا بين البيوت المتلاصقة وباحات أشبه بالزرائب ، ويمكن من خلالها رؤية طرقات تحاكي المجارير . من بين كل أكوام القاذورات هذه كانت تبرز نساء وفتيات جميلات وهنّ يدمدمن **(بالإسبانية) :"** بوينوس ديّاس ، صباح الخير**!** " . وفي بعض الأماكن الأخرى ، كنا مجبرين على سدّ أنوفنا والسير على أطراف أقدامنا . قال السفير لليهودي المسنّ بغضب **:**

**-"** كيف يمكنكم العيش في هذه القذارة ؟ " . أجاب الرجل **:**

**- "** إنه أمر مألوف في هذا البلد " . فردّ السفير **:**

**- "** أمر مألوف في البلد **!** هذا مُخجل **!** وأنتم تطلبون حماية المفوضيات الأجنبية ، وتتكلمون عن التَحضّر وتنعتون المراكشيين بالهمجية ، ولديكم جرأة لتتفاخروا بذلك وأنتم تعيشون في وضع أسوأ منهم **!** " . نكّس العبراني رأسه وابتسم ، وكأنه يقول لنفسه - " يا لغرابة الفكرة **!** "

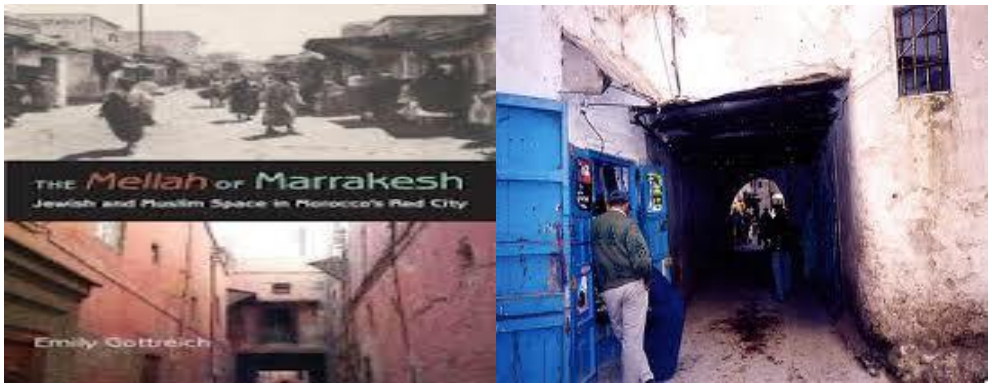


**حارة اليهود " الملاح" في مراكش**

## الزواج

كان من بين النساء الحاضرات عدة أطفال يرتدون نفس الألبسة المشرقة التي ترتديها النساء . وكان هناك طفلة تقف بالقرب من أمها ويبدو عليها الخوف أكثر من بقية الأطفال . وسأل السفير الأمّ عن عمرها ، فأجابت :

- " *اثنتا عشرة عاماً* " ؛ وعلّق السفير على ذلك قائلاً :

- " *لذا فإنها ستتزوج قريباً* "

- " *ماذا* ؟ " هتفت المرأة بتعجب " *إنها كبيرة جداً لكي تتزوج* "

واعتقدنا جميعاً بأنها كانت تمزح . إلا أنها كررت مقولتها وهي مذهولة من عدم تصديقنا لها .

- " *أقول الصدق ، أنظروا إلى هذه* ! " ، وأشارت بيدها إلى طفلة أصغر " *ستبلغ العاشرة من عمرها بعد ستة أشهر ، وهي متزوجة منذ عام خلا* " .

أطرقت الطفلة رأسها ، ونحن لا نزال غير مصدقين .

- " *ماذا يمكنني قوله* ؟ " ، تابعت المرأة " *إذا لم تصدقوا كلامي ، فشرفوني بحضوركم إلى بيتي يوم السبت لنستقبلكم بحفاوة ولتتعرفوا على الزوج وشهود الزواج* "

- " *وكم هو عمر الزوج* ؟ " ، سألتُ المرأة

- " *عشر سنوات ، سنيور* **( سيد )** "

أمام دهشتنا ، أكدت النساء الرواية ، مضيفين إنه من النادر أن تتزوج فتاة بعد الثانية عشرة ؛ وإن الغالبية العظمى يتزوجن في العاشرة إلى صبيان يقاربهن في العمر ؛ والعديد منهن يتزوجن في الثامنة والبعض حتى في السابعة. ومن البديهي ، لكونهم صغاراً ، أن يعيشوا في كنف أهاليهم ، الذين يتابعون معاملتهم كأطفال من حيث المأكل والملبس والتربية و من دون اعتبار لمنزلة أزواجهن .

كانت هذه الروايات تبدو بالنسبة لنا وكأنها آتية من عالم آخر ؛ لقد استمعنا لها ونحن فاغري الأفواه ، في حين توزعت أحاسيسنا ما بين الرغبة بالضحك أو بالشفقة أو بالغضب .

**زوجات يهوديات قاصرات من مراكش**

---

**- <u>جوزيف تومسون</u> (1858-1895): مستكشف وجيولوجي اسكوتلندي ساهم في البحث عن طرق تجارية في مجاهل القارة الأفريقية لصالح الجمعية الملكية الجغرافية ، وكتب عن مشاهداته و ملاحظاته الجيولوجية والبيولوجية والإثنوغرافية للمناطق المكتشفة . في كتابه " *رحلات في الأطلس و جنوب مراكش : قصة استكشاف* " ، 1889 ، يبدي ملاحظاته حول حقيقة أوضاع اليهود ' المغاربة ' ، كما تعرّف عليها أثناء رحلة استكشافية إلى شمال إفريقيا .**

***Travels in the Atlas and southern Morocco: A Narrative of Exploration*** **byThomson,J., London: G.Philip, 1889**

## <u>البحث عن الحقيقة</u>

من بين الدراسات المثيرة للاهتمام التي تمثّلها مراكش **(المغرب)** في ذهن المُستكشف ، لا شيء يعلو على دراسة أوضاع اليهود فيها . بدأنا في إنجلترا بالتساؤل عن الفكرة السائدة هنا حول الاضطهاد المُخجل الذي يعاني منه اليهود في ' أراضي السلطان السعيدة ' وأوضاعهم البائسة . وفهمنا بأنهم في حالة تقارب العبودية ومُجبرون على التكدّس في زريبة قذرة يطلق عليها اسم ' *حارة اليهود*

Mellah ' ؛ وأنهم خاضعون لقيود مخزية ومعرضون للقتل والتعذيب . أما زوجاتهم وبناتهم فليسوا سوى فرائس مشروعة لنزوات مُضطهديهم الشهوانية .

تعرفنا على الأوضاع الحقيقية لليهود فقط تدريجياً . فبعد مزيد من الاحتكاك والاتصالات المباشرة والمتكررة في مراكش ظهرت الحقيقة الكاملة . فعندما ولجنا إلى العمق تبيّن لنا أن اليهود يتجمّعون في ' *حارة اليهود* ' بسبب غريزتهم الذاتية وليس بسبب إكراه خارجي . وشيئاً فشيئاً اكتشفنا أن اليهودي غير مُلزم بأداء الخدمة العسكرية ، ومقارنة مع ' المورو Moor ' **(المغاربة أو مسلمي شمال إفريقيا)** فحياته وأملاكه مأمونة . ورغم كونهم غرباء ومُحتقرين ، فهم يُحكَمون وفق قوانينهم الذاتية ويدارون من قبل مشايخهم **(حاخاماتهم)** ووفق معايير عقوباتهم الخاصة . فأقل ظلم يلحق بيهودي يكفي ليهزّ أرجاء البلد ويثير كلّ وزير في أوروبا بسبب نحيب وصراخ الجماعات اليهودية المتلاحمة . فاليهود يجعلون من كل حبة قبة ومن كل اعتداء عليهم جريمة وحشية .

ومن الصعوبة بمكان إيجاد مثيل لأوضاع اليهود في مراكش . فهنا يعيش أناس غرباء مكروهين ومحتقرين ، يمتصون دماء مُضيفيهم وينعمون بأوضاع أفضل منهم **(أي من أهل البلد)**. فهدف كل يهودي ألا يكدح أو يعمل ، اللهم إلا لفّ عقدة - كمُقرض للأموال **(مُرابي)** - حول عنق ضحاياه المُعوزين . وسأذكر هنا حالة توضّح ما أعنيه في ملاحظتي هذه :

" *روى لنا مترجمنا* **(اليهودي)** *ديفيد آسور حادثة كان فيها هو نفسه مُقرضاً . فقد أقرض أحد سكان* **(مدينة)** *دمنات 25 دولاراً بفائدة قدرها نصف دولار في اليوم الواحد . وكضمانة لقرضه حصل على ثلاثة حمير وبقرتين وطبنجتين وسيفاً ، مع الحقّ في استخدام الحمير والبقرات إلى حين إيفاء الدَينْ . وقد بلغت حصيلة ' الفوائد ' التي جناها خلال 12 أسبوعاً* **(وهي مدة القرض)** *42 دولاراً ، أي ما يقارب ضعف المبلغ الأصلي . وفي المحصّلة كان بإمكانه الحصول على المال والاحتفاظ بالحيوانات والأسلحة . وليبيّن لنا ديفيد مدى طيبة قلبه واعتداله ، أعلمنا أنه كان بوسعه الحصول على دولار* **( كفائدة)** *في اليوم بسبب الحاجة الماسة للمُقترض المغربي .*"

**لوحة من العصور الوسطى تمثل المقرضين اليهود في أوروبا**

---

**- <u>فرانسيس ماكناب</u> (1850-1900) هو الاسم المستعار للصحافية والرحّالة الاسكتلندية أجنيس فريزر . ألفت العديد من الكتب من بينها كتاب " *رحلة على ظهر حصان في مراكش ، بين المؤمنين والتجار*" . في المقتطفات التالية تروي فريزر انطباعاتها عن مظاهر التحايل والإقراض الربوي لدى اليهود المغاربة .**

***A Ride in Morocco among Believers and Traders*** **by Macnab, F.(Agnes Fraser), London: Edward Arnold, 1902.**

**<u>الجنسية الأمريكية</u> ( مختصرة عن الأصل)**

بما أنه يمكن الحصول على الجنسية الأمريكية بعد خمس سنوات من الإقامة فيها ، فقد هاجر الكثير من اليهود من مراكش لهذا السبب . ومع ذلك ، فقد حصل بعض اليهود على الجنسية عن طريق الاحتيال . فقد قدموا طلبات الجنسية أثناء زيارتهم القصيرة للولايات المتحدة . ولم تكن هناك صعوبة في إيجاد إخوة لهم في الدين يحملون نفس الإسم للحضور كلما استدعى الأمر ذلك والإجابة على البيانات المقدمة للمحامين . وهكذا ، فإن إقامة قصيرة لصاحب العلاقة لمدة ثلاثة

أشهر تعتبر كافية لتسوية الموضوع . ويقال بأن هذه الحيلة ظهرت للعيان بسبب خلافات مالية بين يهوديين ، أحدهما يتابع طلب الحصول على الجنسية الأمريكية . وقد أدى ذلك إلى تورط عدد من المحامين في هذه القضايا الاحتيالية .

**الفائدة الرَبَوية**

لقد منعت الحكومة المراكشية **(المغربية)** دفع الفوائد **(على القروض)** باعتبارها مخالفة للدين . ولكن اليهود كانوا أنداداً للحكومة ، إذ عمدوا إلى تغيير شروط قروضهم فحسب . فعندما يريد فلاح اقتراض عشرين دولاراً لدفع ضريبة أو لشراء بذور للزراعة أو لإخراج ابنه من السجن ، يذهب إلى اليهودي . فيقول له هذا الأخير : **"** *حسناً ، سأقرضك عشرين دولاراً لمدة ستة أشهر مقابل ضمانة بقيمة خمسين دولاراً* **"** . وبالطبع ، ليس أمام الفلاح سوى الإذعان . وإذا ما تمكن الفلاح من تسديد عشرين دولاراً بعد ستة أشهر ، فسيقول له اليهودي : **"** *سأجدد لك الضمانة لباقي المبلغ بضعف قيمته* **"** . وهكذا ، تبدأ ضمانة جديدة بمبلغ ستين دولاراً . وإذا لم يتمكن الفلاح من دفع الستين دولاراً في نهاية العام ، فستُجدد الضمانة ، كما في السابق ، بمضاعفة المبلغ . ويمكن أن يستمر الأمر على هذا النحو إلى أن يشعر اليهودي بأن المبلغ قد وازى كامل موجودات الفلاح ، عندها يبرز جميع وثائقه ويضغط عليه لدفع مستحقاته .

---

**- مونكيور دانييل كونواي**(1832 -1907) **كاهن وكاتب بروتستانتي أمريكي مناهض للعبودية ، لديه العديد من المؤلفات ، من بينها كتاب "علم العفاريت ومأثورات إبليس "** ، 1878 **وكتاب " اليهودي الطوّاف "** ، 1881 الذي اقتبست منه هذه القصة .

***The Wandering Jew*** **,by Conway,M.D., New York , Holt & Co. ,1881**

دُهشتُ مؤخراً عندما علمتُ عن حادثة خَدَع فيها يهودي مُضطهديه بأسلوب مسيحي حقيقي لم أسمع له مثيلاً من قبل . فقد كان هذا اليهودي بائعاً متجولاً يطوف في فرنسا بالقرب من أحد تلك

المقاطعات التي لا تزال مريم العذراء " تفتتحُ " فيها ينابيع مياه ' ***مقدَسة*** ' تشفي من الأمراض . وما أن سمع هذا اليهودي بآخر معجزات مريم - أثناء الإعلان عن ظهور ينبوع جديد من هذه الينابيع المقدسة - حتى تبسَم سخرية منها . إثر ذلك قام أصحاب الخانات في المقاطعة بتحريض الرعاع عليه ، فقرّر هؤلاء شنق الوغد – أي **(اليهودي)** الكافر- . واقتيد البائع المسكين ، الشاحب من شدة رعبه ، ليلقى المصير المحتوم . وعندما مرَت الجموع أمام ذلك الينبوع ، توسَل اليهودي إليهم راجياً أن يبلّل شفتيه من مائه ، فأجيب لطلبه . وما أن لامستْ المياه شفتيه حتى قفز بفرح عارم ومعلناً على الملأ أن الينبوع قد شفاه من التهاب المفاصل ( روماتيزم) ؛ المرض الذي كان يعاني منه لسنوات عديدة .

" معجزة ! معجزة ! " صرخ الرعاع ، ليصبح اليهودي فجأة بطلاً ؛ وحملتْ الجموع اليهودي إلى القسيس ، الذي حدَد اليوم التالي ليتمَ تعميده **(تنصيره)** أمام الجميع في مظاهرة احتفالية كبرى . ولكن اليهودي اختفى أثناء الليل من كافة أرجاء المقاطعة ! .

---

**- <u>مردخاي مانويل نوح</u> (1785-1851) صحافي وكاتب أمريكي تعود جذوره إلى يهود البرتغال . شغل عدة وظائف مختلفة أبرزها توليه منصب القنصل الأمريكي العام في تونس (1814) . وفي عام 1818 ، طلب من يهود العالم تسليح أنفسهم والتوجه إلى الأرض المقدسة واستعادتها من المسلمين بعد تفتيت الامبراطورية العثمانية. كما اقترح شراء مستعمرة لليهود على الجزيرة الكبرى Grand Island بالقرب من بوفالو/ نيويورك - أطلق عليها اسم أرارات (تيمناً باسمه نوح) - يلجأ إليها يهود أوروبا المضطهدين ويؤسسوا دولة في المنفى خاص باليهود ومركزاً للتدريب استعداداً لإحياء ' الهيكل الثالث ' في القدس . في المقتطف التالي من كتابه "*أسفار في إنجلترا وفرنسا وأسبانيا و بلدان البربر*" ، 1819 ، يبيّن نوح أوضاع إخوته في الدين في بلدان المغرب العربي عامة وتونس خاصة أثناء خدمته كقنصل عام فيها .**

***Travels in England, France, Spain and the Barbary States*** **by Noah, M.M., New York : Kirk & Mercein ,1819**

لقد قيلَ الكثير عن المعاملة القاسية والوحشية التي يلقاها اليهود على يد المسلمين – وهو شيء لم ألاحظه ؛ ولكن ما من شك في أنهم يعاملونهم باحتقار . ويسود انطباع خاطئ أن الديانة اليهودية هي سبب كراهية المسلمين لليهود واضطهادهم لهم . ولكن ، ومع جميع مظاهر الاضطهاد هذه ، يحتلّ اليهود مواقع قيادية في بلدان البربر Barbary States **(دول المغرب العربي)** ، سواءً في إدارة الجمارك أو في تحصيل المداخيل أو في تصدير المواد المتنوعة واحتكار العديد من البضائع ؛ فهم يتحكّمون في صكّ العُملة وتنظيم النقدْ ، ويقومون بأعمال السكرتارية والترجمة ورعاية خزينة الداي الحاكم . فكيفَ يمكنُ اضطهاد هؤلاء القوم إذا كانوا بهذه الأهمية والضرورة ؟ وفي الحقيقة ، إن هذا الاضطهاد بمجمله خيالي .

وكدليل على تمتّع اليهود بنفوذ كبير في تونس ، سأنقلُ لكم حقيقة مَسّتنا بشكل مباشر . ففي إحدى المناسبات العادية ، ضَرَبَ قنصل أمريكي يهودياً يتبعُ لإدارة الجمارك ؛ وقد احتجّ الأخير لدى الداي **(لقب الحاكم)** 'حمودة باشا ' ، الذي أمر القنصل بالاعتذار من الموظف اليهودي علانية في إدارة الجمارك ، وبتقبيله أمام المَلأ كإشعار بإذلال القنصل . كان ذلك تصرفاً عادلاً من طرف الداي ، الذي كان بوسعه اضطهاد اليهودي المُضطهد .

---

**- <u>الليدي ماري ورثلي مونتاغو</u> ( 1689-1762) : كاتبة بريطانية اشتهرت برسائلها خلال إقامتها ، كزوجة للسفير البريطاني ، في كل من أدرنة والقسطنطينية ( 1716-1718) . وقد شجعت كتاباتها عن الشرق المسلم والدولة العثمانية فيما بعد العديد من السيدات الأوروبيات على السفر إلى الشرق ، وبخاصة فلسطين وسوريا ، والكتابة عنها والتي أصبحت جزءاً من نتاج الرحالة والمغامرين والمستشرقين في القرن التاسع عشر وما بعد . المقتطف التالي هو جزء من رسالتها إلى أحد رؤساء الأديرة في العام 1718 .**

***Letter of the right honourable Lady M-y W-y M-e* , Vol.1, T.Cadell,1784**

إلى رئيس دير ------ **( تمّ حذف الاسم من قبل الكاتبة !)**

أدرنة ، 17 أيار/مايو ، 1718

لاحظتُ أن معظم التجار الأغنياء **(هنا)** هم من اليهود . ويتمتع اليهود بنفوذ لا يصدق في هذا البلد . ولهم امتيازات عديدة تفوق ما لجميع الأتراك الأصليين ، وقد شكلوا رابطة معتبرة هنا ، ويحاكمون وفق قوانينهم الخاصة . لقد وضعوا كامل تجارة الإمبراطورية **(العثمانية)** تحت أيديهم ، جزئياً بسبب التكاتف القوي فيما بينهم ، وأيضاً بسبب المزاج الخامل والعوز إلى المثابرة لدى الأتراك .

فلكل باشا تركي وكيل أعمال يهودي ؛ يطّلع على جميع أسراره ويقوم بكافة نشاطاته التجارية . إذ لا تتمّ صفقة و لا تستلم رشوة ولا تنقل بضاعة إلا من خلال أيدي اليهود . فهم أطباء ووكلاء ومترجمي كبار القوم . ويمكنكَ بذلك الحكم على مدى الفائدة التي يجنيها قوم لا يتوانون أبداً عن استغلال أقل فرصة كانت . لقد اكتشفوا سرّ عدم إمكانية الاستغناء عنهم ، بحيث أنهم متأكدون من حماية البلاط والقصر لهم ، أيا كان مُمسكاً بالسلطة . وحتى التجار الإنجليز والفرنسيين والطليان ، المُدركون لمكرهم ، مُجبرون على توكيل أعمالهم لمفاوضين يهود لأنه لا يمكن إدارة التجارة من دونهم . فحتى الدنيء بينهم لا يمكن تجاهُله في هذا المجال .

---

**- سارا روجرز هايثْ (1808-1881) : كاتبة ورحّالة من مدينة نيويورك ، سافرت إلى العديد من البلدان الأوروبية والآسيوية والإفريقية ، وكتبت انطباعاتها عنها على شكل رسائل ، جُمعت في كتابها " رسائل من العالم القديم " ، صدر على جزئين في عام 1840 تحت اسم مستعار " سيدة نيويورك " .**

***Letters from the Old World*** **by Haight, S., New York: Harper, Vol. II, 1840**

**سماسرة البازارات**

وعلى ذكر اليهود ، فهناك جماعة من السماسرة التافهين أو السعاة ، مهمتهم معرفة كل تاجر في جميع أرجاء هذه الأسواق **( البازارات العثمانية )** الضخمة ، ومتابعة مبيعاته ومخزوناته من البضائع . كما يبدو أيضا أنهم كانوا يعرفون محتويات كل خان من الخانات ومخازن التجار مهما بعُدت .

فما أن يدخل غريب إلى هذه البازارات للمرة الأولى ويلمحه سمسار من أبناء " ليفي" حتى يعتبره صيده الثمين ويقوم بملاحقته **(خفيةً)** . وما أن يقف **(السائح)** الغريب عند أول مخزن بقصد الشراء إلا و يكون السمسار قد تسلل إلى جانبه . ومهما تكن لغة الغريب ، فإن لسان السمسار الحذق يكون جاهزاً للتكلم بها .

وبلهجة محلية لا يفهمها التاجر، يُحذّر " موسى" الغريب من البضائع السيئة لهذا التاجر اليوناني الوغد ، أو من ذاك التاجر الأرمني الجشع ، أو التاجر التركي العنيد أو اليهودي الماكر وذلك تبعاً للظرف أو الحالة . وهنا ، يبلّغ السمسارُ الشخص الغريب أن بإمكانه شراء بضاعة أفضل وأرخص من مخزن آخر ؛ متبرعاً بتقديم خدماته النزيهة في جميع الأماكن التي تقدم مثل هذه التنزيلات . وإذا رفض الغريب ذلك ، فإن السمسار لا يتراجع ، بل ينتظر بصبر إلى حين الحاجة إليه .

ففي العام الفائت ، عندما دخلنا البازار في اليوم الأول ، ورغم أنه كان بصحبتنا دليل سياحي يوناني بارع ، أزعجنا واحد من هؤلاء السماسرة الذين أتينا على ذكرهم سابقاً . ومع أن الدليل اليوناني قام بطرده كمنتهك لخصوصيتنا ، كنا نجده دائماً في أعقابنا . وسرعان ما سنحت له الفرصة لإبراز مواهبه بقليل من الكلمات . فكلما وقع دليلنا في هفوة ، كان ابن آوى اليهودي جاهزاً للمشاركة في الحصول على نصيبه من الفتات . ومع ذلك ، كنا نستخدمه كدليل بشكل متكرر .

وبعد عودتنا ( **ذات مرة**) إلى البازار في اسطنبول ، وجدنا صعوبة في الحصول على صنف كنا نريده. فقلت للزملاء: "*لكم هو مؤسف أن ' سليمان ' ليس هنا؛ فلو كان معنا لما كنا مُربكين هكذا.*"

وما أن التفتُ إلى الخلف حتى شاهدت صديقنا السابق ورائي مباشرة . وبمجرد سماع اسمه ، أطلق سلاماً حاراً ، مرحّباً بقدومنا ثانية إلى اسطنبول . ومنذ ذلك الوقت ، أصبح سليمان ظلنا الأمين كلما دخلنا حدود المنطقة التجارية . لقد أمّن لنا الكثير من المشتريات بأسعار رخيصة ، وفي الوقت نفسه لم يكن ينسى ' بقشيشه ' من كل من البائع والشاري .

---

**- <u>أميليا بريستو</u> (1783-1824؟) كاتبة روائية وشاعرة إيرلندية انتقلت إلى بريطانيا . تشرح الكاتبة في سياق رواياتها ، في مطلع القرن التاسع عشر، التقاليد والعادات ليهود بولندا على وجه الخصوص . وقد أوحت كتاباتها عنهم للبعض بأن جذورها تعود إلى تلك الجماعة ، دعمت بريستو كتاباتها بحواش وشروحات من الكتابات والأقوال اليهودية لتعريف القارئ غير المُطّلع عنها . والمقتطفات التالية مقتبسة من أشهر كتبها ، التي أصدرتها جميعاً مغفلة الاسم - على غير ما هو متعارف عليه - .**

**<u>Bristow,A</u>.**
***" Emma De Lissau* : *a narrative of striking vicissitudes, and peculiar trials* " , Vol.I & II , Gardiner:London,1828 .**
**" *Sophia De Lissau , A Portraiture of the Jews* ", Gardiner: London,1829 .**
**" *Miriam and Rosette ,A Jewish Narrative* ", Routledge: London,1875 (new Ed.)**

- يتشابه يهود بولندا تقريباً مع إخوتهم يهود إنجلترا في تعاطي التجارة ، إلا أنهم يختلفون عنهم إلى حدّ كبير في جميع الأوجه الأخرى ؛ فهم متشددون في تقيّدهم بالشعائر والطقوس العبرانية . فالتلمود والغموض الصوفي والأحباري متعمّق فيهم . إذ تتضمن صلواتهم تضرعات على طريقة الكابالا Kabbalah الصوفية . ففي كل مساء ، يتلون ثلاث مرات توسّلاتهم التالية إلى ملائكة مُحدَّدين : **"** *باسم إله إسرائيل ، وعلى يميني* **(الملاك)** *ميخائيل وعلى يساري جبرائيل وأمامي آرائيل وخلفي رفائيل وفوق رأسي الوجود الإلهي* **"** .

- قال الحاخام غاماليل ابن الحاخام يهودا هناسي إن دراسة 'الشريعة' و' التجارة ' معاً أمر قيّم ومرغوب فيه ؛ ذلك أن اقترانهما مع بعضهما البعض يمحو الآثام الخطايا ؛ فكل دراسة للشريعة لا تدعمها أعمال تجارية business لن تكون فعّالة وستكون سبباً للإثم والخطيئة .

- يتبنّى اليهود ، وبخاصة البولنديين منهم ، عقيدة التقمّص ؛ ويجزمون بأنه يُسمح لروح الإنسان بأن تحيا في ثلاثة أجساد بشرية قبل أن يَثبُتَ وضعها النهائي . وبالتالي فلدى الروح ثلاث فرص للنجاة واكتساب الجنة عن طريق الإيفاء بتعاليم الشريعة **(اليهودية)** .

## <u>اليهود والأغيار</u>

- يقدّم الملك العشاء لأبناء بيته عندما يمتثلونَ لأمره . فهم يأكلون على مائدته بينما يُقدَّم العظام للكلاب ليقضموها . ولكن عندما لا يمتثل أبناء البيت لأوامر الملك ، فإنه يقدم العشاء للكلاب والعظام للأبناء . وكذلك الأمر بالنسبة لبني إسرائيل ؛ عندما يطيعون أوامر إلههم فسيأكلون على مائدته ، وستكون المأدبة لهم وحدهم . وبمَحض إرادتهم يقدّم بني إسرائيل العظام لغير اليهود **(للأغيار)** . ولكن عندما يَعْصون الإله فستكون المأدبة من نصيب الكلاب والعظام لهم * .

* تعليقاً على هذه الحكمة الرمزية ، تُورد الكاتبة مقطعين من العهدين القديم والجديد للمقارنة :

( المزامير 5:23 / العهد القديم) " *تَبسُط أمامي مأدبة على مرْأى من أعدائي* "

( مَتّى 26:15/العهد الجديد) "*فأجاب* **(يسوع) :** *ليس من الصواب أَنْ يؤْخذَ خبز البنين ويُطْرح لجراء الكِلاب* "

- تَحفلُ السجلات اليهودية بالعديد من حكايات التجديف والشتائم عن المُخلّص يسوع المقدّس . ويكفي هنا أن نستعرض عيّنة واحدة ، هي الأقلّ إساءةً وعدوانية ، من بين تلك الحكايات . إذ يقول اليهود إن **(الفتى)** يسوع كان يلعب الكرة باستهتار في ' الهيكل ' ، عندما ارتطمت الكرة بأحد الكهنة الناسخين Scribe **(من رجال الدين اليهودي)** . فوبّخه الرجل على فعلته هذه واصفاً يسوع 'بابن الزنا' **(أي نغل)** . وقد تأثّر الفتى من هذه التسمية ، التي تعني لدى اليهود أكثر من مجرد نغولة الشخص ولا شرعية نسبه ( ونمتنع هنا أن نُلوّث بمعناها الحقيقي صفحاتنا هذه) . وكان أن أسرع الفتى إلى أمه **(السيدة مريم العذراء)** ليلحّ عليها بالسؤال عن حقيقة الأمر ، إلى أن اعترفت بذلك مؤكدة مَقولة الرجل. ولهذا تخلى يسوع عن عائلته وأسّس طائفة **(أي ديانة)** جديدةً . إنّ مثل هذه التلفيقات قدّ لقّنها الشيطان ، أبو الأكاذيب ، لأبنائه **(اليهود)** ! .

- عندما يعلم اليهود بموت يهودي ، ينهضون من مجالسهم ويحنون رؤوسهم قائلين : " *مبارك أنت يا ربّ ، سيّد العالم ، فأنت الحَكم الحقيقي* " . ولكن عندما يرون جنازة لغير يهودي ، يهتفون : " *فلتفنى ذكرى الشرير* ! " .

---

**- <u>وليم هيبورث ديكسون</u> (1821-1879) مؤرخ ورحالة وصحافي بريطاني وأحد مؤسسي صندوق استكشاف فلسطين ( PEF) . له العديد من المؤلفات التاريخية وكتب الرحلات . المقتطفات التالية ترجمت بتصرّف من كتابه " *الأرض المقدسة* " ، ( 1865) .**

***The Holy Land*** **by Dixon, W.H. ,London : 4th.ed.,1869**

هناك ما بين ستة إلى سبعة آلاف أشكنازي ' أعيدوا restored ' مؤخراً إلى فلسطين **( أي عملت المنظمات اليهودية على نقلهم إلى أرض أجدادهم !)** . وهم، بصريح العبارة ، يعتمدون بشكل أو بآخر على الصدقات للحصول على قوت يومهم . ويقال إن هناك سبعة ملايين يهودي آخر في أنحاء العالم . فمن يخبرنا عن تكلفة ' *إعادتهم* ' جميعاً إلى أرض فلسطين ؟

في دير مار إلياس روى لي رجل ، عاش في ' يهودا ' عشرين عاماً ، قصةً عن إحدى المحاولات لتنظيم ' *إعادة اليهود* ' على أسس عقلانية ، أي على أسس اقتصادية وعملية :

*" يُقال إن هناك عالمٌ ، يعيش في نيويورك ، أراد أن يُمضي وقت فراغه في حساب التكلفة التي صُرفت على إعادة الستة آلاف يهودي إلى الأرض* **(ميعادهم)** *المقدسة . وقد أصيب العالمُ بصدمة عندما دفعه حماسه إلى ضرب تلك التكلفة بأعداد الملايين السبعة من اليهود . فمن المعروف أن بريطانيا قد أنفقت الكثير على الحرب . ولكن دَيونها الهائلة لم تكن إلا بمثابة كومة صغيرة إذا ما قورنت بتكلفة ' إعادة ' جميع اليهود إلى فلسطين .*

*انتقل خبر التكلفة التي توصّل إليها ذلك العالم من لسان إلى لسان ؛ وكان أن طُرحَ سؤالاً هاماً عن إمكانية المنظمات* **(اليهودية)** *في لندن ونيويورك وأفرعهما نقل وإعادة الملايين إلى فلسطين . اللهمَّ إلا إذا بدأ الستة آلاف يهودي الموجودين حالياً في فلسطين باكتساب قوتهم بعرق جبينهم . ولكن كيف ؟*

*ففي مواطنهم الأوروبية ، كان هؤلاء اليهود تجاراً ، يبيعون الأقلام والاسفنج والألبسة القديمة . ولكن ، أين في ' صهيون ' وفي الخليل توجد فرص لبيع مثل هذه الأشياء ؟ فاليوناني* **(المتواجد في**

**القدس)** *لايكتب أبداً ، وبالتالي ليس هناك طلب على الأقلام . والعبراني لا يغتسل ، ولا حاجة له للإسفنج . والعربي لايلبس ثياباً ، باستثناء أسمال بالية يُولد ويموت فيها ، فلا حاجة لألبسة قديمة .*

*اقترح البعض أن يعمل هؤلاء في الأرض . فذهب بعض المُصلحين إلى اسطنبول ، وأمكنهم بالصبر وبالقروش إقناع الخليفة* **(السلطان العثماني)** *بإصدار فرَمان خاص يسمح لهم بشراء وتملك أراض في ' يهودا ' .*

*وبعد أن ربحوا معركة الأرض ، كما يقول رجال العلم . اشتروا قطعة أرض جيدة من أحد الآغوات العرب ، واقترحوا اختيار عائلات يهودية ومنحها امتياز زراعتها والاعتناء بها ، ودفع مقابل العمل في الأرض أجور مادية وعينية ؛ وكهدية ، ستؤول ملكية الأرض المثمرة بعد بضع سنوات من التعب والحراثة لتلك العائلات . تمّ اختيارُ العائلات وأُعدّت الأرض وجرى شراء أشجار الزيتون ، إلا أن حماس العمال في الأرض تراجع . فهم ينامون منتصف النهار في الظل ، ويغيبون في الصباح عن الأرض . فالغراس لم يُزرع والمحصول لم يُجمع . وبعد ثلاثة أشهر من هذه التجربة توقف العمل في الحقل بشكل نهائي .*

*في الغرب ، توالت الأعذار والتبريرات حول فشل اليهود المساكين . فهؤلاء لم يسبق لهم قط أن أمسكوا بأداة تعشيب ؛ أو أن غراس أشجار الزيتون كان من نفايات أحد الأحياء اللندنية ؛ أو أنهم لم يميزوا بين التربة الجيدة أو السيئة .*

**حسناً** *، قالت لندن ونيويورك* **(أي المتبرعين اليهود في الغرب)** *، لنعيد التجربة مع الأشكينازيين المساكين من فلاحي بولندا وألمانيا . فالعناية بأشجار الزيتون بالقرب من القدس لا يتطلب جهداً يضاهي قطع أشجار الشوح أثناء الثلج والصقيع في تلك البلدان . ولكن النتيجة لم تكن أفضل من سابقتها . فقد هرب البولندي من الحقل ولم يكن بالإمكان إقناعه بالعودة إليه . لم يكن يريد العمل ! .*

*ومع معرفتهم بأن الأفراد والمجتمعات تحكمهم نفس قوانين الطبيعة ، أصرّ العلماء على فهم السبب الذي يدعو زُمراً من اليهود الفقراء ، يعيشون على الصدقات في أحياء القدس التعيسة وأزقتها القذرة ، إلى رفض حراثة الكروم وحقول الزيتون ، رغم الدلائل الأكيدة أنهم سيصبحون في وقت ليس بالطويل ملاكاً لحقولهم ؟ الجواب كان جاهزاً . الصدقات والتبرعات الخيرية من نيويورك ولندن كانت كافية لتغطي حاجاتهم البسيطة . والحاخامات القائمون على توزيع تلك الصدقات على رعيتهم ، لم يرغبوا في انسحابهم من المدينة إلى الريف .*

*لقد أُفهَم هؤلاء الحاخامات لندن ونيويورك بأن* مهمتهم في مخطط ' *إعادة الإسرائيليين* ' إلى *فلسطين تقتصرُ على جمع ' القروش ' ، وبالتالي يضمن هذا لهم راحة البال* " .

**<u>لماذا يكرهونهم ؟</u>**

لا يمكننا ، نحن المسيحيين ، أن نتباهى بكوننا حكماء أو منطقيين في معاملتنا للعرق المقدس . ففي القرون الوسطى عزلناهم في الغيتوهات ونعتناهم بسوء السمعة وطردناهم وسلبناهم وشويناهم أحياء وعاملناهم كحشرات وليس كبشر . ولكن لماذا ؟ .

ألأنّه في حقبة سالفة وبلد آخر ، قام أحد كبار الكهنة ، من الارسطوقراطيين البغيضين ، بصَلب ' مسيحنا our Lord ' لدوافع سياسية ؟ كلا ، فهذا أبعد الأسباب ؛ إذ لا يمكن للغضب أن يستمر ألف عام . فالإنجليزي الذي طرد اليهود في ظل حكم إدوارد ، والاسباني الذي أبعدهم أثناء حقبة إيزابيلا ، لم يفكرا في جريمة اليهود التي لاتنسى ، بل في المعايير اليهودية اللااجتماعية التي تفترض أن تكون يدُ اليهودي ضد كل إنسان . وبالتالي ، ووفق قانون الفعّالية الأخلاقية ، تحوّلت يد كل إنسان ضده . فكل ما فعلته تلك ' التشريعات الشفهية ' لأهل الجَليل **(أي تعاليم التلمود التي وضعها كبار الحاخامات لبني إسرائيل)** أنها شرّدت أبناءهم في الشتات .

لقد شجبهم كل كاتب في الإمبراطورية الرومانية وكل أب مسيحي، ورأى أن هؤلاء المنفيين أشخاص " *عديمو الموهبة وبلا فضيلة ، ظلاميون ، ضارّون وعنيدون ؛ شجاعتهم في الحرب لم تكن سوى إثارة همجية . وباختصار ، هم أعداء الإنسانية جمعاء* " .

ورغم أن **(المؤرخان)** تاسيتوس وسويتونيوس و**(الشاعر)** جوفنال لم يغضبوا من اليهود بسبب المسيح ، فإن هؤلاء الكتّاب الوثنيين وصفوهم بأقذع العبارات . فالشهوة للربح تحثّ اليهودي على بيع القمح والزيت وإقراض المال الرَبويْ إلى المواطن الروماني . ولكن حتى شهوة المال لا تدفع اليهودي إلى الأكل على مائدة الروماني أو النوم تحت سقف الإغريقي أو مساعدة مواطن من بلاد الغال في

محنته أو الزواج من بيت أيبيري . فكل الأغيار**(غير اليهود)** مكروهون وسيئون بالنسبة له . ولا يمكن لأحد إقناع شحاذ يهودي بأن أميراً أوروبياً يصلُ إلى مستواه . ولا إقناع أي بائع متجول ، لا يمكنه تلاوة صلاته ، بعدم تفوقه على الآخرين بفصاحته في اللغة اليونانية وفنونها . وإلى وقت متأخر يقارب حكم صلاح الدين ، تمادى غرور اليهود العدواني إلى حدّ أن حاخامات بارزين قالوا بأن اليهودي مُحصّن بقداسة تمنعه من السفر مع ' *إفرنجي* Frank ' خشية إصابته بالتلوث . وهكذا ، فإن اليهود بتصرفاتهم وتعاليمهم هذه ، فصلوا أنفسهم عن الآخرين وكرهوا العالم أجمع ، فكافأهم العالم بالازدراء والجَوْر .

---

**- <u>جون إيتون</u> (1797-1863): كاتب اسكتلندي مهتمّ بالشؤون الدينية وله العديد من المؤلفات . المقاطع التالية من كتابه " *أراضي المسيح ، محمد والبابا* " ، الصادر عام 1853 .**

***The Lands of the Messiah, Mahomet and the Pope* by Aiton, J. , London : Fullarton, 1853**

يروي تاريخ اليهود في بريطانيا أثناء حكم ريتشارد وجون وهنري وإدوارد حكاية رعب . فقد طردَ إدوارد الأول (1239-1307) ما يقرب من عشرين ألف يهودي بائس من جزيرتنا . وعلى مدى ثلاثمئة إلى أربعمئة عام تالية ، لم يُسمح للهائمين من بني إسرائيل بوضع أقدامهم على شواطئنا .

لقد عُوملَ اليهود في بريطانيا كعبيد . واعتبروا كأنهم شريحة دونية منغلقة في هندستان . وفي الحقيقة يمكن القول بأن ' *المُحمدانيين* ' **(المسلمين)** قد عاملوا اليهود بشفقة وعدالة أكثر مما عاملهم المسيحيون في أي وقت مضى .

إن شعور اليهود تجاه المسيحية عدائي بشكل مطلق . وهم يؤكدون أن من بين جميع مضطهديهم كان المسيحيون الأكثر عنفاً تجاههم سواءً في فلسطين أو في الأماكن الأخرى . يتواجد في المدينة والأرض المقدستين مسيحيون بأعداد كبيرة ينتمون إلى الكنائس اليونانية والأرمنية والكاثوليكية إلا أنهم لا يشعرون بأي تعاطف مع اليهود المساكين . فكراهيتهم لهم متأصلة وشديدة ويتعاملون مع ' *بني إسرائيل* ' كأعدائهم اللدودين . وعلى هذا الأساس لايثق اليهود بهؤلاء المسيحيين ولا

يحترمون دينهم ذلك أنه ، كما يقولون ، يُظهر حقداً وخداعاً . ففي أوقات الخطر ، يُفضّل اليهودي اللجوء إلى بيت تركي على بيت مسيحي . وطالما يحمل هؤلاء المسيحيون الضغينة في نفوسهم ، لا يجرؤ اليهود في هذه الأيام على تخطي باب كنيسة القيامة .

## الهداية

إن إحدى الطرق الرئيسية لهداية اليهود في فلسطين إلى المسيحية هي إضعاف النفوذ المُفرط لحاخاماتهم . وهذا يمكن تحقيقه فقط عن طريق تنوير عقول اليهود وتليين قلوبهم . إلا أن اليهود هنا هم عبيد لحاخاماتهم ، ذلك أن الحاخامات يوزّعون المساعدات المالية ، المؤتمنون عليها ، وفق إرادتهم وأمزجتهم ومن دون أي مسؤولية . والرأي السائد هنا بأن هذه المساعدات سَتقطعُ عن أي عائلة مهما كانت محتاجة ، بمجرد الشكّ باتصال أحد أفرادها بإرسالية تبشيرية مسيحية . وفي مثل هذه الحالات ، يفضّل أن تزوّد الإرساليات التبشيرية بموارد مالية لتغطية المساعدات عن الأسرعند توقفها . فاليهود بفطرتهم تجّار وجشعون . ومع أنه من الخطأ رشوتهم للتحول إلى المسيحية ، فليس من المناسب أن يفقدوا المال بسبب أي تغييرفي آرائهم الدينية قد يمليه عليهم ضميرهم .

## من الكراهية إلى الحب

تولّدت النظرة الإيجابية إلى اليهود **(في أواسط القرن التاسع عشر)** لأسباب سياسية وليست دينية . فقد بدأ قادة العالم بالتطلّع إلى أولئك الملايين المُشتتين كأدوات يمكن أن تصبح مفيدة في تنافس الأمم **(الأوروبية)** لتوسيع إمبراطورياتها . وبما أن تفتتَ الامبراطورية العثمانية يبدو الآن أكثر وضوحاً سنة بعد أخرى ، تبينّ للقادة **(الأوروبيين)** بأن الأرض المقدسة يمكن أن تصبح جائزة كبيرة يضعها دولاب الحظ في يد أحد منهم في القريب العاجل .

وعلاوة على ذلك ، فإن اليهود في أوروبا ، بسبب ثرواتهم ، قد أصبحوا واحداً من التيارات الخفية في المحيط السياسي العالمي . وإلى حدّ كبير ، لا يمكن لأي دولة في أوروبا أن تتنازع مع جارتها من دون أن تحصل على عصب الحرب **( أي المال)** من اليهود .

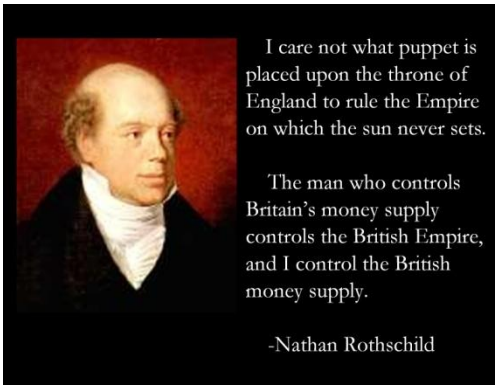


**نيثان روتشيلد**

***" إن من يتحكم بمخزون الأموال في بريطانيا هو من يتحكم بالإمبراطورية البريطانية "***

---

**- <u>لورنس أوليفانت</u> (1829- 1888) : كاتب ورحالة ومراسل صحفي وعضو في البرلمان البريطاني . كان شغله الشاغل تهجير يهود روسيا وأوروبا الشرقية إلى فلسطين وشرقي الأردن لتحقيق نبوءة الكتاب المقدس في مجيء المسيح والوصول إلى دورة الزمان الكبرى . وقد سعى جاهداً لدى الدولة العثمانية لإقامة مستعمرات زراعية يهودية ، منطلقاً من دوافع دينية أصولية كمبشّر إنجيلي وأخرى استعمارية في حقبة الإمبراطورية البريطانية . وقد تضمّن كتابه " *أرضُ جلعاد* " ، 1880 مجمل أفكاره حول المخطط الاستعماري . في هذا المقتطف ، يبدي أوليفنت بعض المقترحات لتجاوز مشكلة تهرّب المُهاجرين اليهود إلى فلسطين من ممارسة العمل اليدوي وخاصة الزراعي .**

***The Land of Gilead*** **by Oliphant, L. , Edinurgh: Blackwood, 1880**

لقد قُدّمتْ اعتراضات على أن اليهود ليسوا من أهل الزراعة ، وإن أي محاولة لتطوير الموارد الزراعية في أي بلد من خلال مساعدتهم ستؤول إلى الفشل . فمن الأجدى أن يكونوا في المرحلة الأولى مُلاّكاً للأراضي بدلاً من كونهم مزارعين فيها ، وذلك هو مقترحي بدعوتهم للهجرة إلى فلسطين ، حيث يمكنهم تأجير أراضيهم بأسعار عالية إلى مزارعين مَحلّيين إذا فضّلوا ذلك ، بدلاً من إقراض المال على المحصول الزراعي إلى الفلاحين بنسبة 20 إلى 30 بالمئة ، كما هو متّبع الآن حيث لا تتوافر لديهم ضمانات للأرض . بل من المُحتمل أن إمكانات حصولهم على عائد كبير لاستثمار رؤوس أموالهم سيحفّزهم مباشرة على تعلم العمل الزراعي بأنفسهم بما يكفي لتحقيق جميع الأهداف العملية . ففي أحد الأعداد الصادرة مؤخراً من صحيفة ' التايمز ' ، كتب واحد من مراسلي الصحيفة : " *تحتشد المدن الروسية - البولونية والليتوانية بأعداد غفيرة من اليهود العاطلين عن العمل ، بحيث تعجز السلطات المدنية عن دعمهم . ولهذا صمّمت الحكومة على إنشاء مزيد من المستعمرات الزراعية في مختلف المقاطعات لاستقبال هذا الفائض من البروليتاريا العبرانية غير الضرورية* " . هذا ويمكنني أن أضيف حقيقة ملموسة مفادها انه في أي بلد يحلّ به اليهود ، يقوم أحفاد يعقوب الموهوبين بأي شيء عدا العمل اليدوي ، الذي يمقتونه مقتاً متأصلاً فيهم .

---

**- <u>أشر تسفي غينتسبرغ (المعروف باسم آحاد هاعام)</u>** (1856-1927) **مفكر يهودي من أوكرانيا ( التابعة آنذاك للإمبراطورية الروسية) . يعتبر أحاد من رواد حركة الصهيونية الثقافية والتاريخ اليهودي المعارضة للصهيونية السياسية بقيادة تيودور هرتزل . في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، زار هاعام المستعمرات اليهودية في فلسطين وسجل ملاحظاته عنها في كتاباته . المقتطف التالي من مقالته " *بالمُجْمَل* " *summa* summarum في كتابه " *عشر مقالات حول الصهيونية واليهودية* " ويتحدث فيها عن عزوف المستوطنين اليهود عن العمل الزراعي في المستعمرات الصهيونية .**

***Ten Essays on Zionism and Judaism*** **by Ha-am,A.,London ,Routledge,1922**

إن اليهودي بارع جداً ومتمدّن جداً لكي يقيّد حياته وطموحاته بقطعة أرض صغيرة ويكتفي بالحصول منها على دخل زهيد يكدّ ويعرق من أجله . لقد فقد اليهودي البساطة البدائية للمزارع

الحقيقي الذي ترتبط روحه بقطعة أرضه والذي يمثل عمله فيها كل كيانه ... . ويمكن لليهودي أن يصبح مزارعاً بارعاً ... وسيداً ريفياً **(ملاّكاً إقطاعياً)** يفهم الزراعة ويكرّس نفسه لها : مَثَلُه مثل تلك النوعية من الرجال الذين يذهبون كل صباح إلى الحقل أو الكرمة ليراقبوا العاملين وهم يحرثون أو يبذرون أرضهم ويزرعون أو يُطعّمون أشجارهم ... فمزارعو " النخبة الاجتماعية " هذه هم من النوعية التي تعتمد على جهد الآخرين ولا يمكن أن تكون أساساً لبناء " وطن للجوء" **(في فلسطين) ...**

تشكّل العمالة الريفية والمزارعين الفقراء الأساس في كل دولة ؛ عمالة تكسب قوت يومها من جهدها في الحقول . ولكن العمالة الريفية في فلسطين اليوم ليست من اليهود ويصعب تصوّر أن تكون منهم في أي وقت من الأوقات . ففي الوقت الراهن ، نعلم جميعاً أن العمل يتم في غالبيته من العرب القاطنين في القرى المجاورة ، إما كعمال مياومين يأتون صباحاً ويغادرون إلى قراهم مساءً ، أو دائمين يعيشون مع عائلاتهم في المستعمرات . هؤلاء هم من يقومون بالعمل من أجلنا لبناء " وطن اللجوء " ...

مؤخراً ، جاء يهود اليمن ليستقروا في المستوطنات ويعملوا في الأرض ؛ ويدّعي **(المفكرون)** الصهيونيون الآن أن هؤلاء سيطوّرون الأراضي فيها . إلاّ أن هذه تجربة أخرى من التجارب التي لا يمكن الحكم عليها الآن . فالعديد **(من اليهود)** في فلسطين يظّنون أن اليمنيّين ليسوا أقوياء بما يكفي للقيام بالأعمال الشاقّة ؛ وإضافة لذلك ، فإن مستوى ثقافتهم وعقليتهم تختلف جذرياً عن مستوى ثقافتنا وعقليتنا **(من مهاجري يهود أوروبا الشرقية)** ، وهذا ما يطرح سؤالاً حتمياً حول مدى زيادة أعدادهم في تغيّير الصفات العامة للمستعمرات ، ومدى توجّه هذا التغيّير نحو الأفضل .

**<u>تعقيب المترجم</u> :**

**في مداخلة جريئة ألقاها التربوي اليهودي إسحق إبشتاين Yitahak Epstein في المؤتمر الصهيوني السابع في بازل (1905) <u>وتمّ التعتيم عليها</u> ، دحض إبشتاين أكذوبة زملائه في المؤتمر حول وجود الأراضي البائرة والمهملة في فلسطين :**

**" ... هناك ما يزيد على أكثر من نصف مليون عربي في "<u>أرضنا</u> " ، يُعيلُ 80 بالمئة منهم أنفسهم حصراً عن طريق الزراعة ويمتلكون جميع الأراضي الصالحة للزراعة . لقد حان الوقت لتبديد الاعتقاد الخاطئ بين الصهيونيين بأن الأراضي في فلسطين بائرة غير مُستصلحة بسبب**

**فقدان الأيادي العاملة أو كسل سكانها المحليين .. . (إذ) لا يتوجب علينا أن نقتلع سكاناً من أرض كرسوا هم وآباؤهم أفضل جهدهم وكدحهم فيها ... فإذا كان هنالك مزارعون سقوا حقولهم بعرقهم فهم العرب ... فالفلاح العربي ذكي ويمتلك من الحنكة ما يفوق كثيراً ما يمتلكه مزارعو دول أخرى ..**

***The Hidden Question*** **by Yitzhak Epstein (delivered at the Seventh Zionist Congress in Basel 1905)**

**كما اعترف الكاتب مونتاغو صامويل في كتابه " *الحياة اليهودية في الشرق*" مهارة الفلاحين العرب في الزراعة مقارنة بالمستوطنين اليهود : " لا يمكن لليهود مجاراة العرب كعمال زراعيين ، فبإمكان هؤلاء العمل لساعات في الشمس المحرقة بأجر يومي لا يتجاوز نصف فرنك ؛ فهم ينامون في العراء ويقتاتون على الحشائش والخبز الجاف وبقايا اللحوم " .**

***Jewish Life in the East*** **by Samuel, S.M. , London: Kegan Paul, 1881 ,P.79**

---

**- <u>غوالد ماثيوز</u> كاتب وشاعر أمريكي ، أمضى ستة أشهر في فلسطين وسوريا ومصر يدرس الأوضاع فيها . في المقتطف التالي ، يبدي ماثيوز دهشته إزاء الأوضاع الزراعية في إحدى المستعمرات اليهودية في فلسطين ، وذلك في مقالة بعنوان " *الوعود المنكوثة* " نشرها في مجلة ' ديربورن إنديبندنت ' الأمريكية عام** 1926 .

***Broken Promises in Palestine*** **by Matthews , G., The Dearborn Independent ,Nov.13,1926**

وصلنا سهل زَرْعين (أو **مرج ابن عامر**) حوالي الظهيرة عندما كانت الشمس المُحرقة تمتد على طول أخدود الحقل . وفي وسط الغطاء المُبرقع لحقول الحبوب الخضراء والتربة السوداء ، تتواجد كتل صغيرة لبيوت ذات أسقف حمراء وبضع شجرات متفرقة ووحيدة على مدى البصر . وقد أخبرنا فؤاد (**دليلنا العربي الشاب**) إن هذه كانت واحدة من أقدم المستعمرات الصهيونية والتي تمّ

إنشاؤها قبل حوالي أربعين سنة . كان نمط البيوت لا يزال على حاله ، خالياً من الخصوصية أو الشخصية الذاتية ، وكما أوجدته آنذاك اللجنة الصهيونية بالجملة ؛ وكانت الآلات الزراعية الأمريكية الصَدئة متوقفة في الفناء بين النفايات وفضلات النباتات . رجل واحد ، يرتدي بدلة عمل مجعّدة وقبعة من القش ، كان يجرف التربة ويقلبها بمعوله خلف زوج من الثيران المُتعبين . كانت عيدان القمح قد نمتْ متناثرة وغير متساوية في طولها ، تماماً كما لو أن العرب زرعوها بمعاولهم اليدوية المعوجّة .

سألنا فؤاد عن سبب عدم عمل رجال أكثر في الحقل . " *آه ، إنهم يعملون بما فيه الكفاية* " أجابنا وهو يهز كتفيه بلا مبالاة " *لماذا يخرجون في هذا القيظ إذا لم تكن هناك حاجة لذلك ؟ إنهم ليسوا بحاجة إلى محصول كبير من الحبوب ، لأن الكثير من الأموال تتدفق عليهم من إنجلترا وأمريكا* "

في البداية ، كان يبدو مستحيلاً تصديق أن جالية قضت هنا أربعين عاماً لا تزال عالةً على صندوق القرض الصهيوني . ولكن رئيس الجالية الأمريكية في القدس أكد لنا ما قاله فؤاد . فوفق مخطط إنشاء المستعمرات ، تمّ شراء الأرض ثمّ أقيمت المستعمرة للمهاجرين اليهود وزُوّد سكانها بجميع احتياجاتهم ؛ كما أقرضت كل عائلة منهم بمبلغ سنوي على أن تُسترَد هذه القروض عندما يصبحون مُكتفين ذاتياً . وإلى الآن ، فإن معظم القروض لم تُسدّد بعد ، بل لا يزال المزيد من القروض يتدفق إليهم .

---

**- <u>سيدني مونتاغو صامويل</u> ، كاتب بريطاني- يهودي (1848- 1884) . سافر إلى فلسطين عام 1879 لدراسة أوضاع اليهود المادية والمعنوية في الأرض المقدسة ، وأودع نتائج دراسته وملاحظاته في كتاب " *حياة اليهود في الشرق* " ، الصادر في عام 1881 . في المقاطع التالية يعلّق مونتاغو على مخطط لورنس أوليفنت الاستعماري الآنف الذكر في رسالة بعث بها إلى صحيفة " *الجويش كرونيكل*" البريطانية ، وينتقد في الوقت ذاته أفكار الحاخامات البالية في فلسطين وبعض معتقداتهم الخرافية .**

***Jewish Life in the East*** **by Samuel, S.M. , London: Kegan Paul, 1881**

إلى رئيس تحرير الجويش كرونيكل ،

(**مشروع**) السيد لورنس أوليفانت حول استعمار اليهود لفلسطين

يقول أوليفنت : " *تقدمتُ إلى الحكومة التركية بمشروع يهدف إلى استعمار بقعة من الأرض الخصبة وغير المأهولة ، تقع شرقي نهر الأردن والتي لا يشغلها حالياً سوى قبائل متناثرة من العرب الرُحّل . وتتفوق الإنتاجية الزراعية لهذه البقعة على تلك المتواجدة غرب نهر الأردن . وتبلغ كامل مساحة المنطقة المقترح استعمارها حوالي مليون ونصف المليون أكر* acre ( **أي حوالي** 6070 **كيلومتراً مربعاً** ) "

ويَقترحُ (**أوليفنت**) أن تشكل المنطقة المُختارة لاستعمارها سنجقاً (**محافظة**) منفصلاً . ولن تكون الهجرة إليها مقتصرة على اليهود فقط ، بل تصبح ملجأً يأوي العديد من عائلات اللاجئين المسلمين من بلغاريا وأرضروم (روملیا) ، الذين أثبتت مزارعهم التي أجبروا على تركها بأنهم عمال زراعيون من الطراز الأول . وسيتدافع الفلاحون أيضاً من غرب فلسطين للعمل في الأرض ، نظراً لأنهم هناك في حالة فقر مُدقعْ . وليس من المُرتقب في المرحلة الأولى أن تستخدم العمالة اليهودية في الأرض إلا أنه من المتوقع أن يوجد من بين 200000 يهودي في تركيا الآسيوية ما يكفي من الرأسماليين ليصبحوا ملاّكاً للأراضي . وكاستثمار فإن الزراعة ، عندما تتم بشكل صحيح في فلسطين ، ستدرّ العائد المادي الأكبر .

ويلاحظ فوراً ، بأن السيد أوليفانت قد توصل إلى مخطط عملي ووحيد حالياً لاستعمار الأرض من قبل اليهود . ففي ظروف اليهود الحالية ما يشير إلى عدم تأقلمهم مع العمل اليدوي بما يكفي ، إذ تقتصر قدراتهم فقط على إدارة العمل الاقتصادي للفلاحين . ولربما تجعلهم العادة والممارسة ، في وقت لاحق ، مزارعين بحدّ ذاتهم .

المخلص سيدني صامويل .

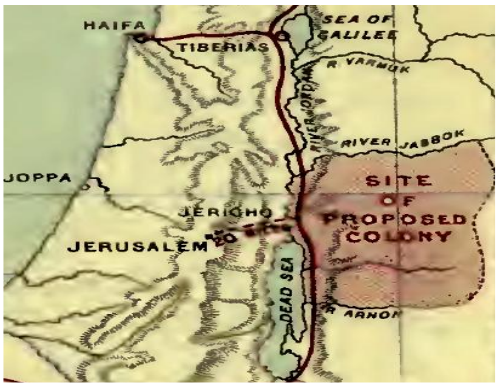


**مخطط أوليفنت الاستعماري 1880**

## الحالوقا

مما لا شك فيه أن لعنة الأرض (**أي أرض فلسطين**) تكمن في طريقة توزيع الصَدقات . سأتكلم بالتفصيل ، وإن بشكل سريع ، عن ' *الحالوقا* Halukah ' وغيرها من المساعدات الخيرية . إذ يُنظر إلى تلقي الصدقات في الأرض المقدسة على أنه حقّ ، وتعبير إجلال يدفعه اليهودي في الغُربة إلى أخيه في القدس ؛ أو ضريبة لا يتوقع المرء لقاءها أي شكر أو عرفان بالجميل . لندع كبير حاخامات الأشكينازيين الموقّر صامويل زالانط الجدير بكل احترام ، وهو رجل في غاية الورع والمعرفة التلمودية الاستثنائية ، يبيّن لنا آراءه حول مواقف يهود القدس تجاه إخوتهم اليهود الأغراب **(أي إخوتهم في الشتات)** .

فقد أسَرّ الحاخام لي أسطورة ' يسّاكر Issachar ' و ' زبولون Zebulun ' ، حيث أن يسّاكر هو طالبُ علمْ ، أما زبولون فهو تاجر يدعمُ طالب العلم بالمال . ووفق عقيدة الحاخام ، يمثلُ يهود الأرض المقدّسة يسّاكر ، أما بقية أمة اليهود الموزعين في أرجاء العالم فيمثلون زبولون . ويجب أن تكون القدس معقل القداسة المُركّزة والتقيّد المتشدد باليهودية . وتقضي وصايا زالانط بدراسة الشريعة اليهودية والتلمود في القدس نيابة عن جميع الأمّة اليهودية .

ويجب ألا تتداخل العوامل المادية المُزعجة ، كالخبز اليومي وغيره ، مع أفكار طلبة العلم التجريدية المقدسة ، كما لا يُسمحُ ، وفقَ منظوره ، بدراسات أخرى تنافس الشريعة اليهودية أو تمتزج بها .

" *إن التلمود من أجل الجميع ، والجميع من أجل التلمود* " هي وصية الحاخام زالانط وأتباعه . " *فالمال الذي يُرسَلُ إلى القدس يُمثّل بديلاً للوقت الذي يتوجب على كل يهودي تكريسه لدراسة الشريعة اليهودية ، وبالتالي ، فإن تقديمه أمر عادل وحقّ لا تشوبه شائبة* " .

هذه باختصار هي الأحكام الشرعية التي حصلتُ عليها من المقابلات التي أجريتها مع هذا الحاخام ، والحاخامات الأشكينازيين الذين يحتلون مواقع دينية مشابهة . أما إذا كانت تلك الأحكام تتسم أولا بالحكْمة فهي مسألة تعود إلى القارئ ، ذلك أنه قد تمّ تطويرالأحكام تحت شعار' التلمود والتوراة ' (**أي دراسة الشريعة**) . ومع ذلك ، فما من شك من جديّة هؤلاء الدُعاة وأهدافهم الدينية الممتازة وفقاً لمداركهم الروحية .

وبما أن توزيع غالبية مساعدات ' *الحالوقا* ' الخيرية هو من صلاحيات من يحملون هذه الآراء (**أي الحاخامات التلموديين**) ، وأن تلك المساعدات قد وُضعت بين أيديهم لدعم صلاحياتهم بشتى الوسائل ، فيمكن بسهولة تخيّل ما ينجم عن مثل هذا ' *الزواج الكاثوليكي* ' بين القوى الروحية والقوى الدنيوية ؛ من تقليص لحرية الأفراد والاعتماد على ذاتهم إلى الحد الأدنى ، رغم أنه لا ذنب لهم في ذلك .

ولعل سَرْدَ نادرتين اثنتين ستثبتان ما ذهبتُ إليه وتكون أفضل من صفحات عديدة من الأخذ والرد . أخبرنا عامل مسيحي بأن صديقه اليهودي ، ذكر لنا اسمه ، كان حرَفياً ممتازاً ، بإمكانه الحصول على عمل دائم كمُصلّح للساعات . ولما سُئلَ عن سبب عدم عمله بجدّ أكبر ، أجاب : " *بأنه يتقاضى سنوياً ذلك المقدار من مساعدة الحالوقا ، والأمر ذاته لزوجته ولكل طفل أنجباه ، وبالتالي ، فما الداعي ليجهد نفسه بالعمل إلى الحدّ الأقصى* ؟ " .

أما النادرة الثانية فمفادها أن صديقاً لي كان على ظهر باخرة متجهة من يافا إلى القسطنطينية . ولكونه معروفاً بأنه يهودي ، جاءه صبي ، بُعيدَ مغادرة بيروت ، وهو يبكي قائلاً بأنه ' *مُسافرٌ مُتَسللّ* ' لا يملك شيئاً يأكله ، وأن الربان هدّد بإنزاله من الباخرة أثناء الرسو المُقبل في قبرص بعدما اكتشف عدم دفعه ثمن تذكرة الرحلة . فأبواه قد توفيا في القدس ، وهو في صدد الوصول إلى القسطنطينية حيث يعيش أخوه الأكبر . ولكون صديقي إنساناً عطوفاً وبالتالي ليّن العريكة ، فقد دفعَ

ثمن تذكرة الصبي وأعطاه ما يكفي لإعالته فيما تبقى من الرحلة . بعد ذلك ابتعد الصبي من دون أن يتفوه بأي كلمة شكر .

وحدث بعد ذلك أنه كلما تجرأ صديقي على الظهور على سطح السفينة ، كان كل يهودي على متن الباخرة - وكانوا كثراً - يُزعجه بطلب الصدقة . الصبي كان يهودياً من القدس ، والمال كان من وجهة نظره صدقة مقدّسة **(حالوقا)** ، وبالتالي لم يكن يدور في خلده شيء آخر سوى أنه واجب مشروع وحقّ له .

هناك عَوَز بين اليهود ؛ عوز قوي ومؤلم ، ولكن ما من شيء يساعد أكثر على تفاقمه سوى هذه الطريقة أي اعتبار الحصول على المال صدقة واجبة . وبما أن كل شخص يحصل عليها ، سواءً كان بحاجة إليها أم لا ، فإن ثمانين أو تسعين بالمئة من المقيمين ( **في فلسطين**) يحصلون على الصدقات.

وهناك فرع آخر لهذه الصناعة أود أن أُحذّر قرّائي اليهود منه .' *الشلوخيم* sheluchim ' أو المُراسلين ، الذين يُبتعَثونَ لجمع الأموال من الخارج ويتلقون أربعين بالمئة مما يجمعونه ، إضافة إلى إقامة مجانية خلال مدة غيابهم . فقد أسَرّ لي أحد الأثرياء المُتخمين ، والذي تمَكّن من جمع 5200 جنيهاً استرلينياً ، بأنه حصل على نسبة الأربعين بالمئة المعتادة ، واستمتع برحلة مجانية وممتعة على مدى عامين . إن أي مال خاص بالصدقات يُبتَعثُ مثل هؤلاء الأشخاص لجمعه ، يُفضّل إرساله عن طريق القنصل المقيم ، الذي سيكون سعيداً للقيام بهذه المهمة .

## فضيلة الزواج

تعتبر مسألة الفضيلة لدى يهود الأرض المقدسة هامة جداً . إلا أن الفضيلة ، قياساً ، ناجمة عن شرّ مستطير. فقد أصدر الحاخامات فتاواهم بأن لا يبقى الرجل أعزباً إذا تجاوز الثامنة عشرة . وبالتالي ، فليس مستغرباً أن ترى زوجاً وأباً في السادسة عشرة من عمره أو زوّجة وأمّاً في الرابعة عشرة . وكنتيجة طبيعية فإن الذُرية تكون ضعيفة ومريضة. والزواج هو مسألة يتم ترتيبها ، إذا لا يرى الطرفان بعضهما البعض بشكل متكرر إلى يوم الزواج .

ويعتبر من غير التهذيب بشكل كبير ، أن يتحادث الخطيبان ، وحتى لو كانا يعرفان بعضهما البعض خلال عام يسبق الزواج . والطلاق لدى اليهود متاح بشكل واسع ، إلا أنه ، وهذه من الإيجابيات التي يتمتعون بها ، لا يلجأ إليه إلا نادراً .

وتعليقاً مني على شباب وجمال زوجة رجل كهل كنتُ قد زرتهُ ، قيلَ لي بأنه أرسل زوجته السابقة إلى يافا بادّعاء أن صحتها بحاجة إلى نوع من التغيير ، وخلال غيابها ، حصل على الطلاق وتزوج هذه السيدة الشابة .

ورغم أن تعدد الزوجات عند اليهود ليس محرماً ، فقد قيل إن هنالك سبع حالات للزواج المُتعدد في الأرض المقدسة ، وإن كانت العادات المعاصرة تعوق ذلك .

ومن البديهي القول ، إنه عندما يكون الشعور الديني معمّقاً إلى هذا الحد ، فلا بد أن يتسلل عدد من المعتقدات الخرافية إلى صُلب الدين . فكثير من الأطفال يحملون تعويذات **(حجابات)** لمقاطع من الكتاب المقدس مكتوبة على ورق الرّق ومحفوظة في حقائب . كما يشاهد فوق الأبواب قطعاً منحوتة للكفّ الممدودة وذلك للحماية من العين الشريرة .

## المسألة الثقافية

نحن نعيش في عصر يُعتبر التعليم فيه ، بحَقْ ، السبيل الصحيح للتنوير والتقدم . ونحن اليهود ، على وجه الخصوص ، نعتبر أنفسنا متقدمين على بقية شعوب أوروبا في الثقافة بشكل عام . فهل يصدّق أن يُسمَح لقطاع من حاخامات القدس في إعاقة وكبح جميع جهود تحسين الأوضاع التعليمية لأتباعهم ؛ وأن هناك متنفذين في أوروبا المُتمدنة يشجعونهم ويدعمونهم ويحرّضونهم على ذلك ؟ .

يسيطر هؤلاء الحاخامات على أداة وقائية في غاية القوة ، وما هو أسوأ أنها غير ملموسة . إنها ذخيرة من العصور الوسطى ، وصورة باهتة للكاثوليكية الرومانية : " *الحرمان الكنَسي* " . فأي شيء أوأي شخص يعترضون عليه يوضع في شكل من أشكال العزل الديني الذي يشمل عدم أهليته الدينية والاجتماعية . وفي حال تطبيقه بقوة ، لا يُسمح للشخص المُذنب بدخول الكنيس ، كما

يُحظر على اليهود الآخرين أن يأكلوا أو يشربوا أو يتجاوروا معه . وبالطبع ، ستقطع عنه الصدقة المقدسة من مصدرها .

وفي مسألة التعليم العلماني ، هناك قطاع قوي من الحاخامات لا يحيدون فيه عن رأيهم المتشدد . فهم لا يسمحون لأتباعهم ورعاياهم بتعلّم لغة الشعب الذي يعيشون بينه . وعندما أنشئت مكتبة لأعمال وكتب علمانية ، تكريماً للمُحسن الكبير موزيس مونتيفيوري ، شنّ الحاخامات حملة حرمان كنسية مما أجبرالمكتبة على تشتيت وتوزيع تلك الكتب . كما هُوجم اليهودي جوزيف بلانك ، مدرس اللغة العربية ، في الشارع وضُربَ بعنف من بعض اليهود الهنغار، وهم الأشد تعصباً من بين مختلف الفرقاء ؛ وبحكمة ، لم يأبه بلانك بذلك وتابع عمله التدريسي بهدوء ومن دون لفت الأنظار إليه .

---

**- <u>جورج ت. لوث</u> : رحّالة وشاعر بريطاني من القرن التاسع عشر . حوّل مشاهداته إلى مؤلفات منها كتاب " *المتجّول في غرب فرنسا* "،1863 و " حول الكرملين "،1868 . المقتطفات التالية من كتابه " *المتجّول في البلاد العربية* " الصادر على جزئين عام 1855 .**

***The Wanderer in Arabia : or Western Footsteps in Eastern Tracks* by Lowth,G.T. ,London: Hurst & Blackett ,1855**

نتيجة للزيادة السنوية لأعداد المقيمين الأوروبيين والرحّالة الأوروبيين والأمريكيين في القدس ، برزت الحاجة إلى وجود حرفيين لسدّ حاجات هؤلاء الوافدين الغربيين الجدد الذين يحتاجون بشكل أو بآخر إلى مهن جديدة ومهنيين عصريين . وبما أنه من المتعذر ألا يفي بمثل هذه الاحتياجات سوى الأوروبيون ، فقد استوطن عدد من يهود البلدان الأوروبية المختلفة في المدينة المقدسة لهذا الغرض . ولكن هذه المهن الجديدة تجلب معها في كثير من الأحيان أفكاراً غربية أقلّ صرامة إلى الجماعات الخاضعة للفكر ' الحاخامي' ؛ كما وأنها تشكل تواصلاً متكرراً بينهم وبين المقيمين الأوروبيين . وبالتالي ، فإن من مهام الحاخامات درء أخطار هذا العلاقات والأفكار التي تؤثر على أي من المبادئ الدينية لرعاياهم الخانعين .

إضافة لذلك ، فإن المؤسسات المتنوعة التي أقامها الأوروبيون لمصلحة وعون اليهود - مثل المستشفى ومعهد التأهيل لليهوديات ومدرسة الصنائع والمزرعة النموذجية والمدارس الأنجليكانية للأطفال وغيرها - هي مصادر إنذار بالخطر وغضب الحاخامات ، لمعرفتهم بأن أتباعهم سيذهبون إليها على الرغم من التحامل ضدهم ليجدوا فيها منافعهم الدنيوية مثل المال لقاء أعمالهم والخبز لأطفالهم والصحة لهم جميعاً . ولكبح التأثير المتعاظم لمثل ذلك التواصل ، شنّ قادة اليهود حرباً عنيفة ومتّصلة ضد إقامة أي علاقات مع الأوروبيين **(المسيحيين)** وفي الواقع ضد جماعاتهم ذاتها . لقد حاولوا منع رعاياهم من الذهاب إلى المشافي والمدارس والمزارع ومن القيام بأي عمل للأسر المسيحية . وحرّموا دينياً على الخياطين وصانعي الأحذية وغيرهم القيام بأشغال لصالحهم . وفي بعض الأحيان ، نجحوا بالقوة في استخدام النساء والأطفال كأدوات أو التهديد بالحرمان الكنسي .

لقد جرت حادثة من هذا النوع بُعيدَ وصولنا **(إلى القدس)** . كان هناك خياط يهودي يجني ما بين أربعة إلى خمسة آلاف قرش سنوياً **( أي في حدود 40 إلى 50 جنيهاً استرلينياً)** . ويتأتى معظم دخله هذا من زبائنه المسيحيين الأوروبيين . ومع أن الرجل كان متزوجاً وله أولاد ، فقد أمكنه دخله هذا العيش برفاه . ذات مرة حضر حاخام الكنيس وأعلمه بأن عليه التوقف عن الخياطة للمسيحيين . اعترض الرجل باعتبار أن مجمل رزقه يعتمد على ما يقوم به لصالحهم ، وأن لا أحد آخر سيقوم بتشغيله . وأنه إذا ما تخلى عن زبائنه فسيفلس هو وعائلته بشكل كامل . ومع ذلك ، أصرّ الحاخام على موقفه وهدّد بمنعه من دخول كنيسه وحرمانه كنسياً إذا ما رفض ذلك . وعلى نحو مماثل ، أمر الحاخام زوجة الخياط بترك العمل الذي تقوم به أحياناً لدى بعض السيدات الأوروبيات . وقد لجأ الخياط وزوجته إلى بعض أصحاب النفوذ الأوروبيين للتوسط لدى الحاخام ، ولكن ذلك لم ينفع أيضاً . وفي المحصلة ، نجح الحاخام في مبتغاه وترك اليهودي وزوجته العمل بعد صراع عقيم لثنيه عن عناده . ولكن ما الذي قدمه أستاذ الدين هذا مقابل تركهم عملهم الناجح ؟ لقد وعدهم بمبلغ خمسمئة قرش في العام من المال الذي يجمع في أوروبا لدعم اليهود الفقراء في القدس ويوزع من قبل الحاخامات . خمسة جنيهات استرلينية في العام !!

عندما رويت لي هذه القصة ، كان الخياط وعائلته قد هجروا منزلهم السابق لأنه أصبح مُكلفاً لهم ويعيشون الآن في مكان بائس – مفلسين !!

---

**- <u>أندرو ألكسندر بونار</u> ( 1810 – 1892): راهب إنجيلي يتبع الكنيسة الاسكتلندية الحرة ، زار فلسطين في عام 1839 بصحبة زميله روبرت ماك شاين للاطلاع على أحوال اليهود في الأرض المقدسة وذلك بناء على رغبة الجمعية العامة للكنيسة الاسكتلندية لهداية اليهود . وضع جميع ملاحظاته في كتاب " *قصة زيارة إلى الأرض المقدسة و إرسالية استقصاء إلى اليهود* " الصادر في عام 1842 .**

***Narrative of a Visit to the Holy Land , and Mission of Inquiry to the Jews by* Rev.Bonar,A.A. & Rev. M'Cheyne, R. M. , Edinburgh: Oliphant, 1842**

تعود أسباب مجيء اليهود إلى فلسطين إلى ما يلي :

1- الاعتقاد العام لديهم بأن كل يهودي يموت خارج فلسطين يجب أن يصنع ممراً تحت الأرض ليعود إليها ، وأنه يمكن أن يصعد منه إلى وادي يهوشافاط Yahoshaphat * .

2- ويعتقدون أن الموت في هذه الأرض فيه نجاة مؤكدة ، ومع ذلك فإنهم لن يُستثنوا من الضرب داخل القبر وقضاء أحد عشر شهراً في المَطْهَر .

3- يسود الاعتقاد لديهم بأن من يسكن في فلسطين سيكون لديه اتصال مباشر مع السماء ، ويرون أن الحاخامات مُلهمون بشكل أو بآخر .

4- يتوقع اليهود ظهور المسيح . ولطالما تعلّق يهود فلسطين بأمل قدومه ولمّ شتاتهم . وهذا الرأي أصبح الآن أقوى مما مضى ، فهم يشاطرون الانطباع العام بأن هناك أزمة تلوح في الأفق .

وبشكل عام ، فجميع اليهود في فلسطين يُدعَمون بمساعدات سنوية من إخوتهم في البلدان الأخرى . كما أن جميع اليهود الغرباء المقيمين في فلسطين يعيشون على هبات أوروبية ، عدا قلة منهم لديهم ممتلكات في أوروبا . أما طريقة جمع المساعدات الأوروبية فتتم على النحو التالي : يُرسَل المُراسلون (الشلوخيم) من القدس إلى مدن أوروبا المختلفة ، حيث يجري جمع الأموال ونقلها إلى فلسطين . وكانت هذه الطريقة مكلفة جداً ، نظراً لأن ما يقرب من ربع المبالغ المُجمّعة كانت تصرف كنفقات لهؤلاء المراسلين .

*** <u>تعقيب المترجم</u> : وفقاً لكتاب يوئيل 3:2 من العهد القديم سيجمع إله اليهود كل شعوب العالم في ذلك الوادي ويحاكمهم انتصاراً لشعبه المختار : " *أَجمعُ الأُمم كلَّها وأُحضرهُمْ إلَى وادي يهوشافاط ، وأُحاكمهم هناك من أَجل شعبي وميراثي إسرائِيل ، لأَنَّهم شتَّتوهم بينَ الشّعوب واقتسموا أَرضي* ."**

---

**- <u>السير موزيس حاييم مونتيفيوري</u> ( 1784- 1885): بريطاني- يهودي ، مصرفي وسمسار تمويل ، ترأس مجلس المندوبين ليهود بريطانيا لمدة 34 عاماً . ساهم بشكل كبير في مساعدة اليهود في فلسطين مادياً والتبرع السخي لهم بهدف إنشاء المستعمرات الزراعية . يعتبرمونتيفيوري من المتشددين دينياً ، الأمر الذي دفعه لزيارة القدس سبع مرات . فيما يلي مقتطفات مختصرة من رسالة مونتفيوري إلى ممثلي الطوائف العبرية في القدس وبعض الردود ' المُختارة ' التي تلقاها بشأن مقترحاته .**

***Translation of a Letter Addressed by Sir Moses Montefiore Bart to the Jewish Congregations in the Holy Land* , London : Wertheimer, 1874**

***An Open Letter Addressed to Sir Moses Montefiore Bart*, by Rev. Auerbach, M. & Rev. Salant, S. , London : Wertheime,1875**

لندن ، الأربعاء ، 15 آب 5634 **(عبري، الموافق 1874 م) .**

المُوقّر حاخام باشي **(كبير الحاخامات)** وممثلي جميع الطوائف العبرية في المدينة المقدسة .

*" عندما تعرّفتُ للمرة الأولى على أوضاع الفقر المُدقع والأسى السائد بينكم ، كانت رغبتي الدائمة تخفيف معاناتكم ومساعدتكم عن طريق إطلاق مهن صناعية ،مثل الزراعة والأشغال الميكانيكية أو بعض الأعمال التجارية المناسبة ؛ بحيث تسمح لغير المُؤهل علمياً القادر على العمل بجهده العضلي بالدراسة . كما تسمح للطالب ، الذي تدفعه الرغبة إلى كسب قوته من عمل يديه والعيش بشرف ، بأن يعمل نهاراً لإعالة عائلته ويدرسَ ليلاً شرع الله . وبناء عليه ، أرجو اطلاعي بشكل كامل على آرائكم حول هذا الموضوع ، وأن تنصحوني بما يتوجبُ عليّ فعله لكي أُسرّعَ وسائل الانقاذ والخلاص في البلد* **(فلسطين)** *" .*

التوقيع موزيس مونتيفيوري

**(وقد وردت إلى مونتفيوري العديد من الرسائل الجوابية ، من بينها الرسالتان التاليتان من بعض الأفراد في فلسطين )**

**1-** القدس ، 14 إيلول 5634 ع **(عبري، الموافق 1874 م ) .**

إلى السيرْ موزيس مونتفيوري ، إلخ ...

*" أود إعلامكم باستلام نسخة خاصة من تعميمكم الموجّه إلى ممثلي كافة الطوائف في القدس ، المؤرخ في 15 آب 5634ع . وبما أنني أسكن في هذه المدينة منذ حوالي 34 عاماً ، وأعرف ميول وأمزجة القاطنين فيها ، وأيضاً السُبل الضرورية لتحسين أوضاعهم الاجتماعية والمادية المستقبلية ، أتجرأ على كتابة هذه الأسطر للتعبير عن رأيي الصادق والصريح حول مضمون ما جاء فيها . لقد اقترحتم في تعميمكم ثلاثة مجالات لتحسين أوضاع اليهود هنا ' الزراعة والحرف الميكانيكية ومهن التجارة والأعمال ' . وإنني أميل إلى رعايتكم للحرف الميكانيكية ولمهن التجارة بدلاً من الزراعة . ففيما يخصّ الزراعة ، التي تهدفون بشكل رئيسي إلى ترسيخها هنا ، ورغم وجود العديد بيننا ممن*

*يقبلون العمل في هذا المجال ، ورغم تلهّف العديد من قيادات جاليتنا اليهودية إلى دفع هذا المشروع قُدماً باعتباره كما يقولون مقدمة لإنقاذ واستعادة ' يهودا وأورشليم' فإنني ، وبرأيي المتواضع ، لآ أجد أن هذا هو التوجه الناجح نحو جاليتنا اليهودية ، لارتباط ذلك بالعديد من المخاطر سواءً الروحية أو الجسدية ؛ اللهم إلاّ إذا تمّ بالطريقة المعتمدة هنا ، وهي الدخول بشكل من أشكال الشراكة مع غير الإسرائيليين ، أو السماح بإعطاء جزء من المحصول الزراعي مقابل الجهد والعمل المبذول . ولكن إذا ما قرر اليهود السكن في القرى والنزول إلى الحقل والعمل في الأرض بأنفسهم* (وفق مقولة المزامير 126:5) *: ' فمن يزرع بالدّموع يحصد غلاّته بالابْتِهَاج ' ، فعلي هنا أن أعبّر عن رأيي بأنه من المشكوك فيه جداً بقاءهم ثابتين على ديانتهم . كما أنني لست واثقاً من مدى إمكانهم تحمل جهد العمل اليدوي المفروض عليهم وأتساءل عن ماهية حدودها ؟ وتبدو أمامي كثير من العوائق الأخرى ، وهي عديدة إلى حدّ يصعب تدوينها. وفي رأيي ، إن الوقت الحالي غير مناسب لمثل هذا الإجراء وعلينا انتظار قدوم حقبة الإنقاذ والخلاص . "*

**2-** القدس ، نهاية أيلول 5634 ع ( **عبري الموافق** 1874 **م** ) .
إلى محبوب شعب الله ، السير موزيس مونتفيوري

*" يتّضح من رسالتكم المؤرخة في شهر آب ، أنكم تواقون للوصول إلى طرق آمنة تساعد أولئك الراغبين التعاطي في الزراعة والأعمال التجارية . وقد شجعتنا هذه المقترحات على الكتابة إليكم لتقديم اقتراحات ومشاريع محددة ، والتي نأمل أن تحظى باستحسانكم . فمنذ حوالي عشر سنوات ، توقفنا عن المشاركة في الحصول على المساعدات الخيرية ' الحالوقا* Halukah *' ، وهي الأموال التي تُرسَلُ إلينا من دول مختلفة في أوروبا . فقد كانت مساعينا دوماً أن نكسب معيشتنا من عمل أيدينا .*

*سنمتدح أنفسنا بالقول إننا نمتلك مقدرة خاصة في أعمال التجارة ، وندير جميع أعمالنا بعناية وعقلانية ، ونحن واثقون أننا إذ نجحنا في أعمالنا التجارية في أوروبا فلابد وأن ننجح الآن أيضاً. إلا أننا لا نحرز هنا نجاحاً كاملاً ذلك لأننا لا نملك رأس مال مناسب ، ولا يمكننا اقتراض أموال بفوائد تقلّ عن 10 إلى 15 بالمئة . وبما أننا ندرك جيداً ، إمكانية الحصول على المال في بريطانيا العظمى بفوائد تتراوح ما بين 4 إلى 5 بالمئة ، فإننا نتوسل كرمكم لمساعدتنا بإحدى الطرق التالية : إما تزويدنا بمبلغ محدّد بفائدة 4 أو 5 بالمئة ، أو حصولنا على هذا المبلغ كسلفة ، ذلك لأن واحداً فقط من هذين المخططين يُمكّننا من النجاح في مشروعنا . "*

**<u>تعقيب المترجم</u> : لقد حوّل مونتيفيوري الردود العديدة والمقترحات التي تلقاها ، جواباً على رسالته الآنفة الذكر إلى ' لجنة فلسطين التابعة إلى مجلس المندوبين ليهود بريطانيا ' التي يرأسها . ويبدو أن المجلس كان له تحفظات على مُجمل الإجابات وعلى أوضاع اليهود في فلسطين وخاصة الأشكينازيين منهم ( ومعظمهم من مهاجري أوروبا الشرقية) . فقد عبّر بعض الأعضاء عن رأيه بأن يهود الأرض المقدسة لم يكونوا صادقين في ردودهم أو راغبين في العمل كما اعتقد السير مونتفيوري . وبيّنوا اعتراضاتهم على النظام المتّبع هناك في تقديم الهبات الخيرية من أوروبا لضمان بقاء اليهود في فلسطين فقط لدراسة وممارسة الشعائر التلمودية . وقد نجم عن التحفظات هذه صراع ومساجلات قوية بين مجلس المندوبين في بريطانيا وبعض حاخامات فلسطين . وفيما يلي أهمّ ملاحظات مجلس المندوبين واللجنة التابعة له :**

*" - إن العديد من اليهود في فلسطين هم ببساطة شحاذون يفضلون حياة الكسل ، وجاؤوا لاقتسام وابل الهبات* (**الحالوقا**) *التي سمعوا بأن إخوتهم في الدين* ( **في البلدان الغربية**) *سيمطرونها على القدس.*

*- لقد اكتسب اليهود سمعة أنهم مُقتّرون مقارنة ببقية المواطنين* ( **في فلسطين**) *باستثناء أيام الأعياد . وأنهم الوحيدون الذين يدّخرون الأموال . ونظراً لسمعتهم هذه ، فمن المؤسف القول بأنهم أصبحوا المُقرضين الثابتين تقريباً للعرب .*

*- لوحظ مدى قوة استخدام النفوذ* ( **المقصود نفوذ الحاخامات في فلسطين ، فهم من يقوم بتوزيع الصدقات الخيرية على أتباعهم**) *. فقد أنشأ بعض السكان مكتبة تكريماً للسيرْ موزيس مونتفيوري ، إلا أن المكتبة أُخضعت مباشرة إلى الحرمان الكنَسي . فلم تُصادر الكتب السيئة فقط ، والتي يمكن أن تكون موجودة ، بل أزيلت المكتبة بكاملها ، وحُرمَ مرتادوها كنسياً . وقد زُعم أن السبب وجود كتب تتعارض مع الآراء الدينية لأولئك الذين في السلطة الدينية . وفي الوقت الراهن ، لاتزال المكتبة مغلقة ، والكتب ، التي جمعت بجهد جهيد ، غير متوافرة .*

*- على الرغم من أن التعليم لدى طائفة السيفارديم هزيل جداً ، فهو يتفوق كثيراً على التعليم السائد لدى طائفة الأشكيناز . والنساء لدى الطائفتين ، في جميع الأحوال تقريباً ، جاهلات على نحو قاطع حتى في القراءة والكتابة بأي لغة . ولكن السيفارديم تواقون لتعليم أولادهم ، فهم يعلمونهم العبرية*

*والعربية واللغات الأجنبية . أما أولاد الأشكيناز فيُسمَح لهم فقط بتعلم العبرية بشكل منهجي . وتفرضُ عقوبات كبيرة ضد من يرغب تعليم أولاده حتى لغة البلد* ***(أي العربية)*** *. وهذه العقوبات ليست فقط ذات طبيعة دينية ، ولكنها تشمل إضعاف الأهلية الاجتماعية للأهل ، وحجزاً على الموارد المالية* **(أي المساعدات الخيرية)** **"** .

---

**- <u>الميجر وليم إيفانز-غوردون</u> (1857- 1913) : ضابط وسياسي وعضوفي البرلمان البريطاني . كان من الداعين إلى الحدّ من هجرة يهود روسيا القيصرية وأوروبا الشرقية إلى بريطانيا ، واكتظاظهم في غيتو خاص بهم في شرق لندن ( إيست إند) . وكان غوردون وراء صدور تشريع عام 1905 للحد من تلك الهجرة . في عام 1903 أصدر كتابه " *المهاجر الأجنبي*" يشرح فيه حقيقة أوضاع اليهود في روسيا القيصرية ( وبولندا وأوكرانيا اللتان كانتا تابعتين لها آنذاك ) . وفي المقتطفات التالية يبيّن أساليب الغش والخداع المبتكرة التي يلجأ إليها اليهود الروس مع نظرائهم رجال الأعمال والتجار الغربيين ، كما أشار إليها القناصل والملحقون التجاريون البريطانيون في تلك البلدان .**

***The Alien Immigrant*** **by Major Evans-Gordon, W., M.P. , London: W. Heinemann, 1903.**

**<u>الخداع التجاري</u>**

في كانون الثاني / يناير 1898 ، بعث القنصل البريطاني في أوديسا تقريراً إلى وزارة الخارجية يذكر فيه :

*" تعلمنا التجارب أن التجار اليهود الذين يطلبون قروضاً لاستيراد المعدات الزراعية ، لديهم تصميم مسبق على الاحتيال عاجلاً أو آجلاً بالنسبة للشركات التي توافق على منحهم تلك القروض . ونصيحتي الجادة للشركات البريطانية عدم عقد صفقات مع هؤلاء على أسس القروض . "*

**<u>تعقيب المترجم</u> : هذا التحذير بالطبع لا ينطبق على المعدات الزراعية حصراً ، فقد جاء عن القنصل البريطاني العام في مدينة ريغا ( عاصمة لاتفيا حالياً ) قوله :**

*" هناك أمر آخر يمارسه اليهودي مراراً وتكراراً ويعرفه الكثير من التجار والصناعيين البريطانيين مع الأسف . يبدأ اليهودي بممارسة عمل تجاري بشكل ما . وبعد فترة يتمكن من الحصول على بعض البضائع على شكل قرض . وعندما يحين موعد السداد يقوم بدفع ما عليه ويطلب بضاعة ثانية يسدد ثمنها لاحقاً بشكل نظامي ، وفي هذه المرحلة تكون طلبيته أكبر . وبعد أن يمارس هذه اللعبة لمدة عام أو عامين ، يحين الوقت لصفقة كبرى . وقبل أن يحين موعد السداد بوقت طويل ، تنتقل أملاكه إلى زوجته وتجارته إلى شخص آخر . ويستحيل الحصول منه على أي شيء ، مهما حاول مقرضوه الأجانب أو محاموهم استرداد أموالهم . "*

**ويقتبس غوردون ماورد في رسالة مسؤول في القنصلية البريطانية العامة في وارسو والذي كتب له في نوفمبر 1902 :**

*" أنت محق تماماً بالحديث عن إفلاسات الاحتيال السابقة بين يهود بولندا وروسيا ، والتي يمكن تصنيفها في خانة " المهنة الاعتيادية " وملاحظتها في كل مكان ، ليس في العلاقات التجارية في*

*البلد نفسه ، بل بمقاييس أكبر في الأعمال التجارية القائمة بين روسيا وإنجلترا ، والتي تلحق الضرر في بدء التجارة أو في تشجيعها بين البلدين ... "*

---

**- <u>بيآتريس باسكرفيل</u> : كاتبة وروائية بريطانية لها عدد من المؤلفات منها " *ملعب الشيطان* " و" *الحديقة الفاتنة*" وأبرز كتبها " *اليهودي البولندي*" الصادر عام 1906 ، وتشرح فيه انطباعاتها عن يهود بولندا خلال إقامتها في ذلك البلد لمدة ثمانية أعوام . وترجع باسكرفيل أسباب دراستها الشاملة هذه إلى بداية هجرتهم المتعاظمة إلى الغرب وبخاصة إلى الولايات المتحدة وبريطانيا ؛ هجرة تستدعي ضرورة تعرّف مواطنيها عليهم وعلى عاداتهم وعقائدهم وميولهم السياسية والاجتماعية ، والتي تعتبرها حق طبيعي للشعوب التي ستستضيف هؤلاء الغرباء .**

***The Polish Jew by*** **Baskerville, B.C., New York : MacMillan, 1906**

**<u>طريقة التكسّب</u>**

يتمّ كل ما يباع ويشترى في بلدة ناسيلسك **(البولندية)** من خلال اليهود . فأغنياء اليهود يتكسبون من مُلاّك الأراضي ، والفقراء منهم يتكسّبون من الفلاحين الواقعين دوماً تحت مطرقة الدَين . أما اليهود الأكثر فقراً فيتدبرون أمورهم بشكل أو بآخر . فإذا لم يكن اليهودي يملك مالاً ، فبإمكانه الذهاب إلى إحدى مراكز الإقراض اليهودية الخيرية واقتراض روبل واحد أو اقل **( اليهود لا يُقرضون بعضهم البعض بفائدة كما أمرت التوراة)** على أساس إعادة المبلغ المُفترض للمركز بعد أسبوع مثلاً .

يتوجّه الرجل إلى قرية قريبة يعتقد أن بإمكانه استغلال فلاحيها ، ويبدأ بالاختلاط بهم والتحدث إليهم والتعرّف على ما لديهم من مواشي أو منتجات زراعية . ويبحث بينهم عن راغب بالاقتراض لعدة أيام . يقتطع اليهودي مباشرة فائدة القرض من المبلغ أو يأخذها من الفلاح على شكل بيض أو زبدة أو غيرها ليبيعها في مكان آخر . ومن خلال الفائدة الربوية وصفقات البيع ، يكون اليهودي قادراً

على سداد دينه ومتابعة الإقراض بفوائد جديدة وهكذا دواليك . وفي الغالب ، ينجح اليهودي بهذه الطريقة لكون الفلاح البولندي فريسةً سهلة له . فإذا ما تعرّض الفلاح لأزمة مالية ، كموت بقرته أو مرضها ، فسيكون المُقرض اليهودي دوماً إلى جانبه ويبقى الفلاح مديناً له وتحت سيطرته على الدوام . بهذه الطريقة يعيش يهود ناسيليك ، فهم لا ينتجون شيئاً ولا يقربون الأعمال اليدوية التي يمقتونها بشدة .

## التهريب

لقد كان اليهود على الدوام المهربين في بولندا ، ومنذ القدم كانوا يحضرون الأشياء عبر الحدود . فليس هناك بضاعة ، بدءاً من ساعة فرنسية ووصولاً إلى صحيفة محظورة ، إلا وقدموها للزبائن بأسعار تنافس البضاعة المحلية . فالمئات من اليهود يتكسبون رزقهم بهذه الطريقة من خلال عبورهم الحدود البولندية-النمساوية-الألمانية . إلا أن ثراء العديد من الشركات اليهودية المحترمة والشهيرة في بولندا قد ارتكزت على أساس التهريب .

ولنتناول هنا قصة كل من السادة آ وب ، وهما مختصّان بالأدوات الموسيقية والبيانوهات التي تُعدّ الأولى من نوعها في البلد . لقد نمت ثروة هذان الشريكان اليهوديان بسرعة أثارت تساؤلات كثيرة حول مدى أرباح هذه البيانوهات المستوردة . وحدث في إحدى المرات أن قام موظفو الجمارك بفتح أحد البيانوهات ، التي استوردها السادة آ و ب من برلين ، ليجدوا في داخله كمية كبيرة من الساعات والحلى وأشرطة التزيين المُهربة . ودلّت تحرياتهم على أن طريقة التهريب هذه كانت تتم منذ سنوات . أمام هذه الورطة ، اتفق الشريكان على أن يتحمّل واحد منهما مسؤولية التهريب وذلك عن طريق إجراء قرعة بينهما . وقد وقعت القرعة على آ ، الذي برأ شريكه أثناء المحاكمة من أي مسؤولية في التهريب ، وبالتالي فقد حكم عليه ؛ أما ب فلا يزال يتابع أعماله المُربحة .

## البرامج السياسية للأحزاب

أعتقد أن علينا أن لا نتوقف طويلاً عند الحديث عن الصهيونيين- الاشتراكيين في بولندا . فبرنامجهم **(السياسي)** يتضمّن تنظيم الإضرابات وأعمال الإرهاب .

فالصهونيون-الاشتراكيون أعضاء ممقوتون في المجتمع لكونهم مُدمنين على صناعة القنابل واستخدامها ضد خصومهم السياسيين عندما تسمح لهم الظروف بذلك .

ففي شهر أيار/مايو من عام 1906 ، وهو شهر انتشرت فيه التفجيرات على وجه الخصوص في كل من بولندا وليتوانيا ، أصيب الصهيونيون-الاشتراكيون في مدينة مينسك بالارتباك عندما لاحظ شرطي ، يتجوّل في الحيّ اليهودي ، بعض الشرارات النارية تنبعث من مبنى قريب . وبعد الاستفسار وتفحّص فناء المبنى ، اكتشف وجود برميل يحتوي على قنبلتين .

وبمساعدة عناصر مُساندة من الجيش والدرك ، تبيّن لهم وجود حشوة ديناميت وقنبلة جاهزة وخمسة مسدسات وصندوق ذخيرة ومواد كيميائية لصناعة القنابل في إحدى شقق المبنى . كما أسفر التفتيش عن وجود متفجرات وقنابل أخرى وعدة رُزم من المنشورات والمطبوعات باللغتين اليديشية والعبرية . وقد اعترف مُستأجر الشقة فولف فانت وخمسة شباب يهود آخرين تواجدوا معه ، بأنهم كانوا بصدد تصنيع القنابل عندما حدث خلل أدى لحدوث حريق صغير في الشقة .

ولعل أبسط طريقة للحصول على السلاح والذخيرة **(التي تحتاجها الأحزاب اليهودية الفوضوية والثورية ، مثل حزب اتحاد العمل اليهودي أو اختصاراً البوند Bund والصهيونيون-الاشتراكيون وغيرهم)** هي ما حدث في أحد مخازن بيع الأسلحة في وارسو ، عندما دخلت عصابة من اليهود المخزن في وضح النهار . وفيما كان واحد منهم يستعرض بعض الأسلحة بقصد التمويه ، كان آخرون يحتجزون موظفي المخزن ويجمعون الأسلحة المعروضة . بعد ذلك انسحبت العصابة وهي تطلق النار واختفت قبل أن يستردّ ضحايا الهجوم وعيهم ويطلقوا نداء الاستغاثة .

**بنيامين(ميلايكوفسكي) نتنياهو (هو ابن بنصهيون ميلايكوفسكي المولود في وارسو 1910)**
**متحدثاً في الأمم المتحدة عن خطر القنابل !**

---

**- <u>ماري أنتين</u> (1881-1949): كاتبة يهودية - أمريكية ، هاجرت من مسقط رأسها بولوتسك في بلاروسيا عام 1894 إلى بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية . المقطع التالي من سيرتها الذاتية " الأرض الموعودة " ، 1912 ، تروي فيه ذكرياتها عن طفولتها في مدينة بولوتسك .**

***The Promised Land* by Antin,M. (Mashke), Boston: Mifflin,1912**

لا تسعفني ذاكرتي إلى الزمن الذي كنت فيه صغيرة جداً لأعرف أن الله هو من خلق الكون ، وأنه عيّن لنا معلّمين ليقولوا للناس كيف يعيشون فيه . ففي البدء جاء موسى ، ومن بعده كبار الأحبار وفي النهاية حاخام أو راب **(مدينة)** بولوتسك ، الذي يقرأ طوال النهار في الكتب المقدسة ، ليتمكن من أن يقول لي ولأهلي وأصدقائي ماذا علينا فعله عندما نشك في أمر ما . فإذا ما قطّعت أمي دجاجة ووجدت فيها شيئاً غير اعتيادي - ثلماً أو علامة يفترض ألا تكون موجودة فيها - فإنها ترسل الدجاجة مع الخادمة إلى الحاخام ، وغالباً ما كنت أذهب معها لأرى كيف يتفحّص الحاخام كتبه الضخمة ، ليقرر بعدها مصير الدجاجة . وكانت كل قراراته صائبة . فإذا ما وصف الدجاجة بأنها ' تريفاه trefah ' مُحرّمة ، فلا يصحّ لي أكلها حتى ولو مُتُّ من الجوع . فالحاخام يعرف كل شاردة وواردة في شؤون السفر والعمل والزواج وطرق طهارة أواني المطبخ استعداداً لعيد الفصح

**تريفاه ؟**

وكان هناك مُعلّم كبير آخر هو ' القاضي dayyan ' ، كانت مهمته الاستماع إلى قضايا وخلافات الناس وحلّها وفق الشريعة اليهودية ، بحيث يتفادون الذهاب إلى محاكم الأغيار **( المقصود هنا محاكم المسيحيين)** . فالأغيار كانوا مزيَّفين ، سواءً كانوا قضاة أو شهوداً أو آخرين . فهم يفضلون الغني على الفقير والمسيحي على اليهودي . أما الديّان فكانت أحكامه حقيقية على الدوام . وإلى جانب الحاخام والقاضي فهناك رجال آخرون كانت مهنُهمْ مقدسة مثل اللحام ' الشخّاط shochet ' الضليع بكيفية ذبح المواشي والطيور، و' مُنشدْ الكنيسْ hazzan ' والعاملون في الكنيس ، و كذلك معلمو اللغة العبرية وطلابهم .

وكان كل صبي يُرسَلُ إلى المدرسة الدينية العبرية ' هيدَرْ heder ' منذ نعومة أظافره ويتابع الدراسة فيها إلى سن الثالثة عشر أو أكبر تبعاً لمدى موهبته وطموحه . وما أن يدخل الصبي المدرسة إلا ويصبح بطل العائلة . إذ يقدم له الطعام على المائدة قبل بقية الأطفال ، ولا يمنع عنه شيء مهما غلى ثمنه . فإذا كانت العائلة فقيرة ، فعلى جميع البنات السير حفاة ، ولكن ' صَبي الهيدَرْ' يجب أن يكون له حذاء . وهو يحصل على صحن من الحساء الساخن ، بينما يكتفي إخوته بالخبز الجاف . وعندما يحضر معلم المدرسة بعد ظهر يوم السبت ليمتحن الصبي أمام أعين العائلة ، يتحلّق الجميع حول المنضدة ؛ ويهزون رؤوسهم إعجاباً إذا ما قرأ المطلوب بشكل جيد . وبالتالي ، لا عجب أن يقول هؤلاء الصبية في صلواتهم الصباحية **:** "*أشكرك يا إلهي لأنك لم تخلقني أنثى ، فالأنثى لا يمكنها أن تكون متعلّمة وحاخامة* " .

**المدرسة الدينية (هيدر)**

## الصليب

بشكل راسخ اعتقدتُ أن إله اليهود كان قوياً وحكيماً . واعتقدت أن إله جيراني المسيحيين كان ضعيفاً وحشياً وأحمقاً . كما أدركت أن إله الأغيار لم يكن أفضل من لعبة تُلبَس بشكل مبهرج لتُحمَل في المواكب . لقد رأيت ذلك بما يكفي وابتعدت عنها باحتقار . في حين أن إلهي ، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ، يفرض علي الأمانة والشفقة . فأي إله أحمق يُعلّم الأغيار الأغبياء بأننا نشرب دم طفل يقتل خلال أعياد الفصح لدينا ! . وهكذا كرهت وشعرت بالخوف وتفاديت المرور بالقرب من الكنيسة الكبيرة البيضاء في ساحة البلدة ، وكرهت أي إشارة أو رمز لذلك الإله الرهيب الذي وُضع في داخلها .

يقوم الأغيار دوماً برسم علامة الصليب عند دخولهم إلى الكنيسة أو الخروج منها أو عند مقابلتهم لقسيس . وفي كل بيت من بيوتهم يضعون ما يسمونها ' أيقونة ' تمثل صورة أو رسماً لإله المسيحيين . ويتلوا الأغيار صلواتهم أمامها وهم على ركبهم ويرسمون الصليب طوال الوقت . وكنت أتفادى النظر إلى الأيقونة عندما كنت أدخل بيوت الأغيار فقد كنت أخشى الصليب . فالصليب هو من صنع الرهبان ، والرهبان هم سبب متاعبنا . يقول الأغيار إننا قتلنا إلههم ، وكان هذا سخفاً لأنه لم يكن لديهم إله على الإطلاق - لا شيء سوى الصور . وعدا ذلك ، فإن ما يتهموننا به حصل منذ زمن بعيد ، وقد مات منذ أجيال كل من له علاقة بذلك .

**" .. يقول الأغيار إننا قتلنا إلههم .. "**

---

**- جاكوب برافمان (1825- 1879) : أستاذ اللغة العبرية في معهد مينسك (عاصمة روسيا البيضاء) . ولدَ يهودياً ثمّ تحوّل إلى مُبشّر للمسيحية . تمكّن برافمان من الحصول على أكثر من ألف وثيقة حول الكاهال Kahal (الإدارة الذاتية ليهود المدينة) ساعدته على تأليف كتاب في مجلدين ، بيّن فيهما مدى طغيان وتسلّط هذه المؤسسة على الحياة اليومية ليهود مينسك خاصة ومثيلاتها القائمة في مدن أوروبا الشرقية . وكالعادة ، تعرّض برافمان لحملات تشهيرية مستمرة لكشفه بعض الأسرار اليهودية المحظورة . وحتى في أيامنا هذه يصنفه كبار المثقفين اليهود ، كما تشير موسوعة وايفو YIVO ليهود شرق أوروبا والموسوعة اليهودية ، بأنه شخص معاد للسامية وسيء السمعة وكتابه عبارة عن مجموعة من الوثائق ' المزورة ' أسيء عرضها وتفسيرها من قبله . النماذج التالية مترجمة من " كتاب عن الكاهال" المجلدين 1،2 . يبيّن فيهما ' الأوامر ' التي يصدرها الكاهال إلى يهود مينسك .**

1.Band

**Brafmann,J.,** ***Das Buch vom Kahal : Materialien zur Erforschung der jüdischen Sitten*** **, Verd. Von Passarge,S.,Leibzig : Hammer Verl. ,1928**

2. Band

***Das Buch vom Kahal: Das Buch von der Verwaltung der jüdischen Gemeinde,* Verd. Von Passarge, S., Leibzig : Hammer Verl. ,1928.**

**مجلس الكاهال في مدينة وارسو**

**المحظورات**

**الرقم 1/64 . أحكام الدعوة إلى احتفال (مختصرة عن الأصل) .**

**الاثنين، عشية الأول من شهر سيوان 5559 (ع) الموافق 23 أيار/مايو 1799(م) ، أُعلنَ في جميع دور العبادة ما يلي :**

اسمع أيها الشعب المقدّس ! يُعلمكَ رؤساء الكاهال Cahal (**مجلس الإدارة المحلية الخاص باليهود)** في مدينتنا ورؤساء مجلس بيت دين Bet Din **(المحكمة التلمودية)** ، إنه اعتباراً من اليوم يُمنع تقديم الكعك المُحلى **(الكاتو)** والكحول **(الشنابس)** في احتفالات الزواج والختان **(الطُهور)** ، بل يجب تقديم اللحوم بشكل مطلق ، ويستثنى من ذلك الفقراء الذين يتوجب عليهم الحصول على موافقة الكاهال على ذلك . أما ميسوري الحال فيُحظر عليهم تقديم الكعك المُحلى والكحول ، تحت طائلة اللعنة التوراتية ، بل تقديم وجبات اللحوم آخذين بعين الاعتبار التقيد تماماً بالتالي :

- تحت طائلة اللعنة التوراتية ، يُحْظر على الرجال والنساء أثناء مباركتهم ولادة الابن تناول العصير أو الكحول أو الكعك المُحلى .

- وتحت باب الحرمان الكنسي ذاته Cherem ، يُحْظر على النساء عند مباركتهن ولادة البنت تذوق الحلويات ليس في أيام السبت فحسب ولكن في أيام العمل أيضاً ، باستثناء الأقارب من الدرجة الأولى .

- يحظر في يوم الختان تقديم الطعام ، باستثناء ذلك الذي يقدّم إلى العرّابة والداية والأم وخالة الأم .

- يسمح في احتفالات الختان دعوة الأقارب حتى الدرجة الثالثة ، وكذلك أبناء العم ،الخطيبات ، القائمين الثلاثة على عملية الختان ، رئيس الكاهال ، ثلاثة مشغّلين ، جاران من كل جانب مجاور وثلاثة جيران مواجهين **(لمنزل صاحب الدعوة)** ، الأصدقاء والجيران من أصحاب الأعمال والمحلات التجارية ، معلم الأطفال ... إلخ

- تحت طائلة اللعنة التوراتية ، يُحظر على المُقيمين الاحتفال بالأعراس خارج المدينة ، سواءً أكان الاحتفال لزواج عذراء أو أرملة أو مُطلقة ، من دون الحصول على موافقة خاصة **( من الكاهال)** . ولا يسمح لهؤلاء المغادرة قبل دفع الرسوم **(الضريبة)** المقرّرة على الاحتفال والمُماثلة للاحتفال داخل المدينة .

- لا يسمح في الأعراس تواجد أكثر من ثلاثة موسيقيين ، إضافة إلى المُهرّج **(مُقدّم الفقرات الترفيهية)** ومساعديه .

- في احتفالات الزواج ، يُحظر على الموسيقيين تناول الطعام أكثر من ثلاث مرات .

- يمنع تقديم كعكات العرس المُزيّنة أو المحشوة بالمربيات .

## العقوبات والحرمان الكنسي

### الرقم 1/179 حول تمرّد الراباي Rabbi (لقب بمعنى التلمودي أو المتعلّم دينياً) غيرشوم

في يوم الثلاثاء 13 لأول آدار 5565 **(ع)** الموافق 3 شباط/فبراير 1805 **(م)** ، فُرِضَ الحرمان الكنسي على الراباي غيرشوم ، ابن الراباي أ. ف. ، نظراً لأنه لم يسو حسابات بيت دين **(المحكمة التلمودية)** مع الراباي خاييم ابن زيفي هيرش . وقد ثبت غيرشوم على عناده وتمرّده .

### الرقم 1/256 حول الحكم على زوجة حاخام لسوء تصرفها

الإثنين 5 تموز 5562**(ع)** ، الموافق 23 حزيران/يونيو 1802**(م)**

قرّر مجلس إدارة الكاهال في مسألة زوجة الحاخام من قرية دفورزا تجريدها من نصف حقوقها من مهر عقد زواجها **(كتابها** Ketuba**)** إضافة إلى عقوبة مالية مقدارها 500 زلوتي (بولندي أو ما يعادل 125 روبل فضّي) ومصادرة أموالها وألبستها وحوائجها التي تمتلكها إلى الآن . كما ستفقد النصف الآخر من مَهرها نظراً لإثمها البشع والكبير ، وذلك إذا ما تمّ تأكيد ذلك فعلاً من بيت دين **(المحكمة التلمودية)** .

### الرقم 1/135 حول منع جوزيف العيش مع زوجته

يتوجب على أحد خدام الكاهال **(أي ساعي أو شمّاس الكاهال** Schammsschim**)** إبلاغ زوجة ر. جوزيف بأن قيامها بطقوس الاغتسال ( والتي من دونها لا يمكنها العيش مع زوجها ) محظور إلى الوقت الذي يخضعُ فيه زوجها جوزيف إلى أحكام بيت دين. وإذا ما امتنعت عن تنفيذ هذا

الحَظر ، فإن طقوس النظافة التي تقوم بها ستنزع عنها بقوة القانون ، وستبقى غير طاهرة وبالتالي مُحّرمة على زوجها .

**الرقم 2/964**

السبت 9 أيار/مايو ، 1808

اعتباراً من اليوم ، يُحظر على الحاخام م. أن يُبقي على بيت خاص للعبادة (تحت حقّ الاعتراض الحر من أحد أعضاء المجلس Liberum Veto) . وفي حال تحدّي الحاخام هذا القرار ، تُحرم عليه زوجته والعيش معه . أما جميع بيوت العبادة الخاصة الأخرى فسيتم إغلاقها من الشرطة ، بحيث لا يبقى في المستقبل أي بيت عبادة خاص من دون موافقة محدّدة من الكاهال .

**الرقم 2/823 حول حظر التواجد للصلاة في فناء الكنيس مع طلوع الشمس**

السبت 2 إيار 5566 (ع) الموافق 7 أيار/مايو 1806 .

يُحظر التجمع لصلاة الصبح في فناء الكَنيسْ . وعلى الراغبين في ذلك اختيار موضع آخر . ويمكن تلاوة هذه الصلاة في أي مكان . وفي المقابل ، لا يسمح البدء بقراءة كُتب موسى الخمسة قبل طلوع الشمس . ويجب على جميع المصلين قبل طلوع الشمس الالتزام بهذا القرار ، وإلا فسيتم عقابهم ووصمهم بالخزي والعار .

**الرقم 2/708 حول دعم بيت دين**

لحماية القوانين ولمطاردة من يقف في طريق تنفيذها ويتمرّد على بيت دين والكاهال ، تقرّر اختيار مُراقب (تحرّي) سرّي عن طريق الاقتراع . وللمراقب السري الحقّ في مطاردة المُذنب حتى يجبرَ على الامتثال . يتم تسمية المراقب السري أسبوعياً

**<u>الرقم 1/149</u> الوسائل التي يتوجب على المُراقب السري (التَحرّي) استخدامها لإخضاع المُتَمرّد على بيت دين**

- إلغاء الحقوق التي يتمتع بها المُتمرد لدى الكاهال والأخويات **(الجمعيات المهنية والدينية)**

- إبعاد المتمرّد كلياً عن سكان المنطقة والجمعيات المهنية والاجتماعات العامة لها

- عدم السماح له المشاركة في مناسبات التوراة والشعائر المقدسة في الكُنُسْ وبيوت الدراسة الدينية **(بيت هاميدراش)** أو الدخول إلى منصّة القراءة فيها لأداء الصلوات الجماعية . ويمنع تقديم الاحترام له ولا إقامة الصلاة له ، ولا حتى لربع ساعة .

- منع دعوة المتمرّد إلى الاحتفالات الخاصة والعامة . ومن يدعوه يُفرض عليه الحرمان الكنسي

- منع تأجير المتمرد دكاناً أو الاستئجار منه. ولا يسمح لزوجته المشاركة بشعائر الاغتسال **(الطهارة الدينية)**

- إذا كان المتمرّد نجاراً فيحظر ، تحت طائلة أقسى الحرمان الكنسي ، الطلب منه إنجاز أي عمل.

- يُسمح الإعلان في الكنيس بأن المتمرد قد أكل طعاماً محرّماً trefa أو أنه قد نقض صيامه ، إلخ ، ولو تمّ ذلك عن طريق شهود زور، وذلك لإصدار الحكم عليه .

**<u>الرقم</u> 2/656 حول منع حلاق/ صيدلاني الزواج من إمرأة سيئة السمعة**

لقد خطب الراباي الحلاق/الصيدلاني م. سيدة لا تتمتع بسمعة جيدة . وقد قرّر**(الكاهال)** ،أن عليه التراجع عن هذه الخطوبة . وإذا ما أصرّ ، مع ذلك ، المضي في الزواج ، فقد أُوعز إلى الشماسين الإعلان في جميع بيوت العبادة أن زوجته فاسقة وأن زوجها وحاميها ليس أفضل منها .

**<u>الرشاوى والتحايل على القوانين العامة</u>**

**الرقم** 1/117 **حول قرض الكاهال لتقديم الهدايا إلى (مسؤولي) الحكومة بمناسبة عيد الفصح**
الأحد في آخر يوم من عيد الباساه 5561 **(ع)** الموافق 27 آذار/مارس 1801 **(م) .**

فيما يخصّ الرشاوى المقدمة على شكل هدايا ، قرّر رؤساء الكاهال **:** يتوجب على جميع المديرين أن يدفع كل واحد منهم 10 روبلات فضية . وستُشكلُ جميع واردات الكاهال **(المالية)** الحالية والمستقبلية المتوقعة ضمانة لخدمة هذا الدَين . سيتم توزيع هذه الواردات بين المديرين المعنيين إلى حين الوفاء بالدَين .

**الرقم** 1/119 **حول تحديد قيمة الهدايا لمدير المنطقة**

السبت 20 نيسان (ع) الموافق 30 آذار/ مارس ، 1801 (م)

قرر مندوبي الكاهال انتخاب ثلاثة رؤساء منهم وإيفادهم إلى مدير المنطقة لإقناعه شمول اليهود برعايته وعطفه ، ووعده بمبلغ **(مالي)** وتسليمه ذلك المبلغ لاستخداماته . أما قيمة المبلغ ، الذي تمّ الاتفاق على أنه ضروري لذلك ، فسيُصرف من واردات الخزينة العامة المتأتية من ذبح المواشي الصغيرة والكبيرة .

**الرقم** 2/373 **حول الهدايا إلى المسؤولين**

يُخوّل مراقبي **(نُظّار)** الكاهال توزيع الهدايا على مسؤولي المدينة . ولهذا الغرض حددّ مبلغ 50 تشيرفونيتس Tscherwonetz**( يوازي آنذاك 150 روبل روسي)** . وإذا لم يتوفر هذا المبلغ في خزينة الكاهال ، فيتوجب عليهم تأمينه على حسابهم ، علماً بأن الكاهال لن يطلب من " المُتبرعين" أي معلومات أخرى ، باستثناء الدفعات الإسبوعية إلى شرطة المدينة .

**الرقم** 2/784 **حول ضمّ يهودي نمساوي إلى يهود مقاطعة مينسك**

**السبت** 20 تيبيت 5566 **(ع)** الموافق 29 كانون أول/ ديسمبر ، 1805**(م)**

أدخلَ يهودي نمساوي إلى السجن المحلي نظراً لأنه لم يصرح عن تواجده وفق قوانين المقاطعة . وقد تقرر إيجاد السبل لتحريره من السجن من خلال ضمّه إلى قائمة يهود مقاطعة مينسك ، ولو كان ذلك متعارضاً مع القانون باعتبار أن ضمّه في هذه الحالة غير مسموح به .

ويتوجب على القانونيين المحليين مراجعة هذه القضية بتمعّن ، ليتمكنوا من أيجاد منافذ **(ثغرات قانونية)** محددة ، تسمحُ بضمّ أخينا **( في الدين)** للقائمة . وإذا ما تحققت عملية الضمّ ، يتوجب على النمساوي دفع مبلغ 10 تشيرفونيتس مقابل مساعدته في هذه الحالة المعقدة .

**أداء القسم للكاهال**

**الرقم** 93 **نصّ القَسَمْ الذي يؤدّيه لحّامو (جزارو) المواشي أمام الكاهال**

الأحد 27 تموز5565 **(ع)** الموافق 1806 **(م)**

باسم الله والكاهال وبيت دين وأعيان الأراضي الإسرائيلية ، أي الأمراء أو البطاركة ، أقسمُ من دون مكر وخداع ومن دون زيف في الشفاه وفي القلب ، أن أذبحَ وأراقبَ **(صلاحية الذبائح للكوشر الحلال)** تبعاً للقواعد التي وضعها الكاهال وممثلو الجمعية العامة وألا أحيد عنها بأي حال .

كما وأقسمُ ، أنني ، اعتباراً من هذا اليوم وعلى مدى ثلاث سنوات قادمة ، لن أطلب من الكاهال أو الجمعية العامة أي منفعة ، مثل زيادة الأجر ، بل سيتمّ الذبح والمُراقبة خلال هذه الفترة وفق الأجر الذي وافق عليه اليوم رئيس الكاهال .

كما وأقسم بأن أطيع الكاهال دوماً ؛ عندما تفرض عليّ أية واجبات خيرية وأن أنفذها بإخلاص لما فيه منفعة الكاهال ، ومن دون أن أضع أي منفعة شخصية أمام عيني .

**الرقم** 2/855 **حظر استعانة اللحامين بالمحاكم غير اليهودية**

يُحظر على اللحامين الاستعانة بالمحاكم غير اليهودية في أي نزاعات كانت ، وإلا سيفقدون الثقة في مسألة لحوم الكوشر **(الحلال)** ؛ وسَيمنعُ هؤلاء من ذبح أي ماشية .

---

**- <u>يوهان بوكستورف</u> (1564 - 1629) : أستاذ العبرية في جامعة بازل السويسرية . من أهم أعماله كتاب " *مدرسة اليهود* " باللغة الألمانية الصادر عام 1603، والذي ترجم لاحقاً إلى اللاتينية بعنوان "*كنيس اليهود*" (De Synagoga Judaica) ومن ثمّ إلى لغات أخرى . في كتابه هذا يوثّق بوكستورف تقاليد ومعتقدات اليهود وفقاً لما ورد في كتب العهد القديم وفي التلمود وكتب الحاخامات . النص مقتبس من ترجمة معاصرة للحاخام آلان كورَيه ، أستاذ الدراسات العبرية في جامعة ويسكونسين الأمريكية .**

***Synagoga Judaica (Juden-schül) by* Johannes Buxtorf , ,Newly Transl. and Annotated by Alan D. Corré : Wisconsin , 2001**

## <u>زوجة آدم الأولى !</u>

عندما خلق الله آدم في الجنة ، قال : " *ليس من المستحسن أن يبقى الرجل وحيداً ، ولهذا فقد خلق له زوجة من التراب ، أطلق عليها اسم ليليث* Lilith ". بعد ذلك بقليل بدأ النزاع والشجار يدبّ بين المخلوقين ، وهنا قالت ليليث لآدم : "*لا أريد أن أكون أدنى منك*" . وقال آدم : "*ولا أريد أن أكون أدنى منك بل أعلى ، والأفضل لك أن تخضعي لي*" . وأجابته ليليث : " *إننا متساويان ، لا أحد أفضل من الآخر لأننا خُلقنا سوية من التراب* " . وهكذا بقي الإثنان حَرِوْنين وعنيدين تجاه بعضهنا البعض . وعندما وجدت ليليث أن الانسجام لن يحلّ بينهما ، ذكرت اسم **(الإله)** المقدّس ثم طارت بعيدة في الفضاء . هنا خاطب آدم ربّه : " *ياسيّد الكون ، لقد طارت المرأة التي وهبتني إياها بعيداً* " .

آنئذ ، أرسل الله ثلاثة ملائكة لمطاردة ليليث ، سينوي وسانفينوي وسانمانغيلوف ، وقال لهم : " *إذا ما رغبتْ بالعودة فهذا حسن ، وإن لم ترغب فسيموت كل يوم مئة من أبنائها* " . وانطلق الملائكة خلف ليليث والتقوا بها فوق المياه الجبارة - وهو المكان ذاته الذي سيغرق فيه المصريون لاحقاً **(أي في البحر الأحمر)** - ثمّ أطلعوها على أوامر الربّ . وعندما تبيّن لهم عدم رغبتها في الامتثال والعودة معهم ، قال لها الملائكة : " *إذا لم تعودي فسنغرقك في هذا الماء* " . ورجت ليليث الملائكة في البقاء ، ووعدتهم بأنها ستقتل فقط أطفالاً ذكوراً بعمر ثمانية أيام أو إناثاً بعمر عشرين يوماً .

وعندما سمع الملائكة هذا ، قرّروا إعادتها إلى آدم بالقوة . عندها أقسمت لهم ليليث أنها إن وجدت لدى طفل تعويذة **(حجاباً)** سُطّرَعليها أسماء الملائكة ، فستفقد قدرتها على أذية ذلك الطفل . وستتحمّل جرّاء ذلك عقوبة اللعنة بمقتل مئة من أبنائها كلّ يوم . ومنذ ذلك الوقت ، يموتُ كل يوم مئة من صغار الأبالسة Schedim . ولهذا السبب أيضاً يُكتب أسماء أولئك الملائكة على تعويذات تُعلّق على أجساد الأطفال لتذكّر ليليث بقسمها ، وتمتنع عن أذيّتهم .

## عقوبة الزاني

على الزاني أن يؤدي كفآرة معينة وفق طبيعة العمل الذي قام به . ففي الشتاء ، يفرض عليه الجلوس في ماء جدول بارد أو في أي ماء جار آخر لعدة أيام خلال فترة محددة . وإذا كان سطح الماء مجمداً فيُصنع له ثقب ، وعليه الغطس في الماء عارياً حتى ذقنه لفترة تكفي لسلق بيضة .

أما في الصيف ، فعليه الجلوس على جُحر النمل عارياً تماماً ، ثمّ عليه الاغتسال بالماء البارد . وإذا كان الطقس معتدلاً فعليه الصيام يومياً ، لا يأكل فيه سوى القليل من الخبز ويشرب الماء في وقت متأخر من اليوم ، إلى أن يحين موعد جلوسه إما في الماء البارد أو على جحر النمل . *وإذا ما تبيّن أن العقوبة غير كافية ، فعلى المذنب أن يجري عارياً بين سرب من النحل أو الدبابير حتى يتورّم جسده بشكل كامل . وما أن يتعافى ، يترتب عليه إعادة الكرّة عدة مرات تبعاً لإثمه* . وفي شروحات **(الفقهاء التلموديين في)** كتاب المدراش *Medrasch ، يُذكر أن آدم قد غطس في الماء حتى أنفه لمدة مئة وثلاثين عاماً ، وإلى أن أصبح أباً لشيث Seth* ***( الولد الثالث لآدم)*** *عقاباً له على أكله الثمرة المُحرّمة* .

## شَعْر المرأة المتزوجة

من المظهر الخارجي ، يمكن التمييز بسهولة بين النساء اليهوديات المتزوجات وبين العازبات منهن .. فعلى المتزوجات إخفاء شعرهن ، وحتى عن أزواجهن ، ولهذا فهنّ يضعن على رؤوسهن قبعة أو وشاحاً أو شعراً اصطناعياً **( برّوكه)** . ويقال أن سبب هذه العادة ، والتي يعتبر عدم الالتزام بها مدعاة للانتقاد وللتوبيخ ، بأن الزانيات أوالنسوة المُتهمات بالفسوق عليهن كشف رؤوسهن أمام الكاهن عند الاعتراف ، وذلك وفق سفر العدد 5 من العهد القديم ( *16 فَيجعل الكَاهِن الزَّوجةَ تمْثل أَمام الرَب .. 18 ويكشف رأس الزوجة...*) . وإلى جانب هذا ، يَردُ في كتاب سلالات النساء التافهات لدى اليهود خرافة بأنه عندما تكون النساء سافرات ، فإن أرواحاً شريرة تسْكن شعرهّن .

**الشريعة المكتوبة والشريعة الشفهية**

يقول الحاخام الفقيه موشيه ميكوتسي ( من القرن الثالث عشر) :

إن الشريعة المكتوبة ، التي أعطاها الله إلى موسى في طور سيناء ( أي التوراة) ، غامضة ومعقدة . فهي أولاً متناقضة مع بعضها البعض . وهي غير مُكتملة ثانياً ولا تتضمن كل شيء تُحتَم الضرورة معرفته . وعلى هذا الأساس ، فهناك حاجة لتفسير قويم (وهو التلمود أو الشريعة الشفهية التي وضعها الحاخامات) ، يمكن من خلاله التحقق من المعنى الصحيح للشريعة المكتوبة و بناء أساس موثوق .

يمكننا ضرب أمثلة عديدة حول البيانات المتناقضة (في التوراة) ؛ فنحن نقرأ ، مثلاً ، في سِفر الخروج 15:12 : " *سبعة أَيَّامٍ تحْتفِلونَ ، تُخْلونَ بيوتكم منَ الخمير في اليوم الأَوّل* .." وفي موضع آخر في سِفر التثنية 8:16 نجد : "*ستَّةَ أَيّام تأْكلونَ فطيراً ..* " . وفي مثال آخر في سِفر التثنية 9:16 نقرأ : "*احْسِبُوا سبعة أَسابيع منذ ابتداء حصاد الزَرع* .." . وسبعة أسابيع تعادل فقط تسعة وأربعون يوماً ، ولكننا نجدها في سِفر اللاوي 16:23 : "*فَتَحْسُبُونَ خَمْسِينَ يَوْماً .... "* . مثال آخر (على التناقض) نلمَسه في سِفر الخروج 11:19 عندما خاطب الربّ موسى : " *... لأَنَّه في اليوم الثّالث أَنْزِلُ أَمام جميعِ الشعْب عَلَى جبلِ سيناء* " ، إلا أنه في موضع آخر من السفر ذاته 22:20 ، نجد الربّ يقول لموسى : " .... *تَقُولُ لبني إسرائيل : أنتم رأَيتم بأنفسكم كَيْف كَلَّمْتُكم منَ السّماء* " .

ويتابع الحاخام موشيه ميكوتسي تساؤله : من بإمكانه أن يُخبرنا بالتفسير الصحيح لكل هذا ؟ مما لا شك فيه ، أننا بحاجة إلى تفسير آخر للشريعة المكتوبة ، يمكننا من خلاله فهم هذه الأشياء .

---

**- جون ألين (1771 -1839) كاتب بريطاني متخصص بالشؤون الدينية . من أشهر مؤلفاته " *الديانة اليهودية المعاصرة* " المنشورة في لندن عام 1816 ، يبين فيها عادات وتقاليد والمراسم الدينية لليهود في حقبة ما بعد ظهور السيد المسيح . في المقطع التالي ، يعرض الكاتب ، تفاسير الحاخامات للأحكام التي يتعرض لها الميّت ، الذي لم يطع في حياته الوصايا الواردة في التوراة .**

***Modern Judaism: Or, A Brief Account of the Opinions, Traditions, Rites, and Ceremonies of the Jews in Modern Times*, by Allen, J. , London, Hamilton,1816**

سأنقل للقارئ بعضاً من الروايات الغريبة المتعلقة بالعقوبات في العالم غير المرئي . فقد وصف الحاخامات الإجراءات التي تتم مباشرة بعد الموت على النحو التالي :

يُحاسَبُ المرء في الساعة ذاتها التي يموت فيها ؛ وعندما تغادر الروح الجسد ، تكون الجلالة الإلهية بقربه . وإذا ما وجَدتْ أن الشريعة والعمل الصالح كانت معه ، يكون سعيداً لالتزامه بالجلالة الإلهية ، وتكون روحه مؤهَلة للصعود إلى الموقع المُقَدس . ولكن الويل لمن لم يلتزم أو تنحَتْ عنه الجلالة الإلهية . فعندما يُحملُ هذا الإنسان إلى قبره ، تُعرضُ عليه جميع أعماله في هذا العالم ؛ ويُعلن ثلاثة مُنذرين ( واحد أمامه ، وآخر عن يمينه وثالث عن يساره ) التالي : " كان هذا ' الشخص' كارهاً لِخالقِه ، الحاكم في الأعلى والأسفل وفي أرجاء العالم الأربعة . وكان متمرداً على الشرع والوصايا . أنظروا إلى أعماله وراقبوا كلماته . ألم يكن من الأفضل له ، لو لم يُخلق أصلاً ؟ " وقبيل وصوله إلى قبره ، ترتعش جميع أجساد الموتى وتتحرك من مكانها بسببه وتقول :

" ويلٌ له لأنه يُدفن مع شرور أعماله . فجميع أفعاله الشريرة ، التي كانت إلى جانبه يوم رحيله ، تسبقهُ إلى القبر وتطأ جسده " . وينهضُ أيضاً المَلاك دُوما ( Duma ملاك الموت ) ومن هم تحت أمرته ، المُكلفين بضربِ الميَت في قبره ، والمُسمى Chibbut Hakkefer عذاب القبر . يحمِل

هؤلاء في أيديهم ثلاثة قضبان حديدية مُلتهبة ويحاكمون الجسد والروح في وقت واحد . الويلُ له من ذلك الحكم والويلُ له بسبب أفعاله الشريرة .

ما عددُ الأحكام التي ستصَدرُ بحق مثل هذا الإنسان عندما يغادر العالم ؟ يصدرالحكم الأول عندما تغادر الروح الجسد . ويصدر الثاني عندما تمُرَ أفعاله من أمامه ، وتهتفُ ضده . والحكم الثالث عندما يُوضع الجسد في القبر . والرابع عندما يُضرَبُ في القبر (عذاب القبر) . أما الخامس فهو حُكم الديدان . فبُعيد وضع الميَتِ في القبر ثلاثة أيام ، ينشقُ جسدهُ وتخرج أحشاؤه وأمعاؤه وقاذوراته وتُقذف في وجهه ، ويقال له : خُذْ ما أعطيته لمعدتك وما أكلته وشربته يومياً ....

في جهنم ، يصدرُ الحكم السادس . أما الحكم السابع ، فيتمَ عبر تجوَل روحِه في أرجاء العالم ، حيث لا تجد راحة في أي مكان وإلى حين انتهاء عقوبتها .

هذا ما يعنيهِ تهديد الربَ ، الوارد في سفر اللاوي (التوراة) 28:26 : " فإني سأقاومُكم بغضب ، وسأعاقبكُم سبعة أضعاف على خطاياكم . "

---

**- <u>جوزيف شفارتس</u> ( 1804- 1865 ) حاخام وجغرافي ألماني ، أَلَف العديد من الكتب ، من بينها كتاب " جغرافيا وصفية وصورة تاريخية لفلسطين " ، ترجمه إلى الإنجليزية إسحق ليسر وصدر في فيلادلفيا عام 1850 . في الفقرات المقتبسة التالية ، يبين شفارتس تناقضات التوراة ( الشريعة المكتوبة) وضحالة التلمود ( الشريعة الشفهية) في تعيين حدود فلسطين التوراتية ، ويقدم مقترحاً لحل هذه الإشكالية .**

***A Descriptive Geography and Historical Sketch of Palestine*** **by Schwarz, J , Philadelphia : Carey & Hart ,1850**

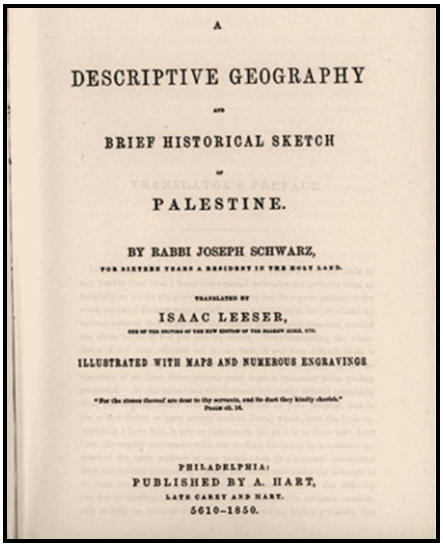

A

DESCRIPTIVE GEOGRAPHY

AND

BRIEF HISTORICAL SKETCH

OF

PALESTINE.

BY RABBI JOSEPH SCHWARZ,

FOR SIXTEEN YEARS A RESIDENT IN THE HOLY LAND.

TRANSLATED BY

ISAAC LEESER,

ILLUSTRATED WITH MAPS AND NUMEROUS ENGRAVINGS.

PHILADELPHIA:
PUBLISHED BY A. HART,
LATE CAREY AND HART.
5610-1850.

**<u>حدود فلسطين التاريخية وفق التوراة</u>**

يصعبُ تعيين الحدود القديمة لفلسطين بدقّة ، نظراً لوجود العديد من التناقضات في الكُتب المُقدَسة في هذا الشأن (أي في أسفار العهد القديم) . فعلى سبيل المثال ، يقول الإصحاح 15 :18 من سِفر التكوين : "*لِنسلكَ سأُعْطي هذه الأرض ، من نهر مصر إلَى النَّهْر العظيمِ ، نهر الفرات* " . ثمَ في سِفر الخروج 31:23 : " ومن الصّحراء إلَى نهر الفرات " ، "*ومنْ نَهر الفُرات شرقاً إلَى البحر الغربيّ* "

وفي المقابل ، في سِفر العدد 34 ، وهو السِفر الذي رَسَمتْ فيه السلطة الربَانية حدود فلسطين الدقيقة ، لا نجدُ أن حدودها كانت تمتدَ من البحر الأحمر إلى الفرات ؛ فأقصى النقاط الجنوبية هي أتسمون ( Azmon) و قادَشَ بَرْنِيعَ (Kadesh-Barnea ) ، وفي أقصى الشمال، جبل هور ( Mount Hor ) ، وليس هناك ذكرٌ للبحر الأحمر من طرف أو الفرات من الطرف الآخر .

ولإيجاد تسوية لهذه التناقضات ، سأقدم الاقتراح التالي **:** إن ما وعَدَهُ (الربَ) من حدود مُوسَعة لفلسطين ( أي من النيل إلى الفرات ) هو فقط نبوءة مستقبلية ، ومكافأة للإسرائيليين إذا عاشوا وفقَ إرادته ووصاياه ؛ وفي هذه الحالة عليهم أن يصبحوا أقوياء وأعدادهم كبيرة بحيث يُجبِّرون بسبب كثرتهم ، على توسيع حدودهم تدريجياً إلى أقصى الحدود المُعطاة لهم ؛ وذلك كما نقرأها في سفر الخروج 23 : 30- 31 : " 30 *بل سأطردُهمْ من أمامكَ سَنة بعد سَنة ، إلَى أن يَتكاثَرَ نَسلُكَ*

*وتمتَلكَ الأرض* . 31 *سأجعَلُ حُدودكَ من البحر الأحْمَر إلَى بحر الفلسْطِيّينَ ، ومن الصّحراء إلَى نـهْر الفُرات* . " .

فالبحر الأحمر والفرات هما ، وفق ذلك ، يدلّان على النقاط الأبعد ، التي يتوجب على الإسرائيليين أن يكتسبوها في أقصى ظروف ازدهارهم . إلا أن الحدود التي رُسمَتْ لهم عند دخولهم للمرة الأولى إلى فلسطين ( كما جاء في سفر العدد 34 ) ، فقد قُرِرتْ ( من الربَ) وفق أعدادهم وسُكَانهم ؛ ذلك أنه بسبب قلّة قوَتهم العددية آنذاك ، لم يكونوا قادرين على الاستيلاء أو الإقامة أو مَلء الامتداد الواسع للأراضي من البحر الأحمر إلى الفرات ، وهي النقاط التي يجب أن تصبح حدود * وطنهم في حقبة لاحقة وعندما يزداد عدد سكانهم بشكل كاف .

* في هذا المجال أيضاً ، يشير إصحاح سفر التثنية التالي 18 : 1-2 & 8-9 " 1*حِينَ يُفنـي إلَهُكم الأُمم التـي سيُعطيكُم أرضـهُم ، وتطردونـهم وتسكُنونَ فـي مدنـهِم وبيوتـهم* ، 2 *فخصّصوا ثلاث مُدن في وسط الأرْض الّتـي يُعطِيها إلَهُكم لَكُم لتَمتَلكوها ....*

8 *ولَكن إن وسَّعَ إلَهكُم أرضَكُم ، كما وعَدَ آباءَكُم . وأعطاكُم كُلّ الأرض التـي وعَد بأن أُعطيها لآبائِكم ، 9 فإذا حرصتُم على عمل كلّ ما أوصيكُم بِه اليوم ، بأن تَحبّوا إلَهكم وتعيشوا حسب مشِيئَته ، فَحينئذٍ تُضيفونَ ثلاثَ مُدن أُخرى إلَى هذه الثلاث* . " .

## حدود فلسطين التاريخية وفق التلمود

وأعتبر أن من مسؤوليتي أن أشرح هنا فقرة هي الأكثر صعوبة في التلمود * ، والتي تعطي مساحة خارجية لفلسطين على أنها مربع طول ضلعه أربعمائة بارسا ، Parsa ، أي مساحة 160000 بارسا ؛ ولأن كل **(وحدة طول)** بارسا في التلمود تعادل ثلاثة أميال إنجليزية ، فهذا يعطي مساحة قدرها 1440000 ميلاً مربعاً (أي 3.73 مليون كيلومتر مربع بالتقريب !) أو 17 خط طول وخط عرض جغرافي ، وهذا ما يجعل تخوم فلسطين تمتد إلى إمبراطوريتي فارس وروسيا . وبالتالي تبدو ، بالضرورة ، في منتهى السخافة بحيث يقبلها كتّاب التلمود .

*** أشير إلى ذلك في عدد من أجزاء التلمود Baba Kamma 82b ، Megillah 3a وغيرها ...**

---

**- <u>يوستيناس بونافينتورا برانيتيس</u> (1861-1917): كاهن كاثوليكي من ليتوانيا . عمل أستاذاً للغة العبرية في إحدى الأكاديميات الكاثوليكية في سانت بطرسبورغ / روسيا . المقتطفات التالية من كتابه " *التلمود بلا غطاء ، تعاليم الحاخامات السرية المتعلقة بالمسيحيين* " ، 1892. تُرجم كتابه إلى العديد من اللغات العالمية ، واتهمه اليهود كالعادة بمعاداة السامية بسبب ذلك .**

***The Talmud Unmasked* by Pranaitis, I.B. , St. Petersburg: Imperial Academy of Sciences, 1892**

**<u>التلمود عن السيد المسيح !</u>**

يروي كُتيّب كالاه (Kallah,1b **من التلمود)** القصة التالية **:** " في إحدى المرات عندما كان **(ثلاثة)** حُكماء **(حاخامات فقهاء)** يجلسون أمام بوابة ، مرّ شابّان أمامهم ، أحدهم كان معتمر الرأس أما الآخر فكان حاسراً . وقد علّق الحاخام أليعازر على الشاب الحاسر الرأس بأنه مولود نَغل 'ابن حرام mamzer' . أما الحاخام يهوشوا فقال بأن الشاب قد حَملتْ به أمه وهي 'حائض ben niddah ' . وقال الحاخام أكيباه إنه يجمع ما بين الإثنين معاً . وهنا سأل البعضُ الحاخام أكيباه عن سبب معارضته لأقوال زميليه ، فأجاب بأنه يستطيع إثبات مقولته هذه . وهكذا ، ذهب إلى أم الشاب ، التي رآها جالسة في ساحة السوق وهي تبيع الخضروات ، وقال لها **:**

**-** ' *يا ابنتي ، إذا ما أجبتني بصدق على ما سأسألك إياه ، فأعدك بأنك ستكونين من الناجين في الحياة الآخرة* ' ؛ فطلبت منه المرأة أن يقسم على الوفاء بوعده إذا ما أخبرته بذلك . وأقسم الحاخام أكيباه بشفتيه فقط ولكنه ألغى القسم بقلبه ، ثم سألها **:**

**-** '*قولي لي ، ما وضعُ ابنك هذا* ؟ ' فأجابت **:**

- *' في اليوم الذي تزوجت فيه كنت حائضاً ، ولهذا فقد هجرني زوجي . وكان أن جاءتْ إلي روحٌ شريرة ونامت معي . ومن خلال جماعنا وُلدَ ابني هذا '* .

وهكذا ، فقد ثبتَ أن هذا الشاب لم يكن فقط ' ابن حرام ' بل حُملَ به أثناء حيض أمه . وعندما سمع الحضور ذلك قالوا :

- *' لكم كان عظيماً الحاخام أكيباه عندما صحّحَ الأمر للحكماء* ! ' ثمّ صاحوا :

- *' تبارك ربّ إسرائيل الذي باح بأسراره إلى الحاخام أكيباه ابن يوسف '* " .

**<u>نجاسة الأغيار</u>**

يُذكر في كُتيب آبهوداه زاراه (**العبادة الوثنية** Abhodah Zarah22b):

- " *لماذا يكون الأغيار* (**غير اليهود** Goim) *نَجسين ؟* .

- *ذلك لأن الحيّة عندما دخلت في حواء شرّبتها بالنجاسة . ولكن اليهود طُهروا من ذلك عند وقوفهم في طور سيناء ، في حين أن الأغيار الذين لم يكونوا هناك لم يُطهّروا* " .

**<u>الحرب</u>**

في كُتيب زوهار (**الضياء** zohar I,160a) قال الحاخام يهودا إلى الحاخام سيتسكيا :

- *' جدير بالثناء ذلك الذي يمكنه تحرير نفسه من أعداء إسرائيل ، والأجدر بالثناء ذلك الذي يُحرر نفسه منهم ويقاتلهم '* . فسأله الحاخام سيتسكيا :

- "*كيف علينا أن نقاتلهم ؟*" قال الحاخام يهودا :

- *' لأنك بِحسنِ التدبيرِ تخوض حربك ضدهم* (الأمثال 24،6) ' .

- " *ولكن ما نوع هذه الحرب ؟*"

- " *الحرب التي يجب أن يخوضها كل - ابن إنسان - ضد أعدائه ، كتلك التي خاضها يعقوب تجاه* **(أخيه)** *عيسو* (Esau) . "

- "*بالخداع والتحايل كلما أمكن ذلك . يجب قتالهم بلا توقف إلى أن يُستعاد النظام الحقيقي . وهنا ، أقول بكل الرضا ، إن علينا أن نُحرّر أنفسنا منهم ونُسيطر عليهم* " .

**<u>قطع الرؤوس</u>**

في كُتيب بيزاخيم (**الفصح** Pesachim,49b) يقول الحاخام إليعازر**:**

- "*يُسمح بقطع رأس الأحمق* **(أيّ واحد من البشر)** *في عيد الغفران* (Atonement feast) *إذا تصادف مع يوم السبت* " . فقال له أتباعه **:**

- "*أيها الحاخام ، من الأحرى أن تقول يُسمح بتقديمه قرباناً* " . إلا أنه أجاب **:**

- " *على الإطلاق ، إذ من الضروري إقامة الصلاة عند تقديم القربان ، ولا حاجة لذلك عند قطع رأس أحدهم* ."

---

**<u>هيام إيزاكس</u> (1794 - ؟) : مُبشّر بريطاني من القرن التاسع عشر ، تحوّل من الديانة اليهودية إلى المسيحية . في كتابه " طقوس،عادات،شعائر وتقاليد اليهود "،1838 ، ينتقد إيزاكس بعض المعتقدات والطقوس الدينية اليهودية المنافية للعقل وبخاصة لدى يهود بولندا وألمانيا . ويرى الكاتب أن مصدر هذه المعتقدات السخيفة هو تفسيرات وآراء قدامى الحاخامات كما وردت في كتب التلمود البابلية والأورشليمية وغيرها . المقتطفات التالية مختصرة عما ورد في نص الكتاب .**

**Ceremonies,Customs,Rites,and Traditions of the Jews ,by Isaacs,H., London,William Buck Publ.,1838**

## الدودة المعجزة شامير

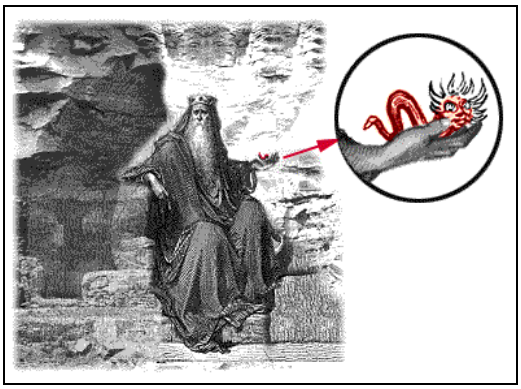

**الملك سليمان وشامير في مقلع الأحجار**

مع بدايات خلق الكون ، خلق " يهوة Jehovah" **(إله اليهود)** أيضاً حشرة **(دودة)** غريبة ، حجمها يوازي حجم حبة شعير ؛ يطلق اليهود عليها اسم شامير Shamir . وكان الهدف من خلق هذه الدودة أمرين. . الأول هو حفر أحرف الوصايا العشر على اللوحين الحجريين **( اللذين أنزلا على موسى في طور سيناء)** . أما الأمر الثاني فهو قطع الحجارة من المقلع لبناء " بيت يهوة " **(هيكل سليمان)** . وبعد أن قامت شامير بقطع ألواح الوصايا العشر ، خبأ " يهوة " الدودة ، ، في موضع لا يعلم به أحد سوى الشيطان .

وكما يشرح الحاخامات التلموديون ، فإن الشرع Law **(اليهودي)** لا يسمح باستخدام الحديد **(الأزاميل وغيرها)** لقطع الحجارة من المقالع بغية استخدامها لبناء الهيكل في أورشليم . فبعد أن هيأ **(الملك)** سليمان كل متطلبات بناء الهيكل من ذهب وفضة وأحجار كريمة وجميع فرقاء العمل ، احتار في كيفية قطع الحجارة من المقالع من دون استخدام الحديد . فكان أن تضرّع إلى الله ، الذي كشف له في الرؤيا سرّ " الدودة شامير."

وفي اليوم التالي ، دعا سليمان كبار الحاخامات المتواجدين في أورشليم ليعلمهم بسرّ قطع وصقل أحجار الهيكل من دون استخدام الحديد . وبعد أن تلى سليمان الصلاة ، رفع رأسه إلى السماء

وصرخ **:** " *شيطان! شيطان! شيطان! انهض ، انهض من حفرتك واظهر أمام عرشي !* " .
وخاطب سليمان الشيطان، الذي ظهر مُرتعشاً**:** " *لقد أرسلت في طلبك هذا اليوم لتعطيني شامير*" .

واستجابة للأمر ، طلب الشيطان من سليمان وجمع الحاخامات الحاضرين ملاقاته في مكان محدّد بالقرب من شاطئ البحر . وبعد أن حضر الجميع إلى المكان ، غاص الشيطان في قاع البحر وعاد حاملاً معه صخرة يصل وزنها إلى ما يقرب من ألف طن ؛ وبغيظ ألقى الشيطان الصخرة أرضاً لتنفلق ويظهر في مركزها فجوة تقبع داخلها الدودة شامير .

في اليوم التالي وُضعَت الدودة في الخدمة . وكان سليمان ، بحكمته المعروفة ، يعرف حجم وشكل كل حجر يلزمه لبناء الهيكل . فعلّمَ بقلمه على الأحجار المتوجّب قطعها في المقلع ، ثمّ وضع الدودة على علامات القلم . هنا بدأت شامير تزحف على المسار المحدد لها تماماً ؛ وما أن تنتهي من زحفها حتى تنفلق الصخرة من تحتها بالشكل المطلوب . ليس هذا فحسب ، بل كان الحجر الذي تقطعه شامير يبدو مصقولاً في أعلى درجات الصقل .

## رأس تيتوس

كان **(الإمبراطور والقائد العسكري الروماني)** تيتوس فلافيوس Titus يشتكي من آلام مزمنة في الدماغ . وكان كثيراً ما يعترف بأن مردّ ذلك حكم من الله عليه بسبب الوحشية التي ارتكبها عند حصاره "لأورشليم" وتدميرها وحرقه للهيكل . وقد كتب قبيل وفاته وصية ، طلب فيها أن تُقرأ وتنفّذ مباشرة بعد مماته . ويقال أن نصّ الوصية هو الآتي **:**

" *أطلب من الأطباء ، خلال أربع وعشرين ساعة من وفاتي ، أن يفتحوا رأسي لفحصه ومعرفة سبب الآلام التي عانيت منها ، إن أمكنهم ذلك ؛ وعليهم بعد ذلك أن يحرقوا جسدي ويحوّلوه إلى رماد يُنثر موزعاً على سبعة بحار* " .

وتنفيذاً للوصية ، اجتمع الأطباء وفتحوا رأس تيتوس ؛ ولكم أن تخمنوا كم كانت المفاجأة عندما اكتشفوا مصدر معاناته ، إذ كان عبارة عن ذبابة كبيرة ، بحجم حمامة عمرها سنتان ، وجدتْ لها

مقاماً في دماغه . كان جسدها مكوناً من الحديد وساقاها من النحاس وأجنحتها وأجزاء أخرى من الفولاذ . ويقول الحاخامات بأنهم لا يشكّون بأن تيتوس عندما وصل إلى الشاطئ واتخذ موقع المقاتل ، دخلت ذبابة من أنفه ونخرت وصولاً إلى دماغه ثمّ تضخّمت إلى ذلك الحجم الكبير . ويضيف الحاخامات إن تلك إحدى معجزات الإله في تحويل مادة تلك الذبابة إلى أنواع مختلفة من المعادن .

سأروي الآن أحد الأسباب الرئيسة ، التي وصلت إلينا **(من الحاخامات)** ، والتي أدت إلى خراب هيكل أورشليم . فبعد أن حُرقَ الهيكل ، يقال ، أن " يهوة " بدأ بالنحيب وهو جالس في وسط الرماد . وقال : " إن للثعالب جحورها وللطيور أعشاشها ، بينما لا يجد "أولادي" **(أي شعب الله المختار)** الذين نجوا من هذه المذبحة مكاناً يضعون عليه رؤوسهم ، وهذا مدعاة لبهجة أعدائهم .

وتابع " يهوة " قائلاً **:** كان لدي موضع واحد أستريح فيه على الأرض ، وها هو قد أتلف تماماً ، لذلك ، سآخذ "روح قدسي" ruach ha-kodesh من أورشليم حالياً وأعيد موضع استراحتي من جديد إلى السماء ، ذلك لأن " أولادي" شاركوا بنصيب أساسي في خراب الهيكل . فبعد أن أخرجتهم من أرض مصر - وعبرت بهم البحر الأحمر- وأغرقت أعداءهم - وقدتهم أربعين عاماً في القفار- وأعطيتهم موسى قائداً - وسلمتهم الشريعة في طور سيناء - وأمطرت عليهم المنّ من السماء بعد أن مات موسى وقدتهم من خلال يوشع **(بن نون)** إلى أرض الميعاد ثمّ أعطيتهم كل شيء يجعل حياتهم جذابة ؛ ولكن ، ويا للحسرة **!** ، تصرفوا بعد كل ذلك بجحود ، وهذه هي المحصلة الشنيعة : لقد جلبوا الدمار على أنفسهم حالياً ، وليس هذا فحسب ، فقد ارتكبوا الآثام وأنزلوا الخزي والعار عليّ ، أنا إلههم ، بحيث أصبحت الشعوب الوثنية تسخر مني وتزدريني .

---

**<u>يوهان أندرياس أيزنمنْغَر</u>**(1654-1704) **: من أوائل المستشرقين الألمان . اهتمّ بالدراسات العبرية واللغات السامية . من أشهر مؤلفاته كتاب " *اليهودية المُكتشفة* *Entdecktes Judenthum* " الصادر عام 1700، والذي تُرجمَ لاحقاً إلى الإنجليزية تحت عنوان " *أدب الربّانيات أو تقاليد اليهود* ". ونظراً لكشف أيزنمنغر أباطيل وخرافات التعاليم الشفهية التي**

**سطّرها ربّانيو وأحبار وحاخامات اليهود في التلمود والكتب الصوفية الأخرى ، فقد صُنّف ـ كما جرت العادة ـ على انّه مُعاد لليهود ومُعاد السامية . من كتابه نقتطف الفقرات التالية :**

***Rabinical Literature : or The Traditions of the Jews contained in the Talmud and other* Mystical Writings,(tr.) by Stehelin,J.P. ,London, Robinson, 1748 .**

## الإعجاز

العبقرية والمعرفة هي من نصيب الحاخامات ! . إذ ليس هناك نصّ غامض لا يمكنهم فكّ طلاسمه . وليس هناك أمر بالغ التعقيد لا يمكنهم حلّه . إنهم أساتذة جميع الألغاز والأحاجي والمُلاّك الحصريون للعلوم الحقيقية . وبسبب الصفات المُذهلة التي يتمتعون بها ، فقد تمكّن العديد منهم من فهم لغات الوحوش والطيور والأشجار والحشائش والجبال والوديان . ويقال في التلمود ، إن الحاخام هيلل Hillel تعلّم جميع كلمات الحكماء ؛ وكان يفهم لغة الجبال والهضاب والوديان وكلام الأشجار والحشائش والضواري والأبالسة وجميع حكاياتهم . ويقال في التلمود أيضاً ، إن الحاخام يوخانان Jochanan بن زاكّاي كان يفهم لغة ملائكة الخدمات والأبالسة وأشجار النخيل . أما الحاخام خانينا Chaninna فكان يَعظُ بسبعين لغة .

## ملاك الموت

يروي أحد أجزاء التلمود ' كتوبوث ketuboth' قصة دخول الحاخام يشوع بن ليفي إلى الجنة عن طريق تحايله على مَلَاك الموت :

" يقول حاخاماتنا ، بُوركَ ذكراهم ، بأن الحاخام يشوع بن ليفي كان وَرعاً تمام الورع . وعندما قَرُب وقت رحيله عن هذه الدنيا ، قال الربّ المُقّدس والمُبارك لملاك الموت ، عليك أن تستجيب لكل ما يطلبه منك يشوع . بعد ذلك قال (ملاك الموت) ليشوع : *لقد اقتربتْ ساعة رحيلك عن الدنيا ، وسأمنحك كل ما تطلبه* . وعندما سمع يشوع ذلك قال : *طلبي إليك أن ترينـي مكانـي* (أو مقعدي) في الجنة . فأجابه ملاك الموت : *تعال معي وسأريك إياه* . إثر ذلك قال الحاخام يشوع له أعطني

سيفك (أوسكينك) حتى لا تباغتني به . فأعطاه ملاك الموت سيفه فوراً ؛ ومضى الإثنان معاً إلى أن قاربا أسوار الجنة . وما أن وصلا إليها حتى رفعَ ملاك الموت الحاخام يشوع إلى أعلى السور ووضعه عليه . فما كان من يشوع إلا أن قفز من أعلى السور ونزل إلى الجنة ، لكن الملاك تمكّن من الإمساك بطرف ردائه ، وقال له : *أخرج منها* ! . إلا أن الحاخام أقسمَ باسم الربّ أنه لن يخرج من ذلك المكان ؛ ولم تكن لدى ملاك الموت القدرة على دخول الجنة **(وإخراجه منها)** . إثر ذلك حضر الملائكة المسؤولون أمام الربّ وقالوا : *أنظر أيها الربّ المقدّس والمبارك ما فعله ابن ليفي ، فقد اتخذ بالقوة لنفسه موضعاً في الجنة*. عندها قال الربّ لهم : *إذهبوا وتحرّوا فيما إذا كان قد أقسم قبل ذلك ، أو أنه حنثَ بقسمه أو حلّ عن يمينه* . فذهبوا وتحرّوا وقالوا للربّ ، بعد عودتهم ، إنه لم يحنثْ قط بقَسمْ . عند ذلك قال المقدّس والمبارك لهم : *إذا كان الأمر كذلك فليس عليه مغادرة الجنة* ! .

وعندما أدرك ملاك الموت استحالة إخراجه من الجنة ، قال ليشوع : *أعد لي سيفي* ! ؛ إلا أن الحاخام رفض ذلك إلى أن جاءه صوت سماوي يقول : *أعطه سيفه فهناك دواع لقتل مخلوقات أخرى به* . فأجاب الحاخام : *اقسمْ لي بأنك لن تدع أي رجل أو مخلوق يراك وأنت تنتزع روحه* . فقبْلَ **(هذه الحادثة)** كان ملاك الموت يقتل البشر ، وحتى الأطفال في حجور أمهاتهم ، علانية وعلى مرآى من الجميع . في تلك الساعة أقسم ملاك الموت على ذلك وأعاد يشوع له السيف ثانية " .

ويتابع أيزنمنغر حديثه عن معتقدات اليهود فيما يخصّ ملاك الموت :

" سنُمتعُ الآن القارئ ببعض أكثر روايات الحاخامات غرابة عند حضور ملاك الموت ليضع حداً لحياة إنسان . ففي التلمود (جزء أبوداه زاراه Abodah Zarah) نقرأ المقطع التالي : يُقال عن ملاك الموت إن له العديد من العيون ؛ وإنه عندما يشارف المريض على الموت ، يقف الملاك عند رأسه حاملاً في يده سيفاً مُشرَعاً عليه قطرة من المَرارة **(عصارة الصفراء في الكبد)** . وما أن يرى المريض ذلك يبدأ بالارتجاف ويفتح فمه . عندها يُسقطُ ملاك الموت تلك القطرة في فم المريض فتؤدي إلى موته . وهكذا تصبح ملامحه بيضاء وفاسدة " .

**<u>أبونا إبراهيم (ع)</u>**

يحدثنا جزء بافا باثرا Bava Bathra **(ويعني الباب الأخير)** من التلمود عن جوهرة مُذهلة كانت في حوزة إبراهيم . يقول المقطع ما يلي **:**

**"** وقال الحاخام شمعون بن يوخاي **:** *كان لدى أبونا إبراهيم جوهرة مُعلّقة حول عنقه . وكان كلّ مريض ينظر إليها يتعافى . ولكن عندما مات أبونا إبراهيم ، عَلّقها الله على قرص الشمس .* **"**

**<u>تعقيب الكاتب</u> : ولا بدّ أن يتساءل البعض منا، كيف قُدّر لإبراهيم أن يموت والجوهرة في حوزته ؟**

**<u>شيء من العنصرية !</u>**

تظهر المقاطع التالية ، المُستمدّة من أدبيات الحاخامات ، العقائد المتطرّفة لليهود ذات الصلة بمصدر أرواحهم وأرواح بقية البشر **:**

**-** البَشَرة واللحم هما سترةُ الإنسان ؛ أما الروح spirit داخلهما فهي الإنسان . والوثنيون ( وتعني جميع الأمم عدا اليهود) لا يُسمّون بشراً، ذلك أن أنفُسهم (Nephesh) soul مصدرها روح قذرة أما مصدر أنفُس الإسرائيليين فهو الروح المقدّسة .

**-** يُسمى الإسرائيلي إنساناً ، لأن روحه جاءت من الإنسان الأسمى supreme Man * . أما الوثني ، الذي جاءت روحه من روح قذرة ، فيسمى خنزيراً .

**-** يقول الحاخام آهارون صموئيل **(القرن السابع عشر):** *إن روح اليهودي هي جزء من الله في الأعالي.*

* **<u>تعقيب الكاتب</u> : وفق عقيدة القبالاه** Kabbalah**، الإنسان الأسمى هو الله ويطلقون عليه اسم آدم أهيليون** Adam Ahelion **. أما الشيطان الأسمى فيدعى آدم بليال** Adam Belial **أو سامائيل** Sammael .

**-** يعلّمنا حاخاماتنا أن ثلاثة فصائل قد اتّصلت مع بعضها جنسياً ، أثناء تواجدها في سفينة نوح ، وأن هذه الأصناف قد فُرزَتْ عن غيرها وعُوقبتْ على فعلتها على النحو التالي **:** بقاء الكلب ملتصقاً بأنثاه (عند الجماع) . وقذف الغراب سائله في فم أنثاه ؛ أمّا حام **(ابن نوح)** فعوقب **(بلون)** بشرته ؛ ذلك أن من نسله وُلدَ كوش الأسود * (negro !) **.**

**<u>تعقيب المترجم</u> : من المرجح أن الكوشيون ، وفق العهد القديم، هم النوبيون أو الأثيوبيون ، إذ يذكر في سفر أرمياء 23:13 " هل يمكن للإثيوبيّ أن يغيّر جلدهُ .."**

**<u>وشيء من الوصولية</u>**

**-** يقال في جزء كتوبوث Ketuboth من التلمود **:** " إن من يَهبُ ابنته للزواج من أحد أتباع حكيم **(أي حاخام)** ، أو يقدّم له أية خدمة ... فعمله هذا بمثابة الارتباط بالمجد الإلهي " .

**-** كل من يستقبل أحد أتباع **(تلامذة)** الحكماء في بيته لمشاركته في طعامه وشرابه ، أو أي شيء آخر ، فهو كمن يقدّم قربانه اليومي .

**-** في الجزء بيراخوث berachoth من التلمود نقرأ المقطع التالي **:** " قال الحاخام أبّين اللاوي ، إن من يشارك في وليمة ، يتواجد فيها حكيم **(أي حاخام)** ، هو كمَنْ يشارك في مجد إلهي " .

**<u>تعقيب الكاتب</u> : ولن تعدم القارئ الوسيلة ليكتشف الأساس الذي بُنيت عليه هذه العقيدة. ولن يحتاج إلى حجج لتقنعه بأن هذا مجرد مبدأ حاخامي ، وأنه وسيلة خداع استنبط لفتح الباب أمام الحاخامات للزواج من أسَر ثرية ، وتلقي هدايا نفيسة وتناول المأكولات والطيبات مجاناً .**

Johann Andreä Eisenmengers/
Professors der Orientalischen Sprachen bey der
Universität Heydelberg
Entdecktes Judenthum/
Oder
Gründlicher und Wahrhafftter Bericht/
Welchergestalt
Die verstockte Juden die Hochheilige Drey-Einigkeit/
GOtt Vater/Sohn und Heil. Geist/erschrecklicher Weise lästern
und verunehren/ die Heil. Mutter Ehristi verschmähen/ das Neue
Testament/ die Evangelisten und Apostuln/ die Christliche Religion
spinnefeindschaftigsten/ und die gantze Christenheit auf das boßhafftig
verachten und verfluchen;
Dabey noch viel andere/ bißhero unter den Christen
entweder gar nicht/ oder nur zum Theil bekant gewesene Dinge
und grobe Irrthümer der Jüdischen Religion und Theologie/
wie auch viel lächerliche und Fabulosische Fabeln/ und andere
ungereimte Sachen an den Tag kommen.
Alles aus ihren eigenen/ und zwar sehr vielen mit grosser Mühe
und unverdrossenem Fleiß durchlesenen Büchern/ mit Anziehung
der Hebräischen Worte/ und derer treuen Versetzung in die Teutsche
Sprach/ fleißigst entdecket.
Und
In Zweyen Theilen
verfasset/
Deren jeder seine behörige / allemal von einer gewissen Materie
ausführlich handelnde Capitel enthält.
Allen Christen zur treuhertzigen Nachricht verfertiget/ und mit
vollkommenen Registern versehen.
Mit Seiner Königl. Majestät in Preussen Allergnädigsten
Special-Privilegio.
Gedruckt zu Königsberg in Preussen/ im Jahr nach Christi Geburt 1711.

**----------** **----------**

**- <u>بول إسحق هيرشون</u> (1817-1888) خبير في الدراسات العبرية . وُلدَ في غاليسيا بوسط أوروبا من أبوين يهوديين . تحول إلى المسيحية وأصبح مُبشراً ينشر المسيحية بين يهود الشرق . من أبرز مؤلفاته " *مجموعة تلمودية أو ألفَ***

**مُقتبس ومُقتبس من التلمود والمدراش والقبالا"** ، 1880 ، **يعرض فيه المعتقدات اليهودية وتفسيرات وآراء الفقهاء والحاخامات في العديد من الشؤون الدينية والدنيوية كما وردت في فصول وأجزاء التلمود وملاحقه .**

***A Talmudic Miscellany or A thousand and One Extracts From the Talmud The Midrashim And The Kabbalah,*** **by Hershon, P.I. Boston: Mifflin & Co., 1880**

**<u>الأنبياء في التلمود</u>**

- أنزلَ على **(بني)** إسرائيل ثمان وأربعون نبياً وسبع ' نبيّات ' لم ينقصوا أو يزيدوا عن ذلك المُسطّر في التوراة . *

**Megillah**

*** <u>تعقيب المترجم</u> : وفقاً لبعض التقديرات ، يُشكل المسيحيون حالياً 33% من سكان العالم ويُشكل المسلمون 21% . ويتبع الديانة اليهودية 0.22% من سكان العالم وأنزل عليهم 55 نبّياً ونبيّةً!**

**<u>الأنبياء</u> : إبراهيم ، إسحق ، يعقوب ، موسى ، هرون ، يشوع ، فينحاس ، القانه ،عالي ، صاموئيل ، جاد ، ناثان ، داود ، سليمان ، عدّو ، ميخا بن يمله ، عوبدّيا ، أخيا الشيلوني ، ياهو بن حناني ، عَزريا بن عُوديد ، يَحزئِيل اللاوي ، أليعزر بن دوداواهو ، هوشع ، عاموس ، ميخا المورشتي ، آموص ، إيليا ، أليشع بن شافاط ، يونان بن أميتاي ، إشعياء بن آموص ، يوئيل ، ناحوم الألقوشي ، حبقوق ، صفنيا بن كوشي ، أُوريّا بن شمْعيا ، إرميا بن حلقيّا ، حزقيال بن بوزي ، شمعيا ، باروخ بن نيريّا ، نيريّا ، سرايا ، مَحسيا ، حجّي ، زكَريّا بن برخيا ، ملاخي ، مردخاي ، عوديد ، حناني .**
**<u>النبيات</u> : سارة ، مريم أخت هَرونْ ، دَبورَة ، حَنَّة ، أَبيجايل ، خَلْدة ، أَسْتير .**

- قال الحاخام يوهانان بار هانينا : **"** *يتكون اليوم من إثني عشرة ساعة . ففي الساعة الأولى جُمعَ غبار آدم من جميع أرجاء العالم ؛ وفي الساعة الثانية جُعلَ من الغبار كتلة ؛ وفي الثالثة شُكلت*

*أطراف آدم ؛ وفي الساعة الرابعة نُفخت الحياة في جسده ؛ وفي الخامسة وقف على قدميه ؛ وفي الساعة السادسة أعطى آدم للحيوانات أسماءها ؛ أما في السابعة فترافق مع حواء ؛ وفي الثامنة وُلدَ قابيل واخته التوأم* (أما هابيل وأخته التوأم فوُلدا بعد هبوط آدم وحواء ، وفق كتاب ' *الإضافات* Tosephoth' ) ؛ *وفي الساعة التاسعة أُمرَ آدم ألاّ يأكلَ من الشجرة المُحرّمة ؛ وفي العاشرة أصبح خَطّاءً ؛ وأثناء الساعة الحادية عشر حُوكم وفي الساعة الثانية عشر طُردَ من الجنة كما ذُكر في سفر المزامير 49: 13* : *ولكن الإنسان* **(آدم)** *لا يخلد في أبّهته* " .

**Sanhedrin**

- كان إبراهيم عملاق العمالقة ؛ طوله يوازي مجموع أطوال أربعة وسبعين رجلاً. وكانت نسبة طعامه وشرابه وقوته تعادل ما نسبته أربعة وسبعين إلى واحد . لقد بنى إبراهيم مدينة حديدية لأبنائه السبعة عشر من **(زوجته)** قطّورة Ketura ، وكانت جدران المدينة من العلو بحيث يتعذّر على أشعة الشمس اختراقها ؛ ولهذا ، فقد أعطاهم أبراهيم وعاءً مليئاً بالأحجار الكريمة ، كانت شدة تألقها تزودهم بالإضاءة عند غياب الشمس .

**Sophrim**

- تصلُ أبعاد الألواح الحجرية **( لوحا الوصايا العشر اللذان أنزلا على موسى في طور سيناء)** إلى ستة أذرع طولاً وستة أذرع عرضاً وثلاثة أذرع ثخانة .

## Nedarim

**<u>شرح لمؤلف الكتاب هيرشون</u> :** لمساعدة القارئ في إعطاء فكرة عن قوّة موسى ** قمت بحساب حجم ووزن هذه الألواح الحجرية وفق ما ورد في التلمود . فإذا اعتبرنا ، في أقل تقدير ، أن الذراع يساوي ثماني عشرة بوصة ، فهذا يعني أن أبعاد كل لوح حجري هي 9 أقدام طولاً و9 أقدام عرضاً و4.5 قدم ثخانة ، وبالتالي سيزن كل لوح حجري أكثر من ثمانية وعشرين طناً وذلك تبعاً لطبيعة الصخور في جرف سيناء .

**** عندما غضب موسى (ع) على بني إسرائيل حَمل الألواح بيديه ثمّ ألقاهما على الأرض ، كما ذكر في سفر التثنية 17:9 : *فأخذت اللوحين وألقيتهما من يديّ وحطمتهما أمام أعينكم***

**" وألقيتهما من يديّ ... "**

**-** كان عرض أكتاف شمشون ستين ذراعاً *******

**Soteh**

***** أي أن عرض أكتافه يقارب 29 متراً**

**<u>شعب الله المختار والأغيار</u>**

**-** عندما يتذكرُ**(الربّ)** المقدس - تبارك اسمه **!** - أن أولاده **(شعبه المختار)** يتجشمون العناء بين شعوب الأرض ، يذرفُ دمعتين في المحيط الكبير ؛ دمعتان يُجفلُ من وقْع سقوطهما العالمُ من أقصاه إلى أقصاه وتزلزل منهما الأرض .

**-** جميع الإسرائيليين **(بني إسرائيل)** أمراء .

**-** جميع الإسرائيليين مُقدّسين .

**-** سعيدة أنت يا **(أرض)** إسرائيل **!** لأن كل واحد فيك ، من أصغرهم إلى أكبرهم ، فيلسوف عظيم .

- يقول كتاب صلاة عيد الخمسين Pentecost : " *يحاكي الإسرائيليون في أعمالهم المُميزة الرمانة الممتلئة بالحبيبات* " .

- وكما يستحيل على العالَم أن يعيش بلا هواء ، يستحيل عليه أن يكون بلا إسرائيل .

- إذا تسبب ثورٌ يملكه إسرائيلي في أذيّة ثور لغير يهودي Gentile يُعفى الإسرائيلي من دفع تعويض عن الضرر ؛ أما إذا ألحَقَ ثور يملكه ' غير يهودي ' أذية بثور إسرائيلي ، فعلى ' غير اليهودي' تعويض الإسرائيلي بالكامل .

- إذا وجد أحدهم شيئاً ضائعاً في موقع غالبيته من الإسرائيليين ، فهو مُلزم بالإعلان عنه ، ولكنه غير ملزم بالإعلان إذا كانت الغالبية من غير اليهود .

- إذا ضَرب ' غير يهودي ' إسرائيلياً فهو مُذنب وحكمهُ الموت ؛ كما جاء في سفر الخروج 12:2 **( قصة قتل موسى لأحد المصريين) :** " *فلمح رجلاً مصرياً يضربُ رجلاً عبرانياً - فتلفت حوله ، وإذ لم يجد أحداً هناك قتل المصري* " .

- لقد خُلقَتْ الدنيا فقط من أجل إسرائيل : لم يُطلق على أحد اسم ' أبناء الله ' سوى إسرائيل ؛ ولا أحد محبوبٌ عند الله سوى إسرائيل .

- عشرة مكاييل من الفجور جاءت إلى العالم ؛ تسعة منها أخذها العرب ، ومكيال واحد أخذه بقية العالم

**Gerim ، Sanhedrin ، Bava Metzia ، Bava Kama ، Taanith ، Chaggigah ، Eiruvin، Shabbath. Kiddushin.**

**<u>الإله (يَهوَه) في التلمود</u>**

**<u>ملاحظة للمترجم</u> : في الفقرة التالية ، يبيّن هيرشون مدى وقاحة الفقهاء التلموديين ومدى تحرّر معتقداتهم عند الحديث عن الربوبية والألوهية ،إضافة إلى ميل حاخاماتهم إلى التحدث بلا كلفة في**

**معظم الحقائق المقدسة. والأمثلة المنتقاة التالية - والواردة في فصول التلمود المُبينة أدناه - تبرّر تماماً الحكم الذي أطلقه عليهم. ويرى هيرشون أن تعامل فقهاء التلمود مع الربوبية على هذا النحو ناجم غالباً عن تصوّرات في مخيلاتهم وتعكس مدى تشوّههم الذاتي .**

- يُصوّر الفقهاء التلموديون أن الإله **(يهوه)** يزأر كالأسد .

**Berachoth, fol. 3, col. 1**

- والإله يبكي كل يوم .

**Chaggigah, fol.5, col. 2**

- ويضع على جبينه تعويذة جلدية Tefellin ، كما هو وارد في صلاة يوم كيبور ؛ حيث يذكر أثناء تلاوة الصلاة أن الإله يُريْ 'عقدة تعويذته ' إلى الحليم **(والحليم هو النبي موسى)** .

**Berachoth, fol.6. Col.1**

- ويخطيء . فعندما اتّهم موسى ربّهُ أنه هو السبب وراء وثنية الإسرائيليين ، اعترف الإله بعدالة اتهام موسى له ، كما جاء في سفر العدد 14:20 : " .. *قد صفحتُ بحسب قولك* . "

**Berachoth,Fol.32,col.1**

- وهو يَحلقْ ويُزيّن ، إذ يقول الفقهاء إنه ضَفَرَ شعرَ حواء ( وبعضهم ذكر بأنها كانت 700 ضفيرة). وفي أحد كتب طقوس الصلاة Hagada يُفهم بأن الإله كان بمثابة حلاق لسنحاريب **( ملك**

**الإمبراطورية الآشورية)** ، وذلك في محاكاتهم لما ورد في سفر أشعياء 7: 20 : " *في ذلك اليوم يستأجرُ الرَّب ملك أشور من عبْرِ نهرِ الفرات ، فيكون الموسى التي يحلقُ بها الرّب شعر رؤوسكم وأرجلكم ، وحتى لِحاكُم أيضاً* " .

**Eiruvin, fol. 18, col. 1.**

**-** ويُصوّروه بأنه يَسقي ' *أرض إسرائيل*' * ، بينما يتركُ ما تبقى من أراضي العالم ليسقيه أحد الملائكة .

**Taanith, fol. 10, col. 1**

*** تعقيب المُترجم : يذكر النص الأصلي للتلمود بالإنجليزية ، أن الإله يسقي أرض " فلسطين" وليس "أرض إسرائيل" كما ورد في كتاب هرشون !**

**"Palestine is watered by the Holy One, blessed be He, and the rest of the world is watered by a messenger " (Taanith, fol. 10, col. 1.)**

**-** وهو يرقص من أجل الصالحين . فعندما يقف في وسطهم **( ويتحلّق الصالحون من حوله)** فإنهم يشيرون إليه بأصابعهم ويقولون **(كما جاء في سفر أشعياء 9:25) :** " *ها هو إلهنا الذي انتظرناه فخلّصنا . هذا هو الرَّب الذي انتظرناه نبتهجُ ونفرحُ بخلاصه .* "

**Taanith, fol. 31, col. 1.**

**-** ويؤكدون إن الإله "راوَغ" عندما حاول نشر الوئام بين إبراهيم وسارة ، وهذا ليس مدعاة للاستغراب . فبينما يلقّنُ أحد الحاخامات أن الكذب في ظروف محدّدة مسموح به ، يؤكّد آخر أنه واجب على نحو جازم ؛ ذلك أنه قد كُتبَ في سفر صموئيل الأول 16: 2 " *فقال صموئيل* : كيف

*أَذْهبْ ؟ إنْ بلغَ شاول الأَمرَ يقتلني . فأجابه الرَبُ* **:** *خذْ معكَ عجلة وقلْ* **(لشاول)** *قد جئتُ لأَذبح* **(أي أُضحّي)** *للرّب .* **"**

**Yevamoth, fol. 65, col. 2.**

**-** يتكوّن النهار من 12 ساعة ، يقضي المُقدّس ، تمجّدَ اسمهُ ، أول ثلاث ساعات منها في دراسة التوراة ؛ ويجلس في الساعات الثلاث التالية ليحكمَ في شؤون العالم أجمع ؛ وفي الساعات الثلاث التالية يقضيها في إطعام العالم كافة ؛ أما في الساعات الثلاث الأخيرة فهو ' يلهو' مع وحش البحر ، ذلك أنه قيل **(في سفرالمزامير**104:26**) : "** *تمرح فيه الحيتان التي خلقتها* ."

**Avodah Zarah, fol. 3, col.**

**المرأة فى التلمود**

الاعتقاد السائد بين الحاخامات أن آدم ، في بداية الخلق ، كان ' ثنائي الجنس bisexual ' . ومصدر هذا الاعتقاد ما جاء في سفر التكوين Genesis 27:1 **:** **"** *فخلق الله الإنسان علَى*

*صورته . على صورة الله خلقهُ . ذكراً وأنثى خلقهم* " . وكان يُظنُ ، أن هاتين الطبيعتين مُتّحدتان جنباً إلى جنب ؛ ووفقاً لبعض الحاخامات يتواجد **(جنس)** الذكر على الجانب الأيمن **و(جنس)** الأنثى على الجانب الأيسر ، ووِفقَ البعض الآخر كانا ظهراً لظهر . وهناك فريق من الحاخامات يرى بأن آدم خُلق وله ذيل ، وأن حواء قد شُكّلتْ من ذيله . وتذكر معتقدات يهودية أخرى بأن حواء قد صُنعت من' الضلع الثالث عشر للطرف الأيمن ' **(لآدم)** وأنها لم تُسحَبْ من رأسها خشية أن تصبح مُختالة ، ولا من عيونها خشية أن تصبح عابثة ، ولا من فمها مخافة أن تصبح ثرثارة ، ولا من أذنيها لكي لا تصبح مُتلصصة ، ولا من يديها لكي لا تكون طفيلية ، ولا من قدميها خشية أن تتحوّل إلى متسكعة ، ولا من قلبها خوفاً أن تصبح غيورة ؛ وهكذا فقد تمّ سحبها من جَنبها. ومع ذلك ، ورغم كل تلك الإجراءات الاحترازية ، كان لديها **(أي لدى حواء)** كل العيوب والنقائص التي عُملَ على تفاديها .

**-** من المستحيل تصوّر العالم من دون ذكور وإناث ، ولكن مُباركٌ من كان أولاده صبياناً وسوءُ طالعِ من كان أولاده بناتاً .

## Kiddushin

**- ( نصيحة إلى الرجال !)** إذا صادفتَ امرأتين تجلسان وجهاً لوجه على جانبي الطريق ، فمن المُسلّم أنهما في صدد التخطيط للسحر وتحضير الأذى ؛ فماذا عليك في هذه الحالة فعله ؟

- أسلك طريقاً آخر إن وجد .

- وإذا لم يكن هناك طريق آخر، فاعبر الطريق مع رفيق لك متأبطاً ذراعه **(يداً بيد)** .

- وإذا لم تجد حتى رفيق درب ، فاعبرْ الطريق بينهما وأنت تتلو التعويذة التالية **(لإبطال السحر) :**

"*لقد رَحلتْ أجراث* Agrath *إلى آسيا ، وقُتلتْ بلوسيا* Blussia *في المعركة* "

**أجراث( وبلوسيا هما مُحاربتان شرسَتان في الأساطير اليونانية ، ويصنّفهما حاخامات اليهود من بين الشياطين والأبالسة)** .

**P'sachim**

- حَدثَ ذلك عندما جاء إبراهيم إلى مصر ، ولكن أين كانت **(زوجته)** سارة ؟ لقد أخفاها في صندوق وأقفلَ عليها مخافة أن تقع الأنظار **(المصريين)** على حُسنها وجمالها. وعند وصوله إلى الحدود ، طُلبَ إليه رجال الجمارك فتح الصندوق ، ولكنه رفض عارضاً دفع الرسوم الجمركية . فقالوا له :

- "*لا بدّ أنك تحمل ثياباً فيه* " . فعرض إبراهيم عليهم دفع الرسوم المترتبة على الثياب .

- "*كلا ، إنه ذهبٌ ذلك الذي تريد إدخاله* " . فعرض إبراهيم عليهم دفع الرَسْم المفروض على الذهب . فقالوا:

- "*إنه حرير نفيس أو على الأرجح هي لآلئ تلك التي تُخفيها* " ، فأبدى إبراهيم استعداده لدفع رسوم الأصناف التي ذكروها. وبعد طول أخذ وردّ ، ومع اصرار الموظفين المصريين، فتح إبراهيم الصندوق ؛ وما أن قام بذلك حتى شعشعت أرض مصر بكاملها بالنورمن جمال وحُسن سارة .

**Rabba Bereshith**

- كان هناك أربع نساء جميلات في العالم - سارة **(زوجة إبراهيم)** ، أبيجايل **(زوجة سليمان)** ، راحاب **(مومس ساعدت يشوع على احتلال أريحا)** ، أستير **(زوجة الملك أحشويروش التي أنقذت اليهود في بلاد فارس)**. ويسأل توزيفوس **:** " *لمَ لمْ تُعدّ حواء من بين هؤلاء الجميلات ، رغم أن سارة ، مقارنة مع حواء ، كانت كالقرد مقارنة بالإنسان* ؟ " . وكان الجواب **:** "*التعداد هنا لمن وُلدَ من امرأة فقط* ".

**Meggilah**

**<u>الجرائم والعقوبات</u>**

- قُررّت المحكمة التلمودية **(بيت دين** Beit Din**)** أربع طرق لعقوبة الإعدام ، وهي على التوالي **(من العقوبة الأشد إلى الأقل شدة) :** الرجم بالحجارة ، الحَرْق ، قطع الرأس **(بالسيف)** ، الشنق . أما الحاخام شيمون فصنّفها على النحو التالي **:** الحرق ، الرجم ، الشنق وأخيراً قطع الرأس .

**Sanhedrin**

**<u>الأمراض</u>**

- من يأكل اللفت مع لحم البقر وينام في الهواء الطلق في الرابع أو الخامس عشر من أشهر الصيف **(أي عندما يكون القمر بدراً وفق التقويم العبري )** ، فسيصاب غالباً بمرض البرداء.

**Gittin**

- يقول الحاخام يهودا إنه من المألوف لدى أوائل الأتقياء إصابتهم لما يقرب من عشرين يوماً بالإسهال قبل موتهم . وتأثير ذلك أن الإسهال كان ينظفهم ويطهّرهم استعداداً لدخول العالم الآخر ، ذلك لأنه قيل **:** " *البوتقة لتنقية الفضة والأتون لتمحيص الذهب ، والإنسان يُحكم عليه بموقفه*." **( سفر الأمثال 27: 21 )**

**Semachoth,**

- الموت الناجم عن الإسهال نذيرٌ جيد ؛ ذلك أن معظم الأتقياء ماتوا من تلك العلّة .

**Kethuboth**

- **(العلاج)** حُمى الملاريا ، خُذْ سبع حبات عنب صغيرة من سبعة كروم مختلفة ؛ سبعة خيوط من سبع قطع مختلفة من القماش ؛ سبعة مسامير من سبعة جسور مختلفة ؛ سبع حفنات رماد من سبعة مواقد مختلفة ؛ سبعة مقادير صغيرة من قار سبعة سفن ، بمقدار واحد من كل سفينة ؛ سبع عيّنات من الغبار من ممرّات عديدة مختلفة ؛ سبع بذور كمون ؛ سبع شعرات من الفك السفلي لكلب . ضَعهمْ جميعاً في **(صرّة) من** ورقة بُرْدى وأربطهم فوق حلقك .

**Shabbath**

**<u>متفرقات من أقوال فقهاء التلمود</u>**

يذكر سفر التكوين 7 :10 : "*وما إنِ انقضت الأيام السبعة حتى فاضت المياه على الأرض*" ، والسؤال هو لماذا تأخر الطوفان مدة سبعة أيام ؟ **(بعد دخول نوح وأهل بيته الفُلك)** . يقول فقيه تلمودي إن سبب ذلك هو أن الأيام السبعة تلك كانت أيام حداد على موت متوشلخ **(ابن النبي إدريس)** ، وهذه حكمةٌ لنا بأن الحداد على الصالحين يؤخّرُ الكوارث . وهناك تفسير آخر بأن الربّ المُقدّس - تباركَ اسمهُ ! - قد غيّرَ مسار الطبيعة أثناء الأيام السبعة تلك ، بحيث أن الشمس قد أشرقت من الغرب وغربت من الشرق.

**Sanhedrin**

- تبلغ مساحة مصر 60/1 من مساحة أثيوبيا ، ومساحة أثيوبيا 60/1 من مساحة العالم ، ومساحة العالم تساوي 60/1 من مساحة " جنّة عدن " ؛ ولكن الجنة بحدّ ذاتها تساوي 60/1 من عدن والتي تبلغ مساحتها 60/1 من مساحة جهنّم. وهكذا فالعالم منسوباً إلى جهنم لا يزيد عن مساحة الغطاء بالنسبة للمِرجَل .

**P'sachim**

- عندما كانت تفتحُ أبواب الهيكل ، كان صَرير' مُفصّلاتها ' يُسمعُ حتى مسافة ثمانية ' أيام سبت '

**(تقارب هذه المسافة العشرة أميال أو16 كيلومتراً)**

**----------Yom**

**- <u>جون كيتّو</u> (1804-1854) : كاتب إنجليزي متخصص في العلوم اللاهوتية . ألّف العديد من الكتب من بينها كتاب " *فلسطين : تاريخ الأرض المقدسة في العهد القديم* " ، الصادر في عام 1841 ، والذي نقتبس منه ما جاء من مغالطات الحاخامات التلموديين حول العملاق التوراتي عُوَج (Og) (آخر الْجبابِرة الرّفائيّين) . فرغم أن التوراة (سفر التثنية 11:3) تبيّن أن طول سريره كان تسع أَذرُع (نحو أربعة أَمتَار ونصف الْمتر) وعرضه أَربع أذرع ( نحو مترين) ، يروي الكاتب ما قيل في التلمود حول حجم العملاق نفسه :**

***Palestine:The Bible History of the Holy Land*** **by Kitto, J., London: Knight,1841**

" لقد قيل العديد من الأمور عن عُوج عندما كان مع **(النبي)** إبراهيم . ويكفي ذكر ما يلي **:** ' كان طول أخمص قدمه أربعين ميلاً . وذات مرة ارتجف **(عوج)** غضباً ، بعد توبيخ إبراهيم له ، بحيث أنه أسقط أحد أسنانه . وقد صنع إبراهيم لنفسه هيكل سرير من هذا السن ، وكان يتمدّد وينام عليه بعد ذلك . ومع ذلك ، تختلف بعض المرجعيات **(التلمودية)** بعض الشيء حول هذه النقطة ، إذ يزعم البعض أنه صنع من سنّ عوج كرسياً مريحاً واستخدمه لوحده بقية حياته .... ' .

**-** وفي جزء نيدّا Nidda **( من التلمود)** نقرأ الفقرة التالية : " قال أبّا **(أي الأب)** شاؤول ، أو إذا أردتم ، الحاخام يوهانان ' *كنتُ حفاراً للقبور ، وحدث ذات مرة أني كنت أطارد آيلاً ، ففرّ مني في آخر المطاف إلى داخل عظمة . فولجتُ خلفه داخل العظمة وتبعته لمسافة ثلاثة أميال ولم أتمكّن من إدراكه ، كما لم أتمكّن من رؤية نهاية العظمة ؛ إثر ذلك عدّت من حيث أتيت . وقد قيل إن هذه كانت عظمة قصبة عُوَج ، ملك باشان* ' "

**-** وحَدثَ أن الشرير عُوج رأى مخيّم بني إسرائيل ، المُمتدّ مسافة ستة أميال طولاً . فقال لنفسه **:** ' *سأودي بهؤلاء إلى فوضى ، بحيث لا يمكنهم التعامل معي كما تعاملوا مع سيحون* **( ملك الأَموريّينَ)** ' . إثر ذلك ذهب عُوج واقتلع تلّةً مداها ستة أميال ووضعها فوق رأسه تمهيداً لرميها عليهم . إلا أن الربّ أمر الحشرات بالمجيء إلى التلة وفَتْح حفرة فوق رأسه ؛ فكان أن طوّقت الحفرة كامل الرأس . وعندما حاول رمي التلة عليهم ، لم يتمكّن ذلك أن أسنانه نمَتْ وثبّتتْ أطراف الحفرة المُحيطة برأسه . إثر ذلك جاء **(النبي)** موسى ( وكان طوله عشر أذرع ) ، حاملاً فأساً طولها عشر أذرع ، وقفز في الهواء عشر أذرع وضرب عُوج على كاحله ، فهوى الجبّار ومات **"** .

عُوج " كان طول أخمص قدمه أربعين ميلاً **!!** "

---

**- <u>بولتني بيغيلو</u>** (1855 – 1954) : **كاتب وصحافي ورحَالة أمريكي من مدينة نيويورك . عمل مراسلاً لصحيفة التايمز اللندنية وبلغت مؤلفاته الأحد عشر . المقطع التالي مقتبس من مقالة له نشرها عام** 1894**، في مجلة هاربر الثقافية الأمريكية ، تحت عنوان " الروسي ويهوديهِ" . يحذَر بيغيلو ، على لسان صديقه الروسي ، من الفارق الحضاري والأخلاقي بين يهود اسبانيا ويهود روسيا القيصرية * . وجاءت مقالته المُطوَلة هذه في الفترة التي بدأ فيها اجتياح مئات الألوف من مهاجري يهود روسيا العالمين الأوروبي والأمريكي .**

***THE RUSSIAN AND HIS JEW* . BY BIGELOW, P. , Harper's Magazine March 1894, VOL. LXXXVIII- No. 526.**

* (كانت روسيا القيصرية أو الإمبراطورية الروسية تضمَ آنذاك ما كان يعرف بالكومنويلث البولندي ويشمل كلاً من بولندا وليتوانيا وبلاروسيا ولاتفيا وأجزاءً من أوكرانيا وغيرها )

لقد لفتَ صديقي الروسي انتباهي ، وهو الشخص المُلِم جيداً بتاريخ اليهود ووضعهم الحالي في روسيا القيصرية ، الفارق الكبير بين يهود روسيا [ الأشكيناز] - حاملي شعار معاداة السامية - و إخوتهم في الدين [السِفارديم] الذين أُبعدوا عن اسبانيا في الفترة التي اكتشف فيها كولومبوس أمريكا .فيهود إسبانيا الذين طردهم فرديناند وإيزابيلا من ذلك البلد ، كانوا نسبياً على قدر عالٍ من التطور الفكري والمادي . ففي العصر الذي سادت فيه خرافات رجال الدين ، كان يهود إسبانيا بارزين في العديد من العلوم . ومُتمتَعين عبر أجيال بصلات لأناس رفيعي المستوى ومتشربين بالروح الفنية . وقد قاد التعصب الديني القصير النظر ، الذي أبعدهم إلى أصقاع العالم ، إلى التعاطف معهم والتوَق إلى معارفهم ، وبخاصة في العلوم الطبيعية ، الأمر الذي غفر لهم نزعتهم وميلهم لجني الأموال . وإضافة لذلك ، لم يتَجه هؤلاء اللاجئون إلى بلد واحد ، بل توزعوا تقريباً في كل بلدان أوروبا الغربية ، وبخاصة إيطاليا وإنجلترا وهولندا وفرنسا وجنوب ألمانيا . وعلى الرغم من تفجر بعض الأعمال العدائية ضدهم بين الفينة والأخرى ، فقد ازدهروا وأخذوا شيئاً فشيئاً طابع المجتمع الذي انتقلوا إليه وفقدوا مع الوقت بعض الصفات الغريبة ، التي تتجلى بوضوح لدى يهود روسيا [ الأشكيناز] . فاليهودي القادم في هذه الأيام من الحدود الروسية إلى برلين أو بودابست ، لا يمثل ، بأي حال من الأحوال ، شخصاً متعلماً أو يمتلك مهارة خاصة ، يحسدهُ عليها الأشخاص الذين استقر بينهم . فهو يمثِل بالنسبة لهم شخصاً جشعاً مجرَداً من أي مبدأ أخلاقي ومخادعاً ببراعة متناهية - شخصٌ هدفه في الحياة إخضاع أي شيء مقابل تفوقه المادي .

---

**- <u>لودفيج أوغوست فرانكل</u> ( 1810- 1894 ) : مؤلف وشاعر وطبيب يهودي من بوهيميا/النمسا له العديد من الكتب والمؤلفات . زار فلسطين في العام 1856 ، وسجل انطباعاته عن اليهود فيها ، في كتابه باللغة الألمانية " إلى جِروزالم " 1858. في عام 1862 تمت مراجعه لكتابه في مجلد " نورث أميريكان ريفيو " العدد 95 ، وتحت عنوان " اليهود في فلسطين " . في هذا المقطع ، ينتقد فرانكل اليهود الأشكيناز و يبدي ملاحظاته حول الكراهية المتبادلة بينهم وبين السيفارديم ، كما يعدد تباينهم الحضاري .**

***THE JEWS IN PALESTINE*. by LUDWIG AUGUST FBANKL . THE NORTH AMERICAN REVIEW , VOL. XCV. BOSTON , CROSBY AND NICHOLS, 1862. P. 331**

يتوزَع اليهود [في فلسطين] بشكل عام بين " السِفارديم " و " الأشكيناز" ، أو بالأحرى بين سلالة يهود الجنوب وسلالة يهود الشمال . فالسيفارديم يتحدَرون عموماً من السلالة التي طُردت من إسبانيا [يهود الجنوب] ، في فترة اضطهاد العصور الوسطى ، ووجدوا ملاذاً لهم في السلطنة التركية ؛ يستخدم هؤلاء اللغة الإسبانية في تواصلهم مع بعضهم البعض . أما الأشكيناز [يهود

الشمال] ، الذين نأوا بأنفسهم عن إخوتهم السِفارديم ، قبل ثلاثين أو أربعين سنة ، فيستخدمون في أحاديثهم لغة ألمانية شعبية مُحرَفة [ تدعى يدَيش Yiddish ] . وعلاوة على ذلك ، انقسم الأشكيناز إلى ست طوائف مختلفة تُعادي أيضاً بعضها البعض . وهذه الطوائف الألمانية ، وغالبيتهم من الروس والهنغار والمُلافيين والبوهيميين ، يتَحِدون فقط في عدائهم المُشترك لإخوتهم يهود إسبانيا والمشرق .

لا يراعي الأشكيناز تعليم أطفالهم ؛ وفي الحقيقة ، فهم لا يرغبون أو يهتمون في مسألة التعليم . إذ يقتصر نظامهم التعليمي بمجمله على حفظ فقرات من التلمود عن ظهر الغيب ، وهو المرجع الحقيقي لجميع معارفهم الدينية . وليس لدى الأشكيناز أي فكرة حقيقية عن الجغرافيا ، كما أنهم جاهلون تماماً بالحقائق العلمية العامة . فعندما ذكَرَ (الدكتور فرانكل) لأحد الحاخامات المشهود له بالعلم والمعرفة ، أنه يتوقع الوصول من القدس إلى جبلي جرزيم وعيبال [القريبين من نابلس] في اليوم التالي ، قُوبل بردَ الحاخام المُندهش : " ألا يبعد هذان الجبلان مسافة ألف ميل عن القدس ؟ " . حاخام آخر لم يكن يعرف في أي بقعة من الأرض يقيم هو فيها ، أو أن هناك بقعة من بقاع الأرض تدعى أوروبا . كما بيَن أن أحد المدراء تعلم الكتابة بالأحرف العبرية فقط بعد أن تقدم به العمر وعندما دعته الضرورة لتوقيع وثائق رسمية .

وتتمثَلُ السمة الأكثر تميزاً للحياة اليهودية في القدس في كراهية طوائفها لبعضها البعض . فالأشكيناز ينددون بالسِفارديم ويصفونهم بالجهلة والمُلحدين والعاجزين . وفي المقابل ، يتَهم السِفارديم الأشكيناز بالنفاق والحقد وقلة التقوى .

هناك فروقات واضحة في المظهر الخارجي وفي السلوك بين هاتين الطائفتين . فثياب السِفارديم فضفاضة وجميلة ؛ ومشيتهم مُتمهَلة. وعلى العكس منهم ، فإن الأشكيناز سريعو الحركة ، رؤوسهم محنيَة إلى الأمام وعيونهم تتحرك من جهة لأخرى ؛ وهم يتكلمون بحدَة وبنبرة تتسمُ بالريبة ونفاذ الصبر، ويرتدون ثياباً خشنة بشعة وقذرة . وتتجلى كراهية الطوائف اليهودية عند دفن موتاها . فخلال سنين قليلة ، عمدت هذه الطوائف إلى فصل مدافن موتاها عن بعضها البعض .

---

**- <u>تشارلز إمانويل</u> : سكرتير ومحامي لجنة مندوبي يهود بريطانيا ( والمعروف عموماً باسم مجلس المندوبين اليهود ) . أصدر في عام 1910 مُلخّصاً لجلسات المجلس مابين الأعوام** 1760 و1910 **يحمل عنوان " *قرن ونصف القرن من التاريخ اليهودي* " . فيما يلي يرصد إمانويل جذور النزاع بين طائفتين من يهود بريطانيا ؛ السفارديم (المُتحدّرين من البرتغال وإسبانيا ) والأشكيناز ( المُتحدّرين من دول أوروبا الشرقية وألمانيا)**

***A Century and a Half of Jewish History*** **by Emanuel,C. , London: Geokge 1910.**

**<u>السفارديم والأشكيناز</u>**

في هذا العام **(في عام** 1802**)** ، نشب نزاع بين الطائفتين ، حيث رفض **(السفارديم)** البرتغاليون مشاركة **(الأشكيناز)** الألمان في تقديم طلب إلى البرلمان **(البريطاني)** . وذهبوا أبعد من ذلك من خلال تنبيه محاميهم باتخاذ كافة الاحتياطات لضمان عدم ارتباط اسمهم مع الألمان بهذا الشأن . وقد أعدّ البرتغاليون الوثيقة التالية لتوضيح أسباب الانشقاق القائم بين هاتين الجماعتين سواءً في كُنُسهم أو في مؤسساتهم .

- كان يهود اسبانيا والبرتغال أول من استوطن في هذا البلد في عهد تشارلز الثاني (1630-1685) ؛ وحتى يتمكنوا من تأمين متطلبات إخوتهم الفقراء ، طالبي اللجوء إلى بريطانيا هرباً من الاضطهاد في اسبانيا والبرتغال ، فقد شكلوا مؤسسات خيرية متنوعة لهذا الهدف المجيد ، إضافة إلى مستشفى ومدارس للفقراء منهم إلخ.. . هذه المؤسسات لا تزال قائمة وهي كافية وتفي بمتطلبات جماعتهم . ومع مرور الوقت ، تأثر يهود ألمانيا بودّ وكرم هذه الحكومة **(البريطانية)** ، فالتجأوا إلى هذا البلد. إلا أن يهود اسبانيا والبرتغال ويهود ألمانيا كانوا دوماً يعتبرون بعضهم البعض جسمين منفصلين ومتمايزين ( وهم فعلاً كذلك) .

- أولاً ، إن المؤسسات الخيرية التي أقامها اليهود الإسبان والبرتغاليون كانت موجّهة حصراً لمساعدة إخوتهم ، الذين فروا من الاضطهاد المشار إليه **(محاكم التفتيش)** أو الذين أصيبوا بسوء الحظ ، وليس بهدف تشجيع المغامرين من يهود ألمانيا وهولندا وبولندا .

- وثانياً ، تختلف الطقوس والعادات ليهود ألمانيا كثيراً عن مثيلاتها البرتغالية ، ولهذا فقد أنشأوا بين وقت وآخر كُنُسهم المختلفة لممارسة شعائرهم الغريبة . إضافة إلى أن لفظهم أو لغتهم العبرية العامية تختلف كثيراً عن البرتغالية **(لغة اللادينو الإسبانية مقابل اليديشية الألمانية)** وهذا ما يجعل من المستحيل تلاوة الصلاة مع بعض. كل ذلك يساهم في جعلهما جماعتين متمايزتين سياسياً وليس دينياً) .

- وإضافة إلى ما تقدم ، فهناك سبب آخر يجعل من مصلحة يهود اسبانيا والبرتغال الحفاظ على أنفسهم كمجموعة متمايزة وذلك لأنهم بسبب عدم زيادة أعدادهم ، فقد بقيت مؤسساتهم تفي بمتطلباتهم . في حين أن اليهود الألمان قد زادت أعدادهم في الخمسين سنة الفائتة بشكل مذهل . لقد جاؤوا من مختلف أنحاء ألمانيا ، وغالباً من شريحة فقيرة . وبالتالي ، فإن فقراءهم ليسوا في وضع يكافئ الفقراء البرتغاليين . فهؤلاء لديهم مؤسسات مناسبة تؤمن لهم ما يلزم ، أما الآخرون فليس لديهم شيء ويريدون كل شيء . ومن يرغب بمزيد من المعلومات والملاحظات حول الموضوع والمتعلق باليهود ، فليراجع **(كتاب)** شرطة العاصمة لباتريك كولكهاون * .

مما سبق ، يفهم بشكل واضح لماذا يهتم اليهود البرتغاليون ويستخدمون جميع الوسائل التي تتيحها العدالة والعقل لهم في متابعة اعتبارهم جسماً منفصلاً ومتمايزاً عن الألمان . ولهذه الأسباب لا يرغب يهود البرتغال أن يرتبط اسمهم مع يهود ألمانيا في عريضة الاسترحام المقدمة منهم إلى مجلس العموم .

*** باتريك كولكهاون (1745-1820) مسؤول قضائي اسكوتلندي عمل في عدد من المقاطعات البريطانية وأسس أول منظومة شرطة وقائية في إنجلترا . يتحدث في كتابه " بحث حول شرطة**

**العاصمة " عن أنواع الجرائم والجنح المرتكبة في لندن وأصحابها والطرق الوقائية لمكافحتها ، ومن بينها أوضاع اليهود في المدينة .**

***A Treatise on the Police of the Metropolis*** **by Colquhoun, P., London: Baldwin ,1800.**

تتراوح أعداد اليهود الألمان والهولنديين **(الأشكيناز)** ، بما فيهم يهود بولندا وروسيا وتركيا ، ما بين 12 إلى 15 ألفاً ولهم ستة كُنُس في لندن . وإذا استثنينا ثلاثة إلى أربعة أغنياء وبعض الأسر الأخرى ، يشكل هؤلاء شريحة معوزة وفقيرة جداً ، تنتشر بينها الجرائم إلى حد كبير . لقد اكتسب اليهود الألمان والهولنديين عادات هي الأكثر اذى وبغضاً يمكن تصورها في المجتمع . فلديهم ارتباطات في العديد من المدن التجارية الكبرى وموانئ المملكة . وبالتالي فقد أصبحوا من أوجه عدة الأدوات التي تنتقل عبرها البضائع المسروقة من وإلى العاصمة . وبما أن وجودهم وحياتهم ترتبطان بهذه التجارة الشائنة ، فهم يُبقونَ على منظومة من الخداع والنهب ، الذي لربما تولّد نتيجة وضعهم الغريب في المجتمع أكثر من مزاجهم الفعلي لاتباع مثل هذه الممارسات الشائنة .

وهناك شريحة غنية ومحترمة أخرى من اليهود تنتمي إلى الكنيس البرتغالي **(سفارديم)** لا تتعامل مع الشرائح اليهودية الأخرى ولا تتزاوج مع اليهود التابعين للكنيس الهولندي . لهذه الطائفة طقوس دينية مغايرة وحتى أن لغتها مختلفة **(الإسبانية اليهودية أو اللادينو)** . لا يتجاوز أعداد هؤلاء الثلاثة آلاف . ونظراً لرعاية أغنيائهم لفقراء طائفتهم ، فيقال إنه لا يوجد بينهم متسول أو متسكع واحد . ويتفاخر **هؤلاء** بسلالتهم وبنسبهم ، ويقدمون لأولادهم أفضل التعليم في البلدان التي يعيشون فيها .

---

**- <u>تيودور بينغام</u> ( 1858-1934) : جنرال أمريكي شغل منصب مفوض شرطة نيويورك ما بين الأعوام 1906 – 1909 . في شهر أيلول/سبتمبر،1908 نشر بينغام مقالاً في مجلة " نورث**

**أميريكان ريفيو " تحت عنوان " المجرمون الأجانب في نيويورك " أشار فيه بإصبع الاتهام في تنامي الجريمة إلى الجالية العبرانية الروسية أولاً ( يهود أوروبا الشرقية) ثمَ على الإيطاليين . وكان أن تدخَل اللوبي اليهودي النافذ لدى حاكم نيويورك ، الأمر الذي أدى إلى تقديم الجنرال استقالته من منصبه * .**

***Foreign Criminals in New York*. by Bingham,T.A., The North American Review. , vol. CLXXXIII. no. 634.,1908. &**
***Chicago Tribune ,13 September,1908**

يقول الجنرال في مقالته :

عندما نأخذ بالحسبان حقيقة أن ثمانين بالمائة من سكان مدينة نيويورك مولودون إما خارج البلاد (أي مهاجرون) أو أن آباءهم أجانب ، فمن المنطقي أن نجد أن ما يقرب من خمسة وثمانون بالمئة من الجرائم في نيويورك قد ارتكبها الدُخلاء . وبالتالي فليس مستغرباً في مدينة يقطنها مليون عبراني ، غالبيتهم من روسيا ( ويشكلون ربع سكانها) ، أن يكون نصف الجرائم المرتكبة فيها من السلالة العبرانية ؛ وإذا أخذنا بعين الاعتبار جهل هؤلاء للغة البلد ، وبخاصة بين الرجال غير المؤهلين جسدياً للأعمال الصعبة والقاسية ، فهذا سيفضي بهم إلى ارتكاب الجرائم .

إن أغلب الجرائم المرتكبة من العبرانيين الروس مُوجَهة نحو المُلكيات . وتتمثل هذه الجرائم في عمليات السطو على المنازل وإشعال الحرائق والنشل ، والسلب في الطرقات إذا توفرت لديهم الجرأة لذلك ؛ إلا أن عمليات النشل هي الأكثر انتشاراً . وبالفعل ، فإن النشالين من الجنسيات الأخرى بدأوا يُقرَون بتفوَق العبرانيين الروس عليهم في هذا الفنَ الرفيع . وفي حالات عدة ظهرت مؤخراً ، شكَل عبراني وإيطالي مجموعة للنشل في الشوارع ؛ كان العبراني فيها الأداة الاحترافية للوصول إلى جيب الضحية ، أما الإيطالي فمهمته صَرف انتباه الضحية وتسهيل عمل حليفه العبراني ، أو افتعال مشاجرة إذا ما تم اكتشاف عملية النشل وملاحقة الفاعل . ويعتبر الصبية العبرانيون مِمَن هم دون السادسة عشر من العمر، ومِمَن تربوا على التعيَش من الجريمة ، من أهم خبراء النشل في الشوارع .

* بتاريخ 13 أيلول/سبتمبر 1908 ، جاء في صحيفة " شيكاغو ترايبون " العنوان التالي ، نقلاً عن مكتبها في نيويورك :

**بينغام مغادراً تحت ضغط اليهود : تهجَم مفوض الشرطة على العبرانيين قد تُجبره على الاستقالة**

... لقد أثارت مقالة ، كتبها مفوض الشرطة بينغام في مجلة " نورث أميريكان ريفيو " ، والتي أوضح بينغام فيها إن 50 بالمئة من مجرمي نيويورك هم من اليهود ، العديد من مشاهير يهود نيويورك ..

وذُكر أن المفوض بينغام قد قطع إجازته وعاد إلى نيويورك للتشاور مع عمدتها ماك كليلان . وصرَح مركز قيادة الشرطة إن المفوض بينغام سيعود اليوم إلى مكتبه يوم الثلاثاء ، إلا أن المركز أعلن بعد بضع ساعات من ذلك بأنه قد استقال . ويقال إن الضغط السياسي كان له الأثر الأكبر على عمدة نيويورك ماك كليلان . فهناك مالا يقل على 100000 صوت يهودي [انتخابي] في نيويورك .

---

**- <u>لودفيج أوغوست فرانكل</u> ( 1810- 1894 ) : مؤلف وشاعر وطبيب يهودي من بوهيميا/النمسا له العديد من الكتب والمؤلفات . زار فلسطين في العام 1856 ، وسجل انطباعاته عن اليهود فيها ، في كتابه باللغة الألمانية " إلى جِروزالم " 1858. في عام 1862 تمت مراجعه لكتابه في مجلد " نورث أميريكان ريفيو " العدد 95 ، وتحت عنوان " اليهود في فلسطين " . في هذا المقطع ، ينتقد فرانكل اليهود الأشكيناز ويبدي ملاحظاته حول الكراهية المتبادلة بينهم وبين السيفارديم ، كما يعدد تباينهم الحضاري .**

***THE Jews in Palestine*. by Frankle, L.A., The North American Review, Vol. XCV. Boston , Crosby and Nichols, 1862. P. 331.**

يتوزَع اليهود [في فلسطين] بشكل عام بين " السِفارديم " و " الأشكيناز" ، أو بالأحرى بين سلالة يهود الجنوب وسلالة يهود الشمال . فالسيفارديم يتحدَرون عموماً من السلالة التي طُردت من

إسبانيا [يهود الجنوب] ، في فترة اضطهاد العصور الوسطى ، ووجدوا ملاذاً لهم في السلطنة التركية ؛ يستخدم هؤلاء اللغة الإسبانية في تواصلهم مع بعضهم البعض . أما الأشكيناز [يهود الشمال] ، الذين نأوا بأنفسهم عن إخوتهم السِفارديم ، قبل ثلاثين أو أربعين سنة ، فيستخدمون في أحاديثهم لغة ألمانية شعبية مُحرَفة [ تدعى يدَيش Yiddish ] . وعلاوة على ذلك ، انقسم الأشكيناز إلى ست طوائف مختلفة تُعادي أيضاً بعضها البعض . وهذه الطوائف الألمانية ، وغالبيتهم من الروس والهنغار والمُلافيين والبوهيميين ، يتَحِدون فقط في عدائهم المُشترك لإخوتهم يهود إسبانيا والمشرق .

لا يراعي الأشكيناز تعليم أطفالهم ؛ وفي الحقيقة ، فهم لا يرغبون أو يهتمون في مسألة التعليم . إذ يقتصر نظامهم التعليمي بمجمله على حفظ فقرات من التلمود عن ظهر الغيب ، وهو المرجع الحقيقي لجميع معارفهم الدينية . وليس لدى الأشكيناز أي فكرة حقيقية عن الجغرافيا ، كما أنهم جاهلون تماماً بالحقائق العلمية العامة . فعندما ذكَرَ (الدكتور فرانكل) لأحد الحاخامات المشهود له بالعلم والمعرفة ، أنه يتوقع الوصول من القدس إلى جبلي جرزيم وعيبال [القريبين من نابلس] في اليوم التالي ، قُوبل بردَ الحاخام المُندهش : " ألا يبعد هذان الجبلان مسافة ألف ميل عن القدس ؟ " . حاخام آخر لم يكن يعرف في أي بقعة من الأرض يقيم هو فيها ، أو أن هناك بقعة من بقاع الأرض تدعى أوروبا . كما بيَن أن أحد المدراء تعلم الكتابة بالأحرف العبرية فقط بعد أن تقدم به العمر وعندما دعته الضرورة لتوقيع وثائق رسمية .

وتتمثَلُ السمة الأكثر تميزاً للحياة اليهودية في القدس في كراهية طوائفها لبعضها البعض . فالأشكيناز ينددون بالسِفارديم ويصفونهم بالجهلة والمُلحدين والعاجزين . وفي المقابل ، يتَهم السِفارديم الأشكيناز بالنفاق والحقد وقلة التقوى .

هناك فروقات واضحة في المظهر الخارجي وفي السلوك بين هاتين الطائفتين . فثياب السِفارديم فضفاضة وجميلة ؛ ومشيتهم مُتمهَلة . وعلى العكس منهم ، فإن الأشكيناز سريعو الحركة ، رؤوسهم محنيَة إلى الأمام وعيونهم تتحرك من جهة لأخرى ؛ وهم يتكلمون بحدَة وبنبرة تتسمُ بالريبة ونفاذ الصبر ، ويرتدون ثياباً خشنة بشعة وقذرة . وتتجلى كراهية الطوائف اليهودية عند دفن موتاها . فخلال سنين قليلة ، عمدت هذه الطوائف إلى فصل مدافن موتاها عن بعضها البعض .

---

**- <u>بولتني بيغيلو</u> (1855 – 1954) : كاتب وصحافي ورحَالة أمريكي من مدينة نيويورك . عمل مراسلاً لصحيفة التايمز اللندنية وبلغت مؤلفاته الأحد عشر . المقطع التالي مقتبس من مقالة له نشرها عام 1894، في مجلة هاربر الثقافية الأمريكية ، تحت عنوان " الروسي ويهوديهِ " . يحذَر بيغيلو ، على لسان صديقه الروسي ، الفارق الحضاري والأخلاقي بين يهود اسبانيا ويهود روسيا القيصرية * . وجاءت مقالته المُطوَلة هذه في الفترة التي بدأ فيها اجتياح مئات الألوف من مهاجري يهود روسيا العالمين الأوروبي والأمريكي .**

***THE Russian and His Jew.*** **By Bigelow, P. , Harper's Magazine, March 1894, Vol. LXXXVIII- No. 526.**

* (كانت روسيا القيصرية أو الإمبراطورية الروسية تضمَ آنذاك ما كان يعرف بالكومنولث البولندي ويشمل كلاً من بولندا وليتوانيا وبلاروسيا ولاتفيا وأجزاءً من أوكرانيا وغيرها )

لقد لفتَ صديقي الروسي انتباهي ، وهو الشخص المُلِم جيداً بتاريخ اليهود ووضعهم الحالي في روسيا القيصرية ، الفارق الكبير بين يهود روسيا [ الأشكيناز] - حاملي شعار معاداة السامية - وإخوتهم في الدين [السِفارديم] الذين أُبعدوا عن اسبانيا في الفترة التي اكتشف فيها كولومبوس أمريكا .

فيهود إسبانيا الذين طردهم فرديناند وإيزابيلا من ذلك البلد ، كانوا نسبياً على قدر عالٍ من التطور الفكري والمادي . ففي العصر الذي سادت فيه خرافات رجال الدين ، كان يهود إسبانيا بارزين في العديد من العلوم . ومُتمتَعين عبر أجيال بصلات لأناس رفيعي المستوى ومتشربين بالروح الفنية . وقد قاد التعصب الديني القصير النظر ، الذي أبعدهم إلى أصقاع العالم ، إلى التعاطف معهم والتوَق إلى معارفهم ، وبخاصة في العلوم الطبيعية ، الأمر الذي غفر لهم نزعتهم وميلهم لجني الأموال . وإضافة لذلك ، لم يتَجه هؤلاء اللاجئون إلى بلد واحد ، بل توزعوا تقريباً في كل بلدان أوروبا الغربية ، وبخاصة إيطاليا وإنجلترا وهولندا وفرنسا وجنوب ألمانيا . وعلى الرغم من تفجر بعض الأعمال العدائية ضدهم بين الفينة والأخرى ، فقد ازدهروا وأخذوا شيئاً فشيئاً طابع المجتمع الذي انتقلوا إليه وفقدوا مع الوقت بعض الصفات الغريبة ، التي تتجلى بوضوح لدى يهود روسيا [ الأشكيناز] . فاليهودي القادم في هذه الأيام من الحدود الروسية إلى برلين أو بودابست ، لا يمثل ،

بأي حال من الأحوال ، شخصاً متعلماً أو يمتلك مهارة خاصة ، يحسدهُ عليها الأشخاص الذين استقر بينهم . فهو يمثِل بالنسبة لهم شخصاً جشعاً مجرَداً من أي مبدأ أخلاقي ومخادعاً ببراعة متناهية - شخصٌ هدفه في الحياة إخضاع أي شيء مقابل تفوقه المادي .

---

**- <u>ليوبولد كوهن و صامويل فرويدر</u> : المقتطفات التالية مختارة من كتابين صدرا في مطلع القرن العشرين . ورغم أن المُؤلفين لا يتمتعان بالشهرة أو السمعة العالية ، إلا أنهما يكشفان للقارئ الكثير عن الصراع اليهودي - اليهودي والمسيحي - اليهودي في تلك الفترة .**

**تعود جذور الكاتبين إلى يهود هنغاريا . ومن هنغاريا هاجرا إلى الولايات المتحدة ليصبحا بعد ذلك حاخامين بسبب عدم تمكنهما من ممارسة التجارة . الحاخام الأول ليوبولد كوهن الذي تحوّل إلى المسيحية بعد اكتشافه خللاً في نبوءة التلمود حول موعد مجيء المسيح ، وأصبح مبشّراً في إرسالية لهداية اليهود في نيويورك . وحول تجربته عن التحوّل بين الديانتين ومعاناته ألف كتابه " *قصة مبشّر معاصر لشعب غابر في القدم . إرسالية تبشيرية لمليوني يهودي في نيويورك الكبرى* " ، 1908 .**

**وفي المقابل ، تحوّل الهنغاري صامويل فرويدر إلى المسيحية بعد فترة من هجرته إلى الولايات المتحدة وتعّيينه كحاخام عام 1886 . وبعد سبعة عشر عاماً من عمله كمبشّر لهداية اليهود إلى الدين المسيحي ، أعلن عودته إلى دين آبائه ، مدّعياً أن من يتحول إلى المسيحية من إخوته في الدين هو من يريد الحصول على فوائد مادية . وفي كتابه " *عودة مبشّر إلى اليهودية . حقيقة الإرساليات التبشيرية المسيحية إلى اليهود* "، 1915 ، يتهجّم فرويدر على القسيس ليوبولد كوهن متهماً إياه بالنصب والاحتيال .**

***The Story of a Modern Missionary to an Ancient People: Missionary among the 2,000,000 Jews of Greater New York*** **by Cohen, L., American Board of Mission to the Jews ,1908**.

***A Missionary's Return to Judaism. The Truth about the Christian Missions to the Jews*** **by Freuder, S., New York: Sinai Publishing Company, 1915.**

يقول ليوبولد كوهن **:**

*" في هنغاريا حيث نشأتُ في بيئة يهودية أرثودوكسية ، ينظرُ اليهود إلى المسيحيين على أنهم وجه من أوجه الوثنية . فالكاثوليك يعرضون عاداتهم الوثنية على الملأ ، ساجدين على الطرقات العامة أمام الصلبان والصور ، وهي ممارسات يشمئز منها اليهود لكونها محظورة على بني إسرائيل ."*

**تلمود الحاخامات**

*" يتكوّن التلمود من ستين كتاباً تحتوي على جميع القوانين المدنية والكنسية بأعدادها الهائلة . فإحدى الوصايا العشر وهي " ستة أيام تعمل ... ، أما اليوم السّابع فتجعله سبتاً للرب إلهك " يشرحها الدكاترة التلموديون* **(أي فقهاء الحاخامات)** *في أربعمئة وستين باباً ، كل باب يحتوي ما بين ثمانية إلى عشرين قسماً . وكل هذا يعطي توجيهات دقيقة للتقيد بشعائر وحرمات يوم السبت التلمودي . ويعتقد اليهود أن هذه والآلاف العديدة من القواعد والوصايا التي وضعها الحكماء لها نفس قدسّية وإلزامية الوصايا العشر . فالتقاليد اليهودية تقول بأن التوراة* ***(كتب موسى الخمسة)*** *التي أمرت بني إسرائيل بوضعها كتابة هي فقط ' النص ' . أما التلمود فهو الشروحات التي وضعها الربّ في فم موسى على جبل سيناء . فعندما أعطى موسى الشريعة المكتوبة ، قدم أيضاً هذه الشريعة الشفهية إلى الناس الذين رددوها إلى أن ثبتت في ذاكرتهم ؛ وكل جيل نقلها إلى الجيل الذي*

*يليه حتى القرن الرابع الميلادي ، وهو القرن الذي تم فيه جمعُ الشرائع والخطب وكتابتها وإتمامها "*

.

**الاضطهاد**

*" عندما رأى وجهاء اليهود في* **(مدينة)** *براونسفيل الحضور الثابت والمضّطرد لإرساليتي التبشيرية ، أصبحوا أكثر قساوة وبدأوا بمضايقتي ومضايقة الحضور من اليهود . وقد حاولوا عدة مرات إلحاق أذى جسدياً بي ، ونجحوا في ذلك لمرة واحدة . ففي عصر أحد الأيام طُلبَ مني إحضار العهد الجديد* **(الإنجيل)** *باللغة العبرية إلى أحد المنازل . وما أن أنهيت المهمة حتى قام ربّ المنزل اليهودي ، وهو رجل ضخم وقوي ، بطرحي أرضاً وضربي بشدة بقبضتي يديه وبقدميه . ثمّ رفعني من كلتا أذني وأعاد طرحي أرضاً عدة مرات وهو يردد بالعبرية :* ' *هاتان الأذنان اللتان سمعتا في طور سيناء مقولة - لا يكنْ لك آلهة أُخرى سواي -* واللتان *تستمعان الآن إلى إله مسيحي ، يجب اقتلاعهما من رأسك* ' *. وكان يكرر هذه المقولة ويقرنُها بشدّ عنيف لا يحتمل لأذنيّ " .*

أمّا الحاخام صامويل فرويدر فيرد على القسيس كوهن بالقول :

إن هدفي الوحيد من ذكر هذا الشخص بالاسم هو رغبتي بتعريف الناس بحقيقته ، بحيث يفكر المسيحيون قبل تقديمهم المساعدات والتعاطف مع هذا الحاخام الدَعيْ الذي يجني الأموال عن طريق تجريد الرجال من أخلاقهم ، والذي يشتري البيوت بروايته الأكاذيب في بيت الله .

ولكونه حالة سيئة استثنائية للاحتيال والخبث في في هذه الحالة . فهو يقدّم نفسه على أنه ' الحاخام السابق ليوبولد كوهن ، المُهتدي إلى الدين المسيحي ' . وفي الواقع ، فهو ليس بحاخام سابق ولا هو بمُهتد - بالمفهوم الحقيقي للمسيحية - . وحتى اسمه الحقيقي ليس ليوبولد كوهين ، بل اكتسب هذا الاسم بعيد وصوله لهذا البلد **(أمريكا)** قبل عشرين عاماً . وكان العمل التبشيري ، فسأذكر اسمه في بلده القديم **(هنغاريا)** يعمل كقيّم على أحد الخانات/البارات .

ولعل من بين الحيل الدنيئة والبارعة التي تُعزى إلي ليوبولد كوهين ، تلك الحيلة التي يستخدمها في المناسبات الاجتماعية التي يرعاها في مَقرّه التبشيري . فبعد انتهاء التراتيل الدينية وتوزيع المُرطبات ، يُخبر ضيوفه المسيحيين المتواجدين إلى جانبه على المنصة ، بأن معظم الحاضرين هنا **(من اليهود)** قد آمنوا بيسوع المسيح **(عيسى بن مريم)** ، ولإثبات ذلك سيطلب من المؤمنين الجُدد الوقوف .

يتحوّل كوهين بعد ذلك إلى اليهود الحاضرين في الصالة طالباً منهم باللغة اليديشية Yiddish **(اللغة الرئيسية لليهود الأشكيناز والتي لا يعرفها الضيوف)** أن يقف كل من يشعر بالامتنان لكرم الضيافة في هذا الاجتماع . وبالطبع يقف الجميع .

ولا بد إزاء ذلك إلا أن يشعر الضيوف المسيحيون بالتأثر الشديد من الأعداد الكبيرة لليهود المُتحولين إلى المسيحية .

---

**- جرت الواقعة التالية عام 1880 في مدينة بورتلاند / أوريغون . وقد تمّ اقتباسها بتصرف من موقع مؤسسة تاريخ الأمريكيين - اليهود وتحت بند تاريخ "*اليهود في الغرب الأمريكي*** Jews in the Wild West" **، الصادرة عام** 2013 .

**حاخامات الغرب الأمريكي**

معركة بالمسدسات **!.** هل لكم أن تتخيلوا قتالاً بالمسدسات ما بين حاخام ورئيس أحد التجمّعات الدينية اليهودية حول أي من كتب الصلوات يجب استخدامه ؟ ففي مدينة بورتلاند بولاية أوريغون الأمريكية حدث مثل هذا القتال بين الحاخام موزيس ماي وأبراهام فالدمان ، وكلاهما من تجمّع طائفة congregation ' بيت إسرائيل ' . تأسس هذا التجمّع الديني في عام 1859 بقيادة عدد من القادة الدينيين قبل وصول الحاخام الشاب ماي . وكانت الصلوات المعتمدة في التجمّع ، تُتلى من كتاب ' مينهاغ أشكيناز' Minhag Ashkenaz وفق التعاليم اليهودية الأرثوذوكسية التقليدية . وقد رغب الحاخام الجديد ماي استخدام كتاب الصلوات ' مينهاغ أمريكا ' الأكثر حداثة بدلاً منه ، مما أدى إلى انقسام بين أعضاء التجمّع . واحتدم الجدل بين الحاخام ماي ورئيس التجمع ذو الميول

التقليدية أبراهام فالدمان لسنوات إلى أن انتهى الأمر بينهما إلى إطلاق الرصاص صباح الجمعة في الأول من شهر تشرين أول / أكتوبر ، 1880 ، أمام فندق إزموند ، حيث يقيم الرئيس **( الأمريكي التاسع عشر)** رذرفورد هايز، والذي كان في زيارة لمدينة بورتلاند .

فبينما كان الحاخام موزيس ماي يتحادث مع صديق له أمام الفندق ، تسلّل فالدمان من خلفه وأمسك بياقته ثمّ ضربه على عينيه وكسر نظارته . عندها استلّ الحاخام مسدسه من بين طيات ردائه الكهنوتي وأطلق بتهور على المُهاجم . أخطأت الرصاصة الأولى هدفها ، إلا أن الثانية ثقبت سترة فالدمان . وقد أمسك شخص آخر الخاحام ، قبل أن يُلقّم مسدسه ويطلقه مرة أخرى .

وقد غطت العديد من الصحف المحلّية هذه المعركة ؛ وعنونت صحيفة الديلي ستاندارد البورتلاندية الحادث **:** " *العلاقات الكهنوتية . كيف يخدم الحاخام ماي والأخ فالدمان الإله* " . أما صحيفة الديلي أوريغونيان فأوردت قصة الحاخام حامل السلاح قائلة **:** "*ولحسن الحظ ، لم تفعل الرصاصتان فعلهما ، فقد تدخّل المارة وفصلوا ما بين المتقاتلين ..* "

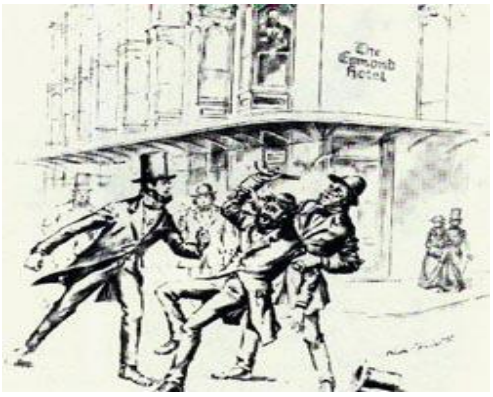

**هكذا يخدمُ الحاخامات الإله !**

---

**- موريس جاكوب رافال : حاخام سويدي المولد (1798 – 1868) ، انتقل إلى إنجلترا وعيّن كاهناً في كنيس ببرمنغهام . وفي عام 1849 ، سافر إلى الولايات المتحدة وعمل كداعية في إحدى كنس مانهاتّن بنيويورك . ومع بداية الاقتتال في الحرب الأهلية الأمريكية (1861 – 1865) لإنهاء العبودية في الولايات الجنوبية ، أعلن الحاخام رافال بكل وضوح موقفاً مؤيداً للرقّ والعبودية ومستنداً إلى تعاليم الديانة اليهودية ونصوص العهد القديم . وفي كُتيّبه ، الصادر عام 1861 ، بعنوان "*نظرة العهد القديم إلى العبودية* " برر الحاخام رافال فيه شرعية عبودية الزنوج الأفارقة من منطلق عرقي بحت ،أساسه أن سلالة حام ابن نوح - وهم الشعوب الإفريقية - ملعونون من الربّ . المقتطفات التالية من الكتيّب تعكس أهمّ أفكارالحاخام العنصرية تجاه الأفارقة والعرب .**

***The Bible View of Slavery* by Raphall ,M.J., New York City : Congreg. B'nai Jeshurun ,1861.**

من المؤكد أن أصل النزاع هو اختلاف الآراء المتعلقة بملكية العبيد . ملكية يشجبها طرف على أنها وقوع في الإثم - شأنها شأن معظم الذنوب الشائنة - فيما يعتبرها الطرف الآخر شرعية تماماً . إلاّ أن اعتبار ملكية العبيد هي إثم أمام الله ، تعود مسألتها إلى علماء اللاهوت . وقد طلبَ مني مواطنون بارزون من مذاهبَ أخرى أن أبحث هذه الأيام في نظرة العهد القديم لمسألة الرقيق والعبودية ، ذلك أن الفكر الديني في هذا البلد بحاجة إلى التنوير حول هذا الموضوع .

سيتوزع بحثي حول الموضوع على محاور ثلاثة .
المحور الأول : إلى أي زمن مضى يمكننا تتبعُ نشأة العبودية ؟
والمحور الثاني : هل اعتبرَ الكتاب المقدس مُلكية العبيد إثماً ؟
أما الثالث : فيبحث في أوضاع العبيد في الحُقب التوراتية القديمة وما بين أوساط العبرانيين .

- إذا ما راجعنا العهد القديم ، فسنجد كلمة Evved ‘عبد’ ، التي استعيض عنها في النسخة الإنجليزية منه بكلمة ‘خادم’ ، قد استخدمت لأول مرة من قبل ‘نوح’ ، حين لعن ابنه ‘حام’ وسلالته بقوله إنه Evved Avadim ‘ أي إنه عبد العبيد ‘ **(سفر التكوين** 25:9 . **ليكن كنعان ملعوناً ، وليكن عبد العبيد لإخوته)** . ويبرز السؤال الطبيعي هنا ، كيف عَرفَ نوح أي شيء عن العبودية رغم أنه لم يكن لديه عبيد ، ولم يكن على وجه الأرض أي مخلوق سواه وأولاده الثلاثة مع زوجاتهم وأولادهم وولدوا جميعاً متساوين وأحراراً ؟ وبالتالي ، يبدو جلياً أن كلمة عَبد وطبيعة

العبودية تعود إلى تاريخ يسبق الطوفان . فمن بين النبوءات المُتعددة التي يتضمّنها العهد القديم ، هناك ثلاث منها فريدة تشير إلى ثلاثة أعراق races أو مجموعات بشرية بارزة استمرت إلى يومنا هذا :

الأول منها هو العرق المحكوم عليه بالإجحاف من سُلالة حام ، وهو ' العرق الإفريقي '
والعرق الثاني هو الصفة التي تتميّز بها سُلالة إسماعيل ، وهم ' العرب ' .
أما العرق الثالث والأخير فهو العلامة التي وُعدنا بها لقومية مُستمرة لا تنكسر ، نحن ' الإسرائيليين ' **(من سلالة يعقوب)** .

ومن المشكوك فيه أن عربي الصحراء المُتعصّب قد سمع أصلاً بالنبوءة التي تقول بأنه ' *رجل وحشي يده تمتد ضد جميع الآخرين ويد جميع الآخرين ضده* ' ***(التكوين 12:16 ويكون إنساناً وحشياً يُعادي الجميع والجميع يُعادونه ، ويعيش مُستوحشاً مُتحدّياً كلّ إخوته)*** . إلا أننا وجميع الرجال المتعلمين نعلم أن هذه النبوءة قد تحققت حرفياً الآن وبلا انقطاع عبر الزمان . وحتى عندما اندفع أتباع محمد **(ص)** لنشر عقيدته - القرآن بيد والسيف باليد الأخرى - وأخضع العرب الجزء الأكبر من العالم القديم إلى إمبراطورية خلفائهم ، لم تتخل سلالة إسماعيل عن سماتها . ورغم المدنية المجيدة في القرن الحالي والاتصال المُتكرّر مع الرحّالة الغربيين ، بقيَ العربي رجلاً وحشياً إلى الآن . وهذا أكبر دليل مُقنع ودائم على مصداقية كلمات الإله .

ويمكننا أيضاً أن نكون واثقين من أن الإفريقي الجاهل ، المُؤمن بالتمائم والتعاويذ ، لا يعلمُ بنبوءة نوح ، التي لم تتحقق على نحو كامل أو أكثر شناعة إلا في موطن الإفريقي الأصلي .

وإنني أدرك تماماً ، أن منتقدي العهد القديم الناكرين للنبوءات - والمُسمّونَ بالعقلانيين - يؤكدون أن النبوءة التي تحدّثتُ عنها لم يُصرّح بها نوح إطلاقاً ، بل اختُلقتْ بعد قرون من قبَل كتبَة العهد القديم ، وذلك للتخفيف من وَقْع إبادة الكنعانيين ، الذين أخضَعَ الإسرائيليون أرضهم **(فلسطين)** .

لقد مَنحَ نوح بركته الروحية إلى ابنه سام (التكوين 26:9) .. وانتشرت بركتهُ بين سلالة سام ؛ ومنحَ نوح بركة مُؤقتة لابنه يافث (التكوين 27:9) ... بحيث أن سلالة يافث ، وهم الأوربيون وذريتهم ، قد توسعوا وباتوا يملكون أراض خاضعة لهم في كل أصقاع العالم . ولم يَمنحْ نوح أي بركة إلى ابنه حام ، بل أطلق على سلالته لعنة مريرة . وإلى يومنا هذا ، بقيت هذه حقيقة لا يمكن إنكارها ، فالزنجي (negro) المشؤوم ، سواءً في بلده الأصلي أو في أرجاء العام ، هو فعلاً

الأكثر وَضاعةً بين صنوف الرقيق . فقد قيل الكثير عن دونية ملَكاته الفكرية ؛ كما لم يُدرجْ قط رجل من عرقه في مَجْمَع العظماء ، سواءً من الناحية العقلية أو الأخلاقية !

- هل امتلاك العبيد يعتبر إثماً في الكتاب المقدّس ؟

في الواقع ، إننا نعيش في عصر لا يُستغرب فيه أي شيء ؛ فقد نُقلَ ، يوم الأحد الفائت ، عن أن أحد الواعظين البارزين قوله من على منبره : " *لقد أوفتْ مُتطلبات العهد القديم بأهدافها خلال التطوّر المادي والاجتماعي للبشرية . وفي مجال الدروس الأخلاقية المتعلقة بالأعراق ، لم تعُدْ الآن تلك المتطلبات ضرورية في ظلّ العقائد الأسمى* ***(للعهد)*** *الجديد* " .

وفي اعتقادي ، إن علينا بالأحرى أن نستمرّ في تلقي ' متطلبات الدروس الأخلاقية ' من موسى ومن الأنبياء بدل تلقيها من واعظ بروكلين المُفوّه (هنري وارْد بيشر Henry Ward Beecher) **( قسّ مُصلح وداعية لإلغاء الرقّ وعبودية الزنوج في مدينة بروكلين الأمريكية)** . ولأن هذا السيّد المُوقّر يتصدّر أولئك المُنددين ، بحماسهم المُتقد وبأصواتهم العالية ، بملكية العبيد ويعتبرها إثماً . وأريد أن أقنع نفسي فيما إذا كان هذا الواعظ يمتلكُ تفويضاً بذلك من العهد الجديد .

ففي معظم المناسبات المقدسة ، لم يعترف العهد القديم بمُلكية العبيد كجزء من البنية الاجتماعية فحَسبْ ، بل أمر في ' سبت الرب ' أن تُمنحَ الراحة للعبد وللأمَة **( الخروج** 10:20 **...** ***فلا تقمْ بأي عمل أنتَ ... أو عبدكَ أو أمتك أو بهيمتك ...)*** . كما فرضَ حماية على ملكية العبيد بنفس حماية أي صنف شرعي آخر، وذلك عندما قال : " التثنية 21:5 . *لا تَشتَهِ امرأة غيرك ولا بيتهُ ولا حقله ولاعبدهُ ولا أمتهُ ولا ثورهُ ولا حماره ولا كلّ ما له* " . ولذلك ، سأسأل السيد الموقّر في بروكلين ورفاقه ، كيف تتجرؤون ، أمام تلك الموافقة وتلك الحماية المفروضة في الوصايا العشر على مُلكية العبيد ، أن تشجبوا تملّك العبيد بوصفه إثماً ؟

- وبقي علي أخيراً أن أدقّق في أوضاع العبيد في الحُقَب التوراتية وما بين أوساط العبرانيين. وهنا علينا أن نميّز بين المَملوك العبراني والعبد الوثني **(الوثني هو كلّ ما هو غير يهودي! )** . فالعبراني لا يمكن جعله مملوكاً إلا لسببين . السبب الأول ، إذا سرق ولم يكن لديه المقدرة على تعويض قيمة المسروقات ؛ وهنا يباع العبراني بسبب السرقة **(الخروج** 3:22 **. على اللِّصِّ أن يدفعَ تعويضاً . إن كان مُعدماً، يُباع بسرقته)** ؛ أما السبب الثاني فهو إن صار فقيراً إلى حدّ البؤس بحيث لا يمكنه الحياة سوى عن طريق الاستجداء ؛ عندها يُسمح له ' ببيع نفسه ' والالتزام بالمؤاجرة **(** اللاوي 39:25 **.** ***وإذا افتقرَ أَخوك وبِيعَ لَك عبداً ، فلا تعاملهُ كعبد*** 40 ***بل ليكن عندك***

***كأجير أو نزيل)*** . وفي جميع الأحوال فإن مملوكيته محدودة زماناً وصفةً ، ويؤخذ بعين الاعتبار أنه أثناء مملوكيته ، يُمنع إخضاع مداركه إلى الذلّ والهوان كعبد ( **اللاوي** 46:25 . ***وأمّا إخوتكم من بني إسرائيل فلا تطغوا بتسلّطكم عليهم*** ) .

وفي الواقع ، لا يوجد وجهُ شبه بين المملوك العبراني والعبد الجنوبي **(أي العبد في الولايات الجنوبية)** . ومع ذلك ، كان هناك عبيد في وسط العبرانيين تشابهت ظروفهم العامة مع تلك التي يعاني منها رفاقهم في الجنوب ، ألا وهم العبيد الوثنيون . وكان هؤلاء يُشترَونَ من 'الوثنيين المحيطين بأرض إسرائيل' أو من الوثنيين الغرباء المقيمين مع العبرانيين ؛ فهؤلاء يجب أن يكونوا ملكية يُورّثون كإرث لأبناء المالك بعد موته إلى الأبد **(اللاوي** 25:44-46 . ***وليكن عبيدكم وإماؤكمْ من الشعوب التي حولكم ، منها تقتنونَ عبيداً وإماء . 45 وكذلك من أبناء المُستوطنين النازلين عندكم ، فمنهم ومن عشائرهم ، الذين عندكم ، المولودين في أرضكم ، تقتنونَ عبيداً لكم . 46 تُورثونهم لبنيكُم من بعدكم ميراث مُلك ، فيكونون عبيداً لكم إلى الأبد .. )*** . وملكية المالك لهؤلاء العبيد الوثنيين كانت مطلقة ؛ إذ بإمكانه إخضاعهم لأعمال شاقة وإلى الحدّ الأقصى من طاقتهم البدنية ، وإنزال أقصى العقوبات بهم شريطة عدم إلحاق الأذى والموت بهم . وإذا فرّ العبد الوثني أو شرَدَ من البيت ، يُلزمُ كل إسرائيلي بإعادته إلى مالكه ، تماماً كما عليه أن يفعل مع أي متاع فُقدَ أو شرَدَ من أملاك جاره **(التثنية** 3:22 ***وهكذا تفعل إذا عثرت على حمار جارك أو ثيابه ، أو أي شيء مفقود تجدهُ ، لا يَحِلُّ لك أَن تتغاضى عنهُ***) .

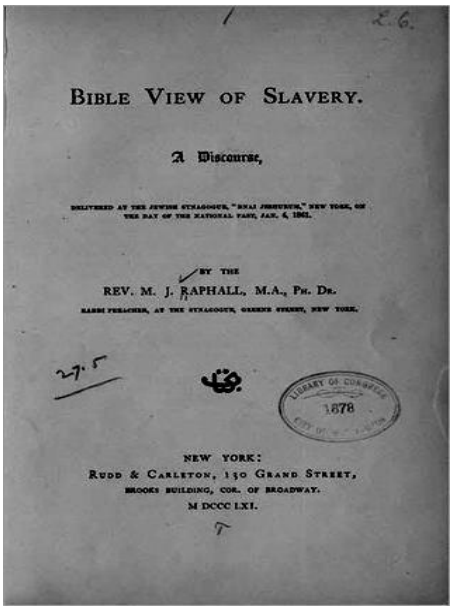
BIBLE VIEW OF SLAVERY.

A Discourse,

DELIVERED AT THE JEWISH SYNAGOGUE, "SHAAI JESHURUN," NEW YORK, ON THE DAY OF THE NATIONAL FAST, JAN. 4, 1861.

BY THE
REV. M. J. RAPHALL, M.A., Ph. Dr.
RABBI PREACHER, AT THE SYNAGOGUE, GREENE STREET, NEW YORK.

NEW YORK:
RUDD & CARLETON, 130 GRAND STREET,
BROOKS BUILDING, COR. OF BROADWAY.
M DCCC LXI.

---

**- <u>جوزيف فولف</u> :** (1795 -1862) **رحّالة ومغامر ألماني يهودي المولد ، تحوّل إلى المسيحية وأصبح مبشّراً في الكنيسة الأنجليكانية . ترحّل في مطلع القرن التاسع عشر عدة مرات بين العديد من بلدان الشرق الأوسط وآسيا الوسطى والهند . وكان من بين أهمّ أولوياته البحث عن القبائل اليهودية العشر الضائعة في بخارى . سجّل رحلاته وانطباعاته عن البلدان والسكان بكثير من التفصيل في عدد من المؤلفات والمجلات التبشيرية . المقتطفات التالية مُقتبسة (بتصرّف) من كتاب " *رحلات ومغامرات المُوقّر جوزيف فولف* " ، الصادر في لندن عام** 1861**.**

***Travels and Adventures of The Rev. Wolff,J., D.D., LL.D.*** **, London** : **SAUNDERS, 1861.**

**<u>طور سيناء في إنجلترا</u>**

قبيل شروع فولف بالتوجّه من القدس إلى سيناء في تشرين أول/أكتوبر عام 1821 ، سأله حاخامان من رومانيا عن وجهته ، فأجابهم **:** " *إلى طور سيناء* " . وهنا تدخّل الحاخام الليتواني سولومان قائلاً إنه سيثبت للقس فولف ،عبر أحد الأمثلة ، أن ما يطلق عليه الآن اسم ' طور سيناء ' ليس هو المكان الحقيقي **( لنزول الوصايا العشر على موسى ع.) :**

" *هل يمكنكَ تخيّل زواج ملكة من وزير أو حاجب وضيع بعد موت زوجها الملك ؟ قطعاً لا . إن طور سيناء هو تلك الملكة التي تزوجت من* **(الرب)** *المقدس ، تبارك اسمه ؛ الطور الذي نزل عليه الربّ وأعطى شريعته فيه . فهل سيسمح* **(الرب)** *ببناء دير للرهبان على ذلك الجبل ؟ بالطبع لا ، وبالتالي ليس هذا طور سيناء . فطور سيناء يقع في إنجلترا ، وحتى جبل طابور* **( الواقع في الجليل الأسفل بفلسطين)** *هو في أوروبا* " .

**سليمان الحكيم وأشميداي**

يقال عن مدينة أصفهان **(الإيرانية)** إنها ' *نصف العالم* ' ، فقد بناها ' الملك سليمان ' ، الذي كان يتنقل في أرجاء المعمورة محمولاً في الهواء من قبل 'جُنّي' . ويروي اليهود أنه كان تحت إمرة سليمان أحد الملائكة المُرتدّين ، واسمه أشميداي Ashmeday ، وكان يطوف به من مكان لآخر مُكبلاً بالسلاسل مثل الكلب .

وذات مرة قال سليمان لأشميداي **:** " *أنت رهن إشارتي تماماً* ". فأجاب أشميداي **:** " *أطلقْ سراحي للحظة واحدة ، وسترى ما يمكنني فعله* **!** " .

وما أن أجابه سليمان لطلبه ، حتى رفسهُ أشميداي رفسة أطاحت به آلاف الأميال بعيداً عن موطنه ، ليصبح بعدها شحاذاً في جميع بلدان العالم . وأثناء غياب سليمان ، حَكَمَ أشميداي 'أورشليم ' جالساً على عرش سليمان ومتنكراً على هيئته وصورته .

لم يكن لسليمان ألف زوجة أو أنه مارس الوثنية واضطهد الناس ، بل كان هو أشميداي على هيئة سليمان .

بعد سنوات عدة ، عاد سليمان من تجواله **(شتاته)** ، ليجد أشميداي جالساً على عرشه ومُتقمصاً هيئته . فخاطبه قائلاً **:** "*أنا سليمان* **(الحقيقي)** *وأنت مُخادع* " . وأجاب أشميداي **:** "*بل أنا سليمان وأنت المخادع* " . واحتكم الاثنان إلى المجلس القضائي الأعلى . فقرّر المجلس أنه يجب فحص قدمي الرجلين . وقد تبيّن لاحقاً أن قدمي سليمان ' المنفي' هما قدما رجل ، أما أشميداي ، الجالس على العرش ، فله قدما ديك . وهكذا تم طُردَ أشميداي من قبل ' الاسم المقدّس ' ثمّ قيَّده سليمان الحقيقي ثانية بالسلاسل * .

**سليمان المزيّف**

*** <u>تعقيب المترجم</u> : لا شك أن لهذه الرواية الأسطورية بعدٌ ديني وسياسي . فمن يحكّم ' أورشليم ' من غير اليهود هو وثني فاسق . وسيستردّ اليهود ، بعد نفيهم وشتاتهم ، عرش المدينة ويعيدون الوثنيين من غير اليهود إلى قيود السلاسل كالكلاب ! .**

## <u>فُلك نوح</u>

**أثناء مروره بسفوح جبال أراراط في عام 1825 ، كتب فولف :**

يقال إن فُلكَ نوح لايزال قائماً على جبال أرارات **(سفرالتكوين 4:8)** ، إلا أن شرف صعود ذلك الجبل ورؤية الفلك لم يحظ به إنسان بعد . وقد حاول القديس يعقوب النصيبيني **(** Jacob of Nusaybin ، **القرن الرابع ميلادي)** الصعود إلى الفلك ، إلا أنه توقف في منتصف الطريق ونام . وظهرَ له أثناء النوم ملاك قائلاً **:** " *توقف عن مبتغاك* **!** *؛ ومع ذلك إرضاء لك ، ولكي يرى الآخرون أنك من المُفضّلين ، فستجد قطعة غير تالفة من الفلك عندما تستيقظ* " . *وحدث أن* وجَد القديس يعقوب ، بعد استيقاظه ، قطعة من الفلك أحضرها معه إلى إتشميادزين **(مدينة فاغارشاباد في أرمينيا حالياً )** حيث لا تزال محفوظة هناك إلى يومنا هذا .

## <u>جنكيز خان إسرائيلي !</u>

في بخارى **(أوزبكستان ،1831)** استقبلَ فولف في أكثر من مناسبة مُحمدانيين **(مسلمين)** جديرين بالاحترام في حضرة اليهود ، والذين أبلغوه إن جنكيز خان كانت له أمّ ولم يكن له والد . وما أن غادر المُحمدانيون غرفة فولف ، حتى بادره اليهود بالقول **:** " *سنقول لك بشكل أفضل من كان جنكيز خان ؛ لقد كان ابنًا لإحدى قبائل إسرائيل ، وكان كلا أبيه وأمه من بني إسرائيل ، ولهذا فقد جمّع مدوّنة من القوانين استُمدتْ بشكل رئيس من كُتب موسى الخمسة ، وأعطى هذه المدوّنة اسم ' التوراة ' ، وهو نفس الاسم الذي تحمله تعاليم موسى* " .

**القناصل السبعة**

عاش في مدينة حلب طاغية كبير كان يخشاه بنفس القدر كل من اليهود والأوروبيين والمحمدانيين **(المسلمين)** . إذ كان إمبراطور النمسا قد أنعم عليه بمنزلة النبلاء ومنصب القنصل العام لعموم سوريا . كان الرجل ينتمي إلى عائلة شهيرة من يهود إسبانيا ، أُجبرَ أحفادهم على اعتناق المسيحية في حقبة فرديناند وإيزابيلا **( حقبة محاكم التفتيش في أواخر القرن الخامس عشر)** . وكان اسمه عزرا بيكيوتو Picciotto .

ويقول فولف إنه في عام 1824 أقام شهرين في حلب ، حيث أمضى معظم وقته هناك في نقاشات مع اليهود وفي وعظ المسيحيين الأوروبيين في بيت القنصل البريطاني . وحضر أيضا هذه المناسبات سبعة قناصل يهود **** :**

" *ولعلها حقيقة مثيرة للاهتمام في ذلك الوقت ، تواجد سبعة أخوة يهود جميعهم قناصل . كان هؤلاء من عائلة بيكيوتو وكان والدهم رافائيل بيكيوتو ، الذي شغل منصب القنصل العام في حلب على مدى خمسين عاماً ثمّ تقاعد بعد ذلك في طبريا بفلسطين ليقضي بقية أيامه في ' أرض إسرائيل ' "*

وكان أحد هؤلاء الإخوة السبعة ، المسكين هيلل بيكيوتو ، محدود الذكاء ولكنه غني . فعندما وجد أن جميع إخوته كانوا قناصل ، ذهب إلى السيد ماسبيك ، القنصل الهولندي العام وسأله **:** "كيف

*لي أن أصبح قنصلاً كإخوتي ، لأتمكن من ارتداء زي رسمي مثلهم وأخاطب بقية القناصل بالزملاء ؟ "* . وقال له ماسبيك **:** *" ابعثْ برسالة إلى سفير بروسيا في القسطنطينية مرفقة بهدية سخية ، وهو سيعينك قنصلاً لبروسيا ! "* . وبالفعل نجح هيلل في ذلك وأصبح قنصلاً . إثر تعيينه ، قام مباشرة بتفصيل زيّ رسمي رائع وأتخذ لنفسه حاجباً يفسح له الطريق أمامه ، كما يفعل جميع القناصل .

أما الأخ الأصغر رافائيل بيكيوتو ، قنصل نابولي العام في حلب ، فقد أعلن إفلاسه وأضطر إلى الهرب .

وقد حدثت ذات مرة واقعةٌ ، هي الأكثر مدعاة للسخرية ، عند زيارة ضابط فظّ في البحرية النمساوية إلياهو بيكيوتو قنصل النمسا العام . فقد قال الضابط ، إما عن جهل بأصول عائلة بيكيوتو اليهودية أوعن قلّة لباقة ، أمام جميع الحاضرين **:** *" هناك الكثير من اليهود في حلب ؛ فأينما توجّهت ستجد هؤلاء اليهود الملعونين "*

**** <u>تعقيب المترجم :</u> يبدي الكاتب فولف تعجّبه من ميول وولع العديد من سلالة بيكيوتو ، اليهودية الأصل ، بالديانة المسيحية ؛ ويعزو ذلك إلى مدى قوة المعمودية** Baptism **التي تلقاها أجدادهم في اسبانيا قبل قرون . ومع ذلك ، يبدو أن المُبشّر فولف كان مخطئاً في اعتقاده هذا للأسباب التالية :**

**- من المعروف أن العديد من المُهتدين اليهود ( أطلق عليهم اسم المسيحيون الجدد** cristianos nuevos **أو المُحرّمين** Marranos **، تظاهروا بالمسيحية وبقوا على ديانتهم . وفي هذا يقول المؤرخ اليهودي لوسيان فولف : " *بعد طرد اليهود من إسبانيا على يد فرديناند وإيزابيلا* (** 1492**) *بقي هناك فريق أقل التزاماً من اليهود الأغنياء الذين لم يكونوا راغبين بالتضحية بأراضيهم وقصورهم . فقد اعتنق هؤلاء المسيحية ، إلا أن تحولهم إلى هذه الديانة كان كاذباً ، إذ بقوا متمسكين بيهوديتهم بشكل سري على مدى قرنين* . وانتشر هؤلاء ' اليهود -** المُتخفّون ' Crypto-Jews **بعد ذلك شيئاً فشيئاً في تنكرهم هذا إلى مدن وبلدان مختلفة " .**

**- وفي عام 1840 ، اتُهمَ واحد من عائلة بيكيوتو ، إسحق ليفي ( وهو إبن أخ قنصل النمسا في حلب إلياهو بيكيوتو) ، بالمشاركة مع عدد من يهود دمشق في ذبح الراهب الفرنسيسكاني الأب توماس كابوشي وخادمه إبراهيم عمارة لدوافع دينية ، فيما يعرف باسم "** Damascus affair

**" . وقد تدخّل أثرياء اليهود النافذين في العالم ، من أمثال مونتفيوري وروتشيلد وغيرهم بقوة في القضية لصالح المتّهمين ، وتّم طيّ القضية إلى الأبد .**

**<u>من فلسطين إلى خوارزم !</u>**

أكّدَ بعض السكان الأصليين من مملكة خيوة / خوارزم **(غرب أوزبكستان)** لفولف ، الرواية التي سمعها أثناء ترحاله في تركستان وخلال إقامته في بخارى ، أنهم من سلالة **(قبائل)** الحُوّيين والفرزيّين واليبوسيّين ، الذين طردهم يشوع **(يوشع)** بن نون من أرض كنعان *** . وإلى يومنا هذا لا يزال هؤلاء يلعنون يشوع في صلواتهم . وإلى اليوم يُطلق اليهود الذين يعيشون بينهم ، على هؤلاء السكان اسم ' الفلسطينيين ' .

*** **<u>تعقيب المترجم</u> : في كتاب يشوع من العهد القديم ، يخاطب الله بني إسرائيل " 3 : 10 *بهذا تعرفون عن يقين أَن اللهَ الحيّ موجود بينكم ، وَأَنَّه <u>يطْرد</u> مِنْ أمامكم الكنعانيين والحِثِّيِينَ <u>وَالْحِوِّيِينَ</u> <u>وَالْفِرِزِّيِينَ</u> وَالْجِرجاشِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ <u>وَاليَبوسِيِّينَ</u>* " . ( أنظر المقتبس التالي لمارك توين ) .**

**----------**

**- <u>مارك توين</u> (1835-1910): من أبرز الروائيين الأمريكيين ، اشتهر بكتاباته وتعليقاته الساخرة . قام في عام 1867 برحلة إلى بلدان البحر الأبيض المتوسط والأرض المقدسة وكتب خلالها العديد من الرسائل ، جمعها في كتابه " أغرار بالخارج " الصادر عام 1869 . في**

**المقاطع التالية يصف بعض المواقع التي أثارت انتباهه في مدينة طنجة بالمغرب وفي جبل حرمون وأحضرت لذاكرته يشوع بن نون .**

***The Innocents Abroad*** **by Mark Twain, Hartford,1869.**

**<u>ومن فلسطين إلى المغرب !</u>**

هنا **(في طنجة)** ، وتحت النجوم الساكنة والشوارع العتيقة التي تبدو مُمتلئة بأشباح من العصور المَنْسيّة ، تركّزتْ عيناىَ على بقعة كان يتربّع عليها نَصْبٌ تذكاري ؛ نَصْبٌ رآه ووصفه قبل أقل من ألفي عام مؤرخ بيزنطي **(بروكوبيوس** Procopius**)** ، نُقشَ عليه **:** " *نحن الكنعانيون ؛ نحن أولئك الذين طردنا اللصّ اليهودي* يشوع **(يوشع بن نون)** *من أرض كنعان* " . لقد طردهم يشوع **(من فلسطين)** وجاؤوا إلى هنا **(أي أنهم قد هُجّروا إلى أرض المغرب)** .

**<u>عند جبل حرمون</u>**

على الجانب الآخر **(جبل حرمون)** وفي موقع أعلى من الوادي ، بإمكاننا التمّييز من خلال المنظار الملامح الباهتة لأطلال بعلبك الرائعة ، والتي يفترض أنها بعل - جاد المذكورة في التوراة . كان يشوع وشخص آخر ، هما الجاسوسان اللذان أُرسلا إلى أرض كنعان من قبل بني إسرائيل ليخبروهم عن خصائص المنطقة ومزاياها - وأعني هنا الجاسوسان اللذان قدّما تقريراً إيجابياً عنها - فقد أحضر هذان الجاسوسان معهما بعض عيّنات من عنب هذا البلد . وفي كتب الأطفال تُصوّر هذه العينات دوماً على شكل عنقود هائل الحجم يتدلى متأرجحاً من عصاً غليظة يحملها رجلان ، وكأنه حمّل ثقيل تحمله قافلة . ورغم أن عناقيد العنب في أيامنا هذه ممتازة ، إلا أنها ليست بالضخامة التي تبدو في قصص الأطفال .

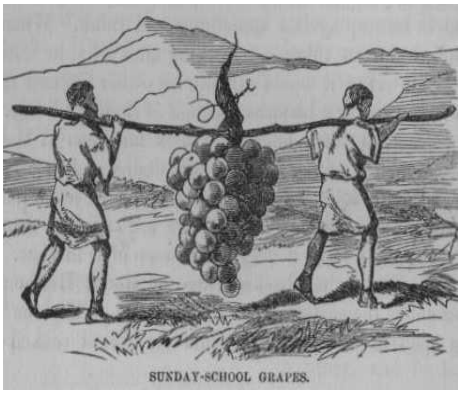


**سفر العدد** 23:13 **" فَقَطَفُوا فَرْعاً مِن كرمة عِنَبٍ فِيهِ عنقود واحد ، حَمَلُوهُ بِعَصَا عَلَى كَتِفَي اثْنَينِ منهم "**

بعد ذلك بدأ يشوع بغارته الرهيبة مكتسحاً أرض كنعان مثل 'عبقري التخريب' ، من أريحا المُحرّرة إلى بعل - جاد هذه . لقد ذبحَ يشوع الناس وأتلف أراضيهم وسوّى مُدنهم بالأرض ، كما أباد واحداً وثلاثين ملكاً وقسّم ممالكهم بين بني إسرائيل .

---

**- <u>ألكسندر ماك كول</u>** (1799-1863) **: مبشّر مسيحي إيرلندي وأستاذ اللغة العبرية وأدبيات أحبار اليهود في جامعة كينغز بلندن . هاجم بشدة تشريعات الأحبار والحاخامات الشفهية (Oral Law) الواردة في كتب التلمود بشقيها المشناه النصّي والجمارا التفسيري مقارنة بالتشريعات السماوية المُنزّلة على موسى في كتب التوراة ( Law written ) . المقاطع التالية مقتبسة من كتابه " *الدروب العتيقة* " الصادر في عام 1837 .**

***The Old Paths*** **by Mc Caul, A. , London : Duncan,1837.**

**<u>تبجيل الحاخامات ومعجزاتهم</u>**

يقول ماك كول **:** من التُهم الموجّهة إلى **(الحاخامات)** أنهم رجال طموحون وتوّاقون إلى التبجيل الدنيوي وحُبّ التميّز عن الآخرين . فهم يضعون تعويذات جلدية عريضة على رؤوسهم Tefillin ويرتدون ألبسة فضفاضة ، ويفضلون المجالس الرئيسة في الكُنس ويسعدهم إلقاء التحية عليهم في الأسواق ومناداتهم بلقب ' حاخام Rabbi '

وليحكم القارئ بنفسه على الشرائع التالية التي صاغها هؤلاء الرجال في الأمور المتعلقة بهم . ففي الدرجة الأولى ، يخصّون أنفسهم بدرجة أعلى من الإجلال والتبجيل مما هو واجب المرء نحو أبويه . والتعاليم التالية واردة في كتاب " هيلخوث تلمود توراة ، الفصل الخامس **:**

**-** *" وكما يؤمر المرء بتبجيل وبالرهبة من والده ، فهو ملزم بتبجيل وبالرهبة من حاخامه أكثر من والده . ذلك لأن والده هو السبيل الذي جاء به إلى الحياة في هذا العالم ، إلا أن حاخامه الذي يعلمه الحكمة ، يأخذ بيده إلى الحياة في عالم الآخرة . "*

**-** *" إذا وجدَ رجل شيئاً فقدهُ والده وشيئاً فقدهُ حاخامه ، فعليه إعادة ما فقده الحاخام أولاً ومن ثمّ ما فقده والده بعد ذاك . وإذا ما وقع والده وحاخامه في الأسر ، فعليه دفع فدية حاخامه أولاً وبعدها فدية والده ، إلا إذا كان والده من أتباع رجل حكيم* **(أي من الفقهاء في الدين اليهودي)** *، ففي هذه الحالة يمكنه افتداء والده أولاً . "*

**-** *" إن من يزدري الفقهاء لا نصيب له في عالم الآخرة . ورغم ذلك ، إذا أثبت الشهود أن شخصاً ما مذنب بتحقير فقيه حتى لفظياً ، فعقابه الحرمان الكنسي جهاراً من المحكمة وتغريمه بغرامة من الذهب تُدفع إلى الفقيه . "*

ولكن هؤلاء الرجال لا يقفون عند هذا الحد ، فهم لا يكتفون بمنزلة تعلو فوق الأب والأم بل لا يترددون بالتأكيد أن إجلالهم مقدّس بنفس قدر إجلال الله نفسه **:**

**-** *" عليك اعتبار أن لا تبجيل أكبر من تبجيل الحاخام ولا رهبة أكبر من رهبته . لقد قال الحكماء بأن الرهبة من حاخامك هي مثل الرهبة من الإله " .*

**(Hilchoth Talmud Torah, chap. 5).**

**-** " إن *شاء الورعون الصالحون فبإمكانهم خَلقُ العالم ، ذلك إنه قد كُتب* **(في أشعياء** 2:59**) :** *إنما خطاياكم أَضحتْ تفصلُ بينكم وبين إلَهكم* " .

**-** خَلقَ **(الفقيه)** رابّاه رجلاً وأرسله إلى الحاخام زيرا . تكلم زيرا**(مع الرجل المخلوق)** إلا أنه لم يُجبه . ولهذا قال له زيرا **:** ' *أنت من خُلق السَحَرة ، عُدْ إلى ترابك* **!** ' .

**-** اعتاد **(الفقيهان)** راب هانينا وراب أوشيا دراسة سفرْ يتسيراه **(الخَلق** Yetzirah**)** التلمودي عشية كل يوم سبت وبعد ذلك يخلقان لهما عجلاً عمره ثلاث سنوات ثمّ يأكلانه "

**(Sanhedrin65b)**

ووفق هاتين الروايتين في التلمود ، يقول ماك كول **:** " *يبدو أن هؤلاء الحاخامات كانوا أعظم من موسى أو أي من الأنبياء . إذ لم يُسجّل كامل العهد القديم مثل هذه المعجزات . فموسى لم يَخلقْ أي شيء ، ولم يقم بأية معجزة إلا بمساعدة الله . فإما أمره الله القيام بذلك أو أن موسى طلب المساعدة منه . أما هؤلاء الحاخامات فقد حصلوا على قوة ' الخالق ' بمجرّد دراستهم سفْراً بعينه ومارسوا هذه القوة إما للعبث والتسلية أو للمنفعة الشخصية* " * .

**مايكل أنجلو**

*** <u>تعقيب المترجم</u> : تحفلُ أدبيات اليهود بشواهد لمعجزات بعض الفقهاء والحاخامات التلموديين ، وبخاصة بين مُتصوّفي القبالاه Kabbalah. وهناك قناعة لدى البعض منهم بإمكانية خلق إنسان من طين أوتراب ولكن بالتناغم مع قوة الله ( يطلق اليهود على هذه المخلوقات اسم غولم**

Golem ) . ويتطلب ذلك تواصلاً غامضاً (صوفياً) لتوحيد أسماء الله مع الاسم الرباعي له كما ورد في التوراة ' YHWH يهوفة ' ثمّ نقش عدة كلمات على جبهة ' الغولم ' لنفخ الحياة فيه . ومن بين الكلمات العبرية المختارة لدى بعض الحاخامات الصوفيين ' لتنشيط أو إحياء ' هذا الكائن كلمة ' آدم ' أو كلمة ' إمت emet' (وتعني الحقيقة) . وعندما يتطلب الأمر من الحاخام شلَّ حركة أو إيقاف المخلوق ، يقوم بحذف الحرف الأول من كلمة آدم المنقوشة على جبهته ، لتصبح ' دمّ ' أو من كلمة إمت لتصبح ' متْ ' . ولعل إيراد بعض هذه الشواهد ستوضح للقارئ التمادي الذي ذهب إليه بعض هؤلاء الحاخامات المُتصوّفين .

- خلقَ الشاعر والحاخام الأندلسي شلومو ابن غابريول (القرن الحادي عشر) Solomon ibn Gabirol امرأة من الخشب لخدمته . وتفادياً منه لعقوبة الحاكم على فعلته هذه ، أزالها من الوجود بإعادة جميع أعضائها إلى مكوناتها الخشبية الأصلية .

- كتب الحاخام إليتسار روكيش Eleazar Rokeach ( القرن الثالث عشر) الشروط اللازمة لخلق كائن حيّ يشبه الإنسان :

*" على المبتدئ ألا يقوم بهذا العمل وحده ، بل أن يرافقه زميل أو زميلان . ويجب أن يصنع ' الغولم ' من تربة بكرْ ، مستخلصة من موقع لم يحفر فيه أحد من قبل . كما يجب جَبْل التربة بماء نبع صاف ، مأخوذ مباشرة من باطن الأرض . وإذا وُضعَ الماء في أي وعاء كان فلا يمكن استخدامه لهذا الغرض . وعلى الأشخاص الراغبين في صنع ' غولم ' ارتداء ملابس بيضاء نظيفة وتطهير أنفسهم تماماً مادياً وروحانياً قبيل البدء بالعمل ... "* .

- طلب الحاخام يهودا لوفه ( القرن السادس عشر) Judah Löwe من زوج ابنته إسحق ها-كوهين ومن أحد طلابه يعقوب ها- ليفي مساعدته لخلْق 'غولم من الطين' لكونهما من مواليد برجي النار والماء على التوالي وهو من مواليد برج الهواء . ومع التراب يشكل الأربعة جميع العناصر الضرورية لخلق هذا الكائن . ومع الفجر ، توجّه الثلاثة إلى النهر وعلى ضفته الطينية رسموا هيئة رجل بطول ثلاثة أذرع ؛ ثم خطّطوا وجهه وذراعيه وساقيه ، كما لو أنه رجلٌ مستلق على ظهره . ثم أوعز لوفه إلى مساعديه بالدوران حول رسم الغولم سبع مرات وهما يرددان تعاويذ مستمدة من سفر يتسيراه . وهنا بدأ الشكلُ الطيني ، المُستلقي على الضفة ، يتوهج من حدة سخونته ثمّ عاد ليبرد . وبعد أن دار لوفه حوله سبع مرات حاملاً التوراة ، تلا ثلاثتهم كلمات

**' التنشيط والإحياء ' ، كما في سفر التكوين 7:2 "*ثمّ جَبلَ الربّ الإله آدم من تراب الأَرض ونَفخَ في أَنْفه نَسمة حياة فصار الرجل نفْساً حيَّة*" . وهكذا بُعث الغولم حياً وتَحرّكَ ولكن من دون أن يتمكّن من النطق .**

**- يعزى آخر غولم تمّ خلقهُ (في مطلع القرن التاسع عشر) إلى الحاخام ديفيدل يافه** Davidl Jaffe **في غرودنو الروسية ، بهدف إيقاد النار في مدافئ اليهود أيام السبت بدلاً من تكليف المسيحيين بذلك ، باعتبار أن إشعال النار محظور على اليهود أيام السبت بأوامر إلهية .**

**نموذج لغولم يحرس الحي اليهودي في براغ**

**<u>المرأة في شرائع التلمود</u>**

**- التعليم الديني**

يستشهد ماك كول بتعاليم التلمود المتعلقة بتعليم النساء التشريعات الدينية **:**

*" المرأة التي تدرسُ الشريعة لها أجرها ، ولكنه ليس كأجر الرجل لأنها لم تُوصَ بذلك . ولكن رغم أجرها هذا ، فقد أوصى الحكماء بأن لا يقوم الرجل بتعليم الشريعة لابنته ، ذلك لأن أغلبية النساء لا تمتلكن عقلاً مهيئاً للدراسة ؛ فهنّ يُحرّفن كلمات الشريعة بسبب فقر عقولهن . فقد قال الحكماء إن كل من يُعلّم ابنته الشريعة يُعتبر وكأنه يلقنها الإثم . ولكن هذا لا يطبّق إلا على الشريعة الشفهية* **(التلمود)** *. أما بالنسبة للشريعة المكتوبة* **(التوراة)** *، فليس عليه أن يعلمها بشكل نظامي . أما إذا علّمها، فلا يعتبر أنه قد لقّنها إثماً* " .

**- الزواج والطلاق**

يقول ماك كول **:** تسمح شريعة موسى المكتوبة **(التوراة)** بالطلاق في ظروف معينة ، كأن لم تَرُقْ الزوجة للزوج لاكتشافه بعد الزواج فيها عيباً ما كما جاء في التوراة **(التثنية 1:24)** . إلا أن هذا السماح قد بُنيَ على اعتبارات هامة ورزينة حَوّلها الحاخامات إلى تراخيص غير محدودة للطلاق في أكثر الذرائع تفاهة **:**

**"** *تقول مدرسة* **(الفقيه)** *شامّاي* **(القرن الأول ميلادي)** *أن على الرجل ألا يطلّق زوجته إلاّ إذا وجد فيها عيباً ما . وتفسّر هذه المدرسة آية التثنية في التوراة بأبسط معانيها . وترى مدرسة* **(الفقيه)** *هيلل* **(القرن الأول ميلادي)** *إن حرق المرأة للمَرَق* **(أي حرق الطعام أثناء الطهي)** *سبب كاف للطلاق . أما مدرسة* ***(الفقيه)*** *أكيفا* **(القرن الثاني ميلادي)** *فتشير إلى أن بإمكان الرجل طلاق زوجته إذا وجد أمرأة أكثر وسامة من زوجته ، وذلك في تفسيرها لجملة ' لم تَرُقْ الزوجة للزوج ..' والتي تشمل برأي أكيفا ميزة الجمال* **" (Mishna , Gittin. Chapter IX,10)**

ويعلّق ماك كول على ذلك بالقول ، ونجد هنا ثلاث مرجعيات دينية رزينة شاماي وهيلل وأكيفا يختلفون جميعاً على معنى مقطع من التوراة بالغ الأهمية عندما يدلون بآرائهم الشخصية ، وبالتالي فهذا يؤكد أن الشريعة الشفهية **(التلمود)** ليس إلا قصّة تخيلية لفقت لفرْضها على السُذّج والبسطاء.

إلا أن الوحشية والنقيصة الكاملة للمشاعر التي تعرضها وتدعو إليها الشريعة الشفهية فيما يخصّ المرأة ، تبدو واضحة بشكل أكبر من خلال المقتطف التالي **في التلمود تصحيح !! :**

**"** *إذا أصبحت زوجة رجل صماء بكماء ، يعطيها الزوج وثيق الطلاق وتصبح طالقة . أما إذا جنّت ، فلا يجب عليه إبعادها إلى أن تتعافى . هذا ما يأمر به الحكماء حتى لا تقع فريسة للفاسقين لأن المجنونة لاحول لها ولا قوة . وبالتالي ، فعلى الزوج أن يتركها في مكانها ويعطيها لحماً وشراباً من ممتلكاتها ويتزوج امرأة أخرى . ولا يُجبر الزوج على القيام بواجباته الزوجية أو إعطائها الطعام أو الثياب ؛ ذلك إنه ليس بمقدور العاقل العيش في بيت واحد مع المجنون . وهو غير مُجبَر*

*أن يعالجها أو أن يفتديها . وإذا ما قرّر الطلاق منها فهي طالق يجب إخراجها من البيت ؛ كما أنه غير مُجبر على تجشّم المشاكل بسببها "*

***Gerushin, Chap. 10 ,23***

أما عن الزواج المؤقت في التشريع التلمودي ، فيستشهد ماك كول بالمقولة التالية **:**

*" لا يجوز زواج الرجل من امرأة إذا توافرت لديه نية الطلاق منها لاحقاً ، و يجوز شرعاً ، أذا أخبرها مُسبقاً بأنه سيتزوج منها لفترة محددة ** " .*

**Hilchoth Gittin in Even )**

**(Haezer, 1**

**** <u>تعقيب المترجم</u> : نقرأ في التلمود (Talmud ,Yoma 18b) النص التالي عن الحاخامين الفقيهين راب وناهمان (من القرن الثالث الميلادي) أنهما كانا يسعيان خلال أسفارهما إلى زواج مؤقت لمدة يوم واحد :**

***" كلما حضَر راب إلى* (بلدة) *درشيس* (القريبة من نهر دجلة) *كان يعلن : من ستكون زوجتي لمدة يوم ؟ وكلما حضَر ناهمان إلى* (بلدة) *شكونزيب* (القريبة من نهر دجلة) *كان يعلن : من ستكون زوجتي لمدة يوم؟ "***

**"Whenever Rab came to Darshis he would announce: Who would be mine for a day? Whenever R. Nahman would come to Shekunzib he would have it announced: Who will be mine for a day?"**

**----------**

**- <u>تشارلز كورديلَ</u> ، راهب بريطاني كاثوليكي (1720- 1791) . له العديد من المؤلفات والتراجم . في كتابه " سلوك الإسرائيليين " الصادر في عام 1786 ، يوضح الكاتب ظاهرة تعدد الزوجات بين اليهود والأسباب التي من أجلها أجاز الربَ لهم الزواج بأكثر من امرأة وجارية .**

***The Manners of the Israelite*** **by Cordell, C. , Newcastle ,1786.**

كان دافع الإسرائيليين من وراء اقتناء عدة زوجات في آن واحد ، هو الرغبة في الحصول على ذرية كبيرة ؛ فقد كانوا يعتبرون ذلك مصدر شرف وسِمة من سِمات العظمة . ولكي يبيَن [النبي] أشعياء أهمية أولئك الذين يصونهم الربَ بين شعبه ، أوصى بأن تتبعَ سبع نساء لرجل واحد ، شريطة أن يَتكفلنَ أنفسهم بمعيشتهن مقابل شرفِ حمَلهن اسم الزوج * . ولهذا ، كان [للملِك] رحبعام [ إبن النبي سليمان] ثماني عشرة زوجة وستون مَحظِية ، كما أن رحبعام مَنحَ عدة زوجات لابنه أبيا، الذي اختاره ليكون خلفاً له ** . ومع ذلك ، كان الإسرائيليون معتدلين في معاشرتهم لزوجاتهم ؛ فقد كانوا يمتنعون عنهن ، ليس أثناء حملهن أو مخاضهن أو اعتلالهن الجنسي فحسب ، بل خلال فترة الرضاعة التي قد تمتد ما بين سنتين إلى ثلاث سنوات . ولهذا ، فليس من المستغرب أن الربَ قد أجاز تعدَد الزوجات بل وسُمِح به أيضاً في فترة ما قبل الطوفان العظيم .

وإلى جانب الزوجات أُجيزت لهم أيضاً المَحظيات ( الجواري) اللاتي كُنَ عموماً عبيداً . ولم يكن للزوجة الرسمية أي أفضلية على المَحظية سوى المنزلة التي تعطى لأولادها في مسألة الميراث . وعموماً ، فليس مُسمى المحظية يعني شكلاً من أشكال الفسق والفجور ، كما هو متعارف بيننا ، بل يشير فقط إلى زواج أقل قدراً ووقاراً . ***

*** سفر أشعياء 4**

**4 في ذلك الوقت، تُمسِكُ سبع نساءٍ بِرجلٍ واحد ، ويَقلْنَ له : "سنأكلُ طعامنا ونلبس ثيابنا، وما نُريده هو أن تتزوّجنا فَنُدعى باسمِك . أزِلْ عارنا لأنّنا لَسنا مُتزوّجات ."**

**** سفر أخبار اليوم الثاني 11**

**21 وتعلَّقَ رحُبْعام بمَعْكةَ بنت أبشالوم أكثَر مما تعلَّقَ بزوجاته الأُخرَيات وجواريه. وكانتْ لَه ثماني عشرَة زوجة وستُّونَ جاريةً. وأنجبَ ثمانية وعشرينَ ابْناً وستّينَ ابنة .**

***** <u>تعقيب المترجم</u> :**

**لا مانع لدى بعض الباحثين اليهود من تحريف الحقائق الدينية التاريخية بهدف تضليل عامة الناس وتشويه الديانات السماوية الأخرى ؛ ففي كتاب "*الحياة اليهودية في العصور الوسطى*" # يقول الباحث البريطاني إسرائيل أبراهامز في مسألة تعدد الزوجات لدى اليهود : " ورغم أن المسيحية لم يكن لها تأثير في إدخال زواج الرجل من امرأة واحدة بين عادات اليهود ، فقد هيمنت المُحمدانية (الإسلام) بتأثيرها ، وللأسف ، على اليهود الذين كانوا تحت سيطرة المسلمين . ويكمنُ سبب انتكاس اليهودية في مسألة تعدد الزوجات إلى عوامل خارجية . فقد نشأت الزلاّت الخطرة بالابتعاد عن أحادية الزواج الصارمة (لدى اليهود) في الأراضي الإسلامية ... ففي مراكش يشعر اليهود بالخزي إذا تزوج واحد منهم أكثر من زوجة واحدة ؛ فهم يقاطعونه فعلياً " .**

**# Jewish Life in the Middle Ages ,by Abrahams, Israel, London : MacMillan,(1896),Repr.1919**

**وفي الواقع ، فإن تعاليم التوراة لا تعتبر تعدد الزوجات من الزلاّت الخطرة ، كما يزعم الباحث . فقد سبقت هذه التعليمات تأثير تعاليم الإسلام على اليهود بعشرات القرون . والأمثلة التالية مستقاة من بعض أسفار التوراة والمشناه :**

**- سفرالتثنية 21: 15 إن كانَ رجل متزوجاً من امرأتين ، يُؤْثر إحداهما وينفرُ مِنَ الأخْرى ....**
**- سفراللاوي 18:18 لا تتزوجْ امرأة على أختها لتكون ضرَّة معها في أثناء حياة زوجتك .**
**– سفر الخروج 21: 9 أَمَّا إِذَا أعجبته وتزوجها، ثُمّ عَاد فَتزوَّجَ مِن أُخْرى، فَإِنَّه لا ينقص شيئاً من طَعامها وكُسوتِها ومُعاشرتِها ..**
**- المشناه (هو الشرائع الشفهية للحاخامات) ، وثيقة الزواج، الفصل العاشر( Ketubot, chapter 10) : إذا مات رجل وكان متزوجاً من امرأتين ، فأولوية الإرث ( وفق وثيقة العقد ) هي للزوجة الأولى ... إلخ .**

**- عيسو ( أخو يعقوب التوأم) تزوج من يهوديت وبسمة ومحلَّة .**

**- يعقوب تزوج من ليئَةَ وراحيل ومن جاريتيهما بلهة و زِلفة**

**- داود تزوج من أبِيجايل وأخينوعم ومعْكَة وحجِيث وأبيطال وعَجلَة وعدد غير معروف من الجواري والزوجات**

**- سليمان تزوج من سبْع مئة امرأة وكانت له ثلاث مئة جارية .**

---

**- <u>ديفيد دي سولا</u>** (1796-1860) **، حاخام من السفارديم . وُلد في أمستردام ومات في لندن . له العديد من المؤلفات والترجمات الدينية والتاريخية اليهودية . المقتطفات التالية مستمدة من كتابه " *ثمانية عشر بحثاً من المشناه* " ، وكتابه عبارة عن ترجمة إنجليزية لعدد محدود من التعليمات ' الشفهية ' وتفاسير الشرائع اليهودية التي ألّفها قدماء الفقهاء التلموديين ، والتي تعتبر لدى أغلبية الطوائف اليهودية أكثر أهمية من التوراة المكتوبة ، بل ولها الصفة السماوية . ويُقال أن المخطوطة الأصلية لترجمة دي سولا قد 'اختطفت' من إحدى الطوائف اليهودية البريطانية ، وتمّ إصدارها بعد إجراء تحوير عليها من دون موافقة المؤلف ومساعده .**

***Eighteen Treatises from the Mishna,*** **transl. by Rev. De Sola, D. A.& Raphall, M.J , London : Sherwood ,1843**

**<u>استثناءات الفقهاء</u>**

اغتسلَ الحاخام الفقيه جمالئيل في أول ليلة أعقبت موت زوجته . فقال له مريدوه **(تلامذته) :** ' *ألم تُعلمنا ، أيها الحاخام ، أنه يحرّم على المفجوع الاغتسال في الليلة الأولى للوفاة* ؟ ' فأجابهم : ' *أنا لست مثل جميع الرجال الآخرين ؛ فأنا رجل عاجز* ' . وعندما مات عبدهُ تابّي ، تلقى معزّين بوفاة عبده . فقال له تلامذته **:** ' ألم تعلمنا ، أيها الحاخام ، أن زيارات العزاء محظورة على **(أرواح)** العبيد ؟ ' فأجابهم جمالئيل **:** '*لم يكن عبدي مثل بقية العبيد ، فقد كان تقيّاً ورعاً* ' .

**<u>صانع المعجزات</u>**

حدث ذات مرة أن قال الإسرائيليون **(للحاخام الحكيم صانع المعجزات)** هوني هاماآغيل Honi Ha-Ma'agel ، صلّ من أجلنا ليهطل المطر . فقال لهم **:** ' *اذهبوا وأحضروا تنّانير عيد الفصح* **(أفران شواء خرفان الأضاحي)** *حتى لا تتلف من المطر*' ، ثمّ صلى فلم يهطل المطر . رسمَ هوني دائرة على الأرض ووقف داخلها ثمّ نادى **:** ' *خالقَ الكون*! *لقد اعتبرني أولادكَ مُفضلاً لديك ؛ إني أقسمُ باسمك العظيم أني لن أغادر هذا المكان إلى أن تُشفق على أولادك هؤلاء* ' . وهنا بدأ المطر يهطل رذاذاً. فقال **:** ' *ليس من أجل هذا تضرّعتُ إليك ، بل لمطر يكفي لملء الأبار والأحواض والكهوف* ' . فبدأ وابل المطر ينهمر بعنف . إثر ذلك قال هوني **:** ' *لم أتضرّع لمثل هذا الوابل ، بل لمطر معتدل لطيف ووافر*' . وهكذا هطل المطر بوفرة ، مما أجبر أهالي أورشليم على الرحيل من المدينة إلى جبل الهيكل . وهنا جاء سكانها إليه وقالوا **:** ' *أدعُ لنا الآن أن ينقطع المطر*' .

إثر ذلك ، أرسل **(عضو المجلس القضائي)** شيمون بن شاطاخ كلمة لهوني جاء فيها **:** ' *لو لم تكن أنت* **(الحكيم)** *هوني لأمرت بحرمانك كنسياً ، ولكن ماذا يمكنني فعلهُ معك ؟ فأنت آثم أمام الرب ، ومع ذلك فقد سامحك وغفرَ لك كولد مفضل أخطأ تجاه والده ؛ فعليك تنطبق آية سفر الأمثال* 25:23 **:** " *ليفرح أبوك وأمك ولتبتهجْ من أنجبتك* " .

**ورسمَ هوني دائرة على الأرض ووقف داخلها**

## طقوس الخاليتساه

**مُقدّمة :** يتضمن بحث ياموث YEBAMOTH في المشناه تشريعات الحاخامات الفقهاء التفصيلية المتعلقة بالتزام زواج الأرملة التي لا ولد لها من أخي زوجها المتوفى ؛ إضافة إلى طقوس الخاليتساه Chalitzah ، وهي مراسم ' خلع الأرملة لحذاء أخي زوجها ' في حال رفضه الزواج منها . وإذا كان الأخ المُتوفى قد ترك عدة زوجات أرامل ، وله العديد من الإخوة ، فالإلزام في هذه الحالة واجب فقط على أخ واحد منهم . وترتكز هذه التشريعات على ما ورد في التوراة ( سفر التثنية 25 : 5-10) من العهد القديم :

" [5]إذا *سكنَ إخوة معاً ومات أحدهُم من غير أن يُنجِب ابناً، فلا يجب أن تتزوَّج امرأته رجلاً من غير أفراد عائلة زوجها. بلْ ليتزوجها أخو زوجها ويعاشرها ، وليقمْ نحوها بواجب أخي الزَّوج ، [6] ويحمل البِكر الذي تنجبه اسم الأخ الميت ، فلا ينقرض اسمهُ من أرض إسرائيل . [7] وإن أبى الرّجل أن يتزوّج امرأة أخيه ، تمْضي المرأة إلى بوّابة شيوخ المدينة وتقول:* قد رفض أخو زوجي أن يُخلِّد *اسماً لأخيه في إسرائيل ، ولم يشأ أن يقوم نحوي بواجب أخي الزَّوج [8] فيدعوهُ شُيوخ المدينة ويتداولون معه في الأمر. فَإنْ أصرّ على الرّفض وقال :* لاَ أرضى أن أتزوجها *[9] تتقدّم امرأة أخيه إليه علَى مرْأى من الشُّيوخِ ، وتخلع حذَاءهُ من رجليه وتتْفُلُ في وجههِ قائلة :* هذا ما يحدث لمن يأْبَى أن يبني بيْت أخيه *[10] فيدعى في إسرائيل بيت مَخْلُوعِ النَّعْل* " .

- تجري مراسم الخاليتساه **(خلع الحذاء)** أمام ثلاثة قضاة أو أشخاص عاديين . وتعتبر المراسم صحيحة باستخدام حذاء ، شريطة ألا يكون مصنوعاً من اللباد أو القماش .

- إذا خلعتْ المرأة الحذاء ، وتفَلتْ **(بصَقتْ)** من دون أن تقول ما يتوجب عليها قوله ، تُعتبرُ المراسم صحيحة ... وإذا خلعتْ حذاءهُ وقالت ما يتوجب قوله لكنها لم تبصقْ عليه تكون المراسم باطلة ، وذلك تبعاً لرأي الفقيه إليعازر وصحيحةً حسب رأي الفقيه أكيفاه . أما الفقيه يهودا فيلزمُ جميع الحاضرين في الخاليتساه بأن ينادوا له ثلاث مرات : ' *مخلوع النعل! مخلوع النعل! مخلوع النعل!* '

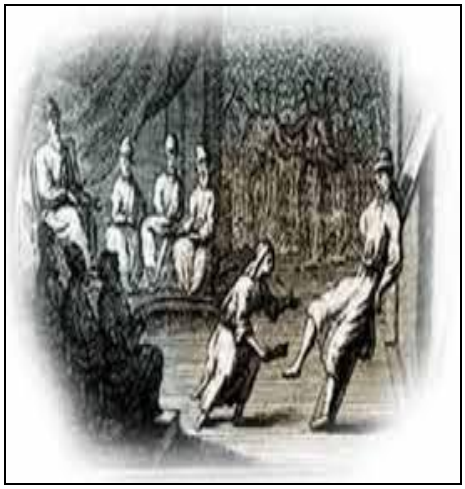

**وتخلع حذَاءهُ وتبصق في وجهِهِ**

**التصنيف الاجتماعي**

عشرة شرائح من الناس عادوا من **(سَبي)** بابل * (إلى فلسطين مع عزرا لبناء الهيكل الثاني) وهم **:** 1 الكهنة ، 2 اللاّويين ، 3 الإسرائيليين ، 4 الكافرين ، 5 المُتحولين إلى الديانة اليهودية ، 6 العبيد المعتوقين ، 7 أولاد الزنا ، 8 حراس باب الهيكل ، 9 مجهولو النسب ، 10 اللُقطاء . ويمكن للشرائح الثلاث الأولى الزواج من بعضهم البعض . ويمكن للاّويين والإسرائيليين والكافرين والمُهتدين والعبيد المعتوقين الزواج فيما بينهم . كما يسمح أيضاً للشرائح الست الأخيره الزواج فيما بينهم .

*** تعقيب المترجم :**

**يقول الحاخام المؤرخ كين سبيرو، من منظمة آيش هاتوراه الأرثوذوكسية التلمودية : " *عندما هيمن الفرس على البابليين وسُمحَ لليهود ( الذين سباهم نبوخذ نصر إلى بابل) الرجوع إلى فلسطين ، عاد عدد قليل منهم فقط !! . فمن بين ما يقرب من مليون يهودي كانوا يعيشون في المملكة الفارسية ، رجع منهم فقط ما يقرب من اثنين وأربعين ألفاً ، وهذا يعني أن الغالبية العظمى قد بقيت تحت السيطرة الفارسية .. وقد استمرت الجالية اليهودية بالازدهار إلى فترة خراب الهيكل الثاني في العام 70 ميلادي* .." . ووفق سفر عزرا 2: 2-64 (العهد القديم) فإن عدد الإسرائيليين منهم هو 15604 والكهنة 4289 واللاويين 74 ، أما الباقون فهم على**

**الأرجح ممن وصفهم المشناه بمجهولي النسب واللقطاء وأولاد الزنا والكفار وحرس وخدم الهيكل وغيرهم . وهذه الأرقام تشي بمدى الاهتمام الحقيقي لليهود بأرض الميعاد مقابل الازدهار والرفاهية التي وصلوا إليها في السبي والشتات !**

**when the Babylonians fell to the Persians and the Jews were permitted to return, only a small number did. Of what was probably a million Jews living in the Persian Empire, only 42,000 went back, meaning that the vast majority stayed in Babylon under Persia domination... . During the Second Temple period, up until its destruction in 70 CE, the Jewish community in Babylon continued to flourish... ( Rabbi Ken Spiro, Aish HaTorah)**

**<u>مهنٌ مكروهة دينياً</u>**

قال أبّا غوريوم من زاديان (باسم أبّا غورياه) **:** ' *على الفرد ألاّ يربي أولاده ليصبحوا حَمّارين أو جَمّالين* **(أي الذين يقودون هذه الدواب)** *أو حلّاقين أو بَحّارة أو رعاة مواشي أو أصحاب متاجر وحوانيت ، ذلك أن هذه المهن ليست صادقة وأمينة* ' . ويقول في ذلك يهودا (باسم أبّا غورياه) **:** ' إن معظم الحَمّارين هم أشرار ، إلا أن الغالبية العظمى من الجَمّالين هم صادقين وأمينين ؛ ومعظم البحّارة أتقياء ؛ وأفضل الأطبّاء مصيرهم جهنم ؛ وأفضل لحّام **(قصّاب)** هو رفيق مناسب للعماليق Amalekites **(ذلك أن شعب العماليق متعطش للدماء وفق التوراة)**

---

**- <u>جيمس أسشر</u>** (1581 - 1656) **أسقف مقاطعة أرماغ وكبير أساقفة إيرلندا . شغل منصب نائب رئيس معهد ترينيتي في دبلن . يعتبر أسشر من أهمّ المُوقّتين (التأريخيين** Chronologist**) الذين اعتمدوا بشكل رئيس على ' النسخة العبرية ' من العهد القديم لتقدير عمر العالم والبشرية ، بدءاً من خلق آدم وولادة ذريته وصولاً إلى ميلاد السيد المسيح . المقاطع التالية مقتبسة ( باختصار) من كتابه " *حوليات العالم*" الصادر في لندن عام** 1658 **، ويبين فيه**

**إن خلق الكون قد تمّ قبل 4000 عام من مولد السيد المسيح أو 4004 من بدأ التأريخ الميلادي .**

***The Annals of The World*** **by Ussher,J., London: Crook, & Bedell, 1658**

**<u>يعطي التأريخ وفق ما يلي : بعد بدء الخلق (ب.خ) و قبل التقويم الميلادي (ق.م)</u>**

- خريف السنة الأولى من الخلق : *في البدء خلق الله السّماوات والأرض* **(سفر التكوين 1:1) .** وفق توقيتي ، يقول أسشر ، ' بدأ الزمن ' مع مُستَهلّ المساء السابق ليوم 23 تشرين أول/أكتوبر سنة 4004 قبل التقويم الميلادي (ق.م) .
- في اليوم الأول للعالم **(سفر التكوين 1:1-5)** الموافق للأحد 23 تشرين الأول/أكتوبر ، خلق الله السماء العليا والملائكة....
- وفي اليوم السابع (السبت 29 تشرين أول/أكتوبر) عندما أنهى الرب عمله الذي أراد ، استراح من جميع الأعمال ... وبعد انتهاء الأسبوع الأول ، يبدو أن الربّ قد أحضر الزوجين المقترنين حديثاً **(آدم وحواء)** إلى جنة عدن .
- طُرد آدم وحواء من جنة عدن . ويبدو أن ذلك كان في اليوم العاشر (ب.خ) 1 تشرين الثاني/نوفمبر **(سفر التكوين 3 :21-22)**
- بعد نزول آدم ، كان قايين **(قابيل)** * أول مولود من إمرأة **(حواء)** ، في صيف العام 130 (ب.خ) أو 3874 (ق.م)
- وأعطى الله حواء ولداً آخر **(غير قايين)** سُمّي شيث ، في صيف العام 235 (ب.خ) أو 3769 (ق.م ) - أرسل الله نوحاً كمبشّر صالح للناس في صيف العام 1556(ب.خ) أو 2448 (ق.م) .
- وُلدَ إبراهيم في ربيع العام 2018 (ب.خ) أو 1986 (ق.م) .
- عندما بلغ إبراهيم 86 عاماً ، ولدت له هاجر إسماعيل وذلك في صيف العام 2096 (ب.خ) أو 1908(ق.م) .
- ولد موسى بعد ثلاث سنوات من ولادة أخيه هارون ، أي في العام 2434 (ب.خ) أو1570 (ق.م) - ولد المسيح من مريم العذراء في بيت لحم في شتاء العام 4000 (ب.خ) أو 4 (ق.م ) .

**

*** <u>تعقيب المترجم</u> : نظراً لقتل قايين أخاه هابيل فقد حلّتْ عليه اللعنة وأُخرجَ من تأريخ العهد القديم . وعَوّضَ الله آدم بابن آخر هو شيث .**

**** تبعاً لحسابات أسشر فإن العام 4004 (ب.خ) هو العام الأول بعد الميلاد (Anno = AD Domini) وبداية التأريخ المسيحي .**

**<u>أعمار آدم ونسله وصولاً إلى إبراهيم (ع) كما وردت في التوراة :</u>**

**آدم 930 سنة ، شيث (ابن آدم) 912 ، أَنوش(ابن شيث) 905 ، قينان(ابن أنوش) 910 ، مهللئيل (ابن قينان) 895 ، يارد(ابن مهللئيل) 962 ، أَخنوخ(ابن يارد) 365 ، متوشالح(ابن أخنوخ) 969 ، لامك (ابن متوشالح) 777 ، نوح (ابن لامك) 950 ، سام (ابن نوح) 600 ، أرفكشاد (ابن سام) 438 ، شالح (ابن أرفكشاد) 433 ، عابر(ابن شالح) 464 ، فالج (ابن عابر) 239 ، رعو (ابن فالج) 239 ، سروج (بن رعو) 230 ، ناحور(ابن سَروج) 148 ، تارح (ابن ناحور) 205 ، أبرام (إبراهيم ابن تارح) 175**

**أحفورة من العصر الكمبري (حوالي 500 مليون سنة)**

---

**- <u>جون كولينزو</u> (1814-1883) : كاهن وناشط اجتماعي بريطاني المولد ، تقلّد منصب أسقف في المستعمرة البريطانية ناتال ( جنوب إفريقيا) . وإضافة إلى مهامه التبشيرية ، قام بترجمة الإنجيل وكتب دينية أخرى إلى لغة الزولو المحلية . وكمفكر لاهوتي ، أعاد كولينزو قراءة التوراة وقدّم تساؤلات عما إذا كانت بعض أجزائه ' دقيقة تاريخياً ' . وقد أثارت مؤلفاته هذه ضجة وانتقادات لاذعة له من الكنيسة البريطانية والجنوب إفريقية ، ناهيك عن موقفه في الدفاع عن السكان الأفارقة الأصليين في جنوب إفريقيا وبخاصة شعب الزولو . المقتطف التالي هو أحد النماذج النقدية التي أوردها في كتابه " *البنتاتويش وكتاب يشوع ، تحقيق نقدي* " إصدار عام** 1865.

**The Pentateuch and Book of Joshua Critically Examined, by Colenso, J.W. , London , Longman,1865**

يقول الأسقف كولينزو **:**

في دراستي هذه عن ' *الكتب العبرية المُقدّسة الخمسة* Pentateuch **(أي التوراة)** ' ، التي تُنسب عادة إلى **(النبي)** موسى ، أردتُ أن أضع بشكل جليّ ومفهوم أمام ناظريّ القارئ العادي الحُجج الرئيسية التي تُظهرُ 'طابع هذه الكتب اللاتاريخي' و 'صدورها زمنياً في وقت لاحق' و 'تعدّد

تأليفها' ... فعندما تقرأ مثل هذه الكلمات (في **سفر الخروج** 4:21) التي يُزعَم أنها من الواحد المُقدّس والمُمجّد والخالق المُخلّص لكافة البشرية ' :

*" إذا اشترى* **(المولى عبداً)** *وهو أعزب يُطْلَق* **(يُعتق العبد)** *وحدهُ .... وإن وهبهُ مولاهُ زوجةً وأنجبت له بنين وبنات ، فإن زوجته وأولادها يكونون مُلْكاً لسيّده ، وهو يُطلقُ وحده حراً* " .

أي أن الزوجة والأولاد في مثل هذه الحالة سيكونون تحت وصاية المولى ويكونون عُرضة لما يعبّر عنه السفر بالفقرة التالية **(سفر الخروج** 20:21 -21) :

" *إن ضربَ أحدٌ* **(أي المولى)** *عبدهُ أو أَمَتهُ بالعصا ضرباً أفضى إلى الموت، يُعاقب . لكن إنْ بقي* **(العبد أو الأمة)** *حيّاً يوماً أو يومين ، لا يُعاقب الضَّارِب ، لأنّ العبد ملكه* " .

ويُعلّق الأسقف على هذه الفقرات التوراتية بالقول :

... لن أنسى ما حييتُ ردّة فعل واحد من السكان الأصليين **(الأفارقة)** المسيحيين الأذكياء ، والذي كان يساعدني في ترجمة هذه المقاطع إلى لغة الزُولو Zulu ، عندما عرفَ أن هذه الكلمات قد صدرت عن نفس الكينونة العظيمة والرؤوفة ، الكينونة التي عَلّمْتهُ أنا أن يثق بها ويعبُدها . لقد ثارت عواطفهُ ضدّ مقولة يتحدث فيها الإله الرحيم وأبو كافة البشر عن عبد أو أمَة كمجرد متاع ، وعن سماحه لجريمة رهيبة بأن تمرّ من دون عقاب ، فقط لأن ضحية هذه المعاملة الوحشية قد بقيت بعدها على قيد الحياة لساعات .. .

---

**- <u>متصوّفون يهود مجهولو الهوية</u> :** ( 200 ق.م – ؟ ) **ألّفوا مجموعة من الكتب الدينية المرتبطة بشكل وثيق بالتوراة وسيرة الأنبياء ، من أهمها " *كتاب اليوبيلات* Jubilees " ومجموعة " *كُتب أخنوخ* Enoch " بأجزائها الثلاثة III,II,I (أخنوخ هو الجد الأكبر لنوح) . وقد تمّت ترجمة ما تبقى من هذه الكتب من العبرية والأثيوبية والسلافية القديمة في أحقاب تاريخية متلاحقة . ورغم أن هذه المؤلفات تعتبر حالياً غير كنسية أو مقدّسة لدى الكثير من الطوائف اليهودية ، إلا أن لها مدلولاتها الخاصة في فهم التفسيرات الدينية لدى قدامى اليهود والمُغالين منهم .**

**وإضافة لهذه الكتب ، فهناك كتيبات زوهار** Zohar **، وهي من أهمّ نتاج التفاسير والشروحات الدينية المعمّقة لدى فقهاء القبالاه** Kabbalah **. و القبالاه مدرسة فكرية صوفية تقليدية قديمة جداً ، تعتبر جزءاً لا يتجزء من الديانة اليهودية . وتعتمد فلسفتها على المراجع العبرية الرئيسة في شرح المعاني المُستترة** esoteric **والخفية لنصوص التوراة المختلفة وكتابات الحاخامات الفقهاء - التي لا يدركها عامة الناس - ! ومن اللافت للنظر أن بعض الكتّاب اليهود المعاصرين والمختصين في علوم الرياضيات والإحصاء ، قد بدأوا مؤخراً بالترويج لمثل هذه الأفكار والادَعاء بأن التوراة تتضمن شيفرة سرية ، يمكن الكشف عنها بترتيب معين لأحرف أسفاره المكتوبة بالعبرية . ولعل أحدث ما صدر في هذا المجال كتاب "** ***شيفرة الكتاب المقدّس*** The Bible Code**" 1997 .** ويّدعي المؤلف أن شيفرة التوراة تقدّم مع بعضها كلمات متشابكة وتكشف عن معلومات مترابطة ذات مدلول مثل : ***بيل كلينتون ورئيس ، سفينة فضائية وأبولو 11 ، هتلر ونازية ، كندي ودالاس*** **.. إلخ ( وبتعبير أدق تقدّم معلومات نبوئية مخفية بين أحرف التوراة حدثت بعد ألاف السنين من نزول التوراة !) المقتطفات التالية مختارة من بعض النصوص المترجمة لهذه الكتيبات .**

**T*he Book of Jubilees,* transl. from the Ethiopic by Schodde, G., Ohio : Goodrich ,1888**

***The Books of Enoch*, I ,II, III , transl. from Ethiopic and Slavonic : S.O.A.S. Univ. of London, 2010 .**

***Zohar: Bereshith to Lekh Lekha, transl.* by Nurho de Manhar ,**
***Theosophical Publ. Co., New York, 1914.***
***Sefer Razial Hemelach ,* transl by Savedow,S., Boston , Weiser,2000**

**- من كتاب اليوبيلات**

**<u>العبرية لغة الخَلْقْ</u>**

**(يُفهم من سياق النصّ للكاتب أن كلمات الربّ هذه وصلت لإبراهيم (ع) عن طريق أحد الملائكة!)**

" 27. وقال لي الربّ **:** " *افتحْ فمهُ وأذنيه حتى يتمكّن من سماع وتكلّم اللغة التي أظهرناها ؛ والتي تلاشت* **(تبلّبلت)** *من أفواه جميع أبناء الإنسان* **( بعد خراب بابل)** .

28. *ففتحتُ فمه وشفتيه كما فتحتُ له أذنيه ، وبدأتُ بالتحدّث معه بالعبرية وهي لسان الخَلقْ* creation ؛ *فأخذَ* **(إبراهيم)** *كُتبَ أبيه ، والتي كانت مكتوبة بالعبرية ، فنَسخها وبدأ بالتعلّم منها وقمتُ بشرح كل ما لم يكن قادراً (على فهمه) ، فدرسَ الكتب خلال ستة أشهر أثناء الأشهر المُمّطرة* " .

**- من كتاب أخنوخ I**

**<u>زواج الملائكة !</u>**

1.6 وحدث بالفعل عندما تزايد عدد أولاد الرجال **(أي البشر)** ، أن وُلدَ لهم في تلك الأيام بناتٌ وسيمات وجميلات

2.6 ورآهنّ الملائكة أبناءُ السماء ورغبوا فيهنّ. وقالوا لبعضهم البعض **:** " *تعالوا نختار لأنفسنا زوجات من نسل الرجال وننجبُ لنا منهنّ أولاداً* "

3.6 وقال قائدهم سميازا Semyaza **:** " *لدي إحساس أنكم لا ترغبون القيام بذلك ، وأن أدفع لوحدي ثمن هذا الإثم العظيم* " .

4.6 فأجابوه كلهم وقالوا **:** " *دعونا نُقسم جميعاً ونُلزم بعضنا بعضاً باللعنات بأن لا نُبدّل خطتنا هذه وأن ننجزها فعلياً* " .

5.6 بعد ذلك أقسموا جميعاً ، وألزموا بعضهم بعضاً باللعنات .

6.6 وكان عددهم جميعاً مئتين ، نزلوا **(من السماء)** على أرديس Ardis ، قمة جبل حرمون . وقد أطلقوا على الجبل اسم ' حرمون ' لأنهم أقسموا وألزموا أنفسهم باللعنات على قمته .

7.6 وهاهي أسماء قادة هؤلاء **(الملائكة) :** *سميازا الذي كان قائدهم ، أوراكيبا (أراكيبل) ، رامئيل ، كوكابيبل ، تاميبل ، راميبل ، دانيبل ، إزيكيبل ، باراكيبل ، أسائيل ، أرماروس ، باتاريبل ، أنانيل ، زاكيبل ، سامسيبل ، ساتاريبل ، توريبل ، يوميبل ، ساريبل .*

.....

1.7 وكان أن اتخذوا لأنفسهم زوجات **(من البشر)** واختار كل واحد منهم لنفسه واحدة ؛ وبدأوا بالدخول عليهنّ وكانوا يتبادلوهنّ فيما بينهم . ثمّ علّموهنّ السحر والرُقيّات وكيف يقطَعنَ الجذور والأشجار .

2.7 وحَبلتْ النساء وحَملنَ عمالقة ضخاماً ، كان طول قامتهم ثلاثة آلاف ذراعاً **(حوالي 1370 متراً !!) .**

3.7 وافترسَ العمالقة كل ما في أشراك الرجال **(أي ما اصطاده البشر)** ؛ إلى أن صَعُبَ على الرجال الحفاظ عليها .

4.7 وتحوّل العمالقة إلى الرجال بغية افتراسهم .

5.7 وبدأ العمالقة يأثمونَ مع الطيور والحيوانات والزواحف والأسماك وافترسوا أجساد بعضهم البعض وشربوا منها الدماء .

6.7 فاشتكت الأرض من تمرّدهم .

**- من كتاب أخنوخ III**

**<u>الحاخام إسماعيل مع الذات الإلهية</u>**

يروي الحاخام إسماعيل **( بن إليشا)** ما يلي **:**

1- عندما صَعَدتُ إلى السماء لأنظر إلى طيف ' المَركبة ' Merkaba **(أي مركبة الربّ)** ، دخلتُ القاعات الستْ ، الواحدة داخل الأخرى .

2- وما أن بلغتُ باب القاعة السابعة وقفتُ ساكناً في صلاة أمام ' الذات المقدسة **(أي الرب)** ' ، تمجّد اسمهُ ، رافعاً عيناي إلى الأعلى **( أي نحو الجلالة الإلهية)** ، وقلت **:**

3 – " *سيّد الكونْ ، أصلّي لك ، بحسنة هرون ابن عمرام مُحبّ السلام ومتابعه ؛ والذي تلقّى تاج الكهنوتية من مجدكَ على جبل سيناء ، فكن دليلي في هذا الوقت ، حتى لا يتمكّن* **(المَلاك الرئيسي)** *الأمير قافصيل* Qafsiel *والملائكة المساعدون معه من التغلّب عليّ أو طردي من السماء* " .

4 - وفي الحال ، أرسل لي ' ذاته المقدّسة ' ، تمجّدَ اسمه ، خادمه **(المَلاك)** مطاطرون Metatron أمير الحضور ؛ فجاء بأعلى درجة من البهجة فارداً جناحيه لمقابلتي ولإنقاذي من بين أيديهم .

5 - فقادني مطاطرون من يدي على مرأى منهم ، قائلاً لي **:** " *ادخل بسلام أمام المَلك العالي المجيد ، وت إلى صورة المَركبَة* " .

6 - ثمّ دخلت إلى القاعة السابعة ، وقادني إلى المقام ووضعني أمام ' الذات المقدسة ' ، تمجّد اسمه ، للنظر إلى المَركبة .

**- من كتاب زوهار**

**<u>من هو الحكيم الحقيقي؟</u>**

قال الحاخام الفقيه شمعون بار يوهاي **:**

" *الحكيم الحقيقي في هذا العالم هو من يبلغ مرتبة إدراك وفهم تعليمات كتاب الألغاز* **(الذي يحتوي على العقيدة السرية لكل من أخنوخ وآدم)** *والتي تقع تحت حجاب الرموز والشعارات والاستعارات والألغاز المكتومة عن طالبي العلم ممن تتركز أفكارهم وجهودهم على الظواهر والأمور الزائلة فحَسبْ . فمعرفة الأسرار العظيمة للحكمة الخفية هي حصر على العقلاء وحواريهم* **(تلامذتهم)**، *والتي لا تفشى إلى ' عامة الناس وقطعان الدهماء '* profanum vulgum ، *وتستخدم فقط في خدمة ورفاهية البشرية* " .

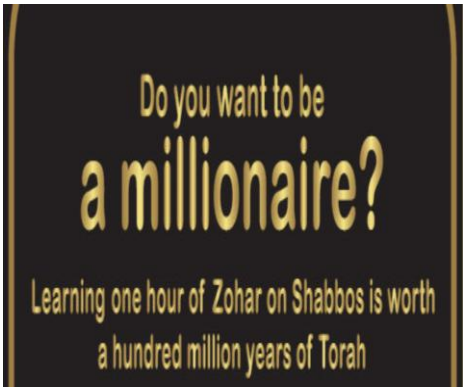


**هل تريد أن تصبح مليونيراً ؟**

**التعلم من الزوهار لمدة ساعة أيام السبت يساوي مئة مليون سنة من قراءة التوراة**

**<u>حياة داود</u>**

وقال الحاخام إسحق **:**

*" وكشفَ الواحدُ القدّوس لآدم أشكال وصفاتَ سلالاته التي ستأتي من بعده ، ومن هم الحكماء والملوك الذين سيحكمون إسرائيل . كما أعلمه القدّوس بأن حياة ومدة حكم* **(النبي)** *داود ستكون قصيرة* . فقال آدم للقدّوس **:** *' خُذْ سبعين عاماً من عمري على الأرض وأضفها إلى عمر داود ' .* وقد أجيب إلى طلب آدم هذا ، وإلاّ كان عمر آدم قد بلغ الألف عام **(يذكر سفر التكوين 5:5 إن آدم مات ولهُ من العمر تسع مئة وثلاثين عاماً ! )** . ولهذا السبب قال داود **:** *' سأُشيد بكلّ ما عملَته يداك لأَنَّك يا ربّ فرّحتني بصَنِيعك* **(المزامير 4:92)** *، ولأنك أسبغت علي البهجة بإطالة أيام حياتي* " .

**<u>سرّ ترتيب الأحرف الأبجدية</u>**

وقال الحاخام خانانيا **:**

*" قبل أن يبدأ الخَلقْ ، كانت الأحرف الأبجدية مُرتّبة بشكل مقلوب ؛ ذلك لأن أول كلمتين في سفر التكوين* **(من التوراة)** *تبدأن بحرف الباء* **(العبرية)** <u>b</u>erashith, <u>b</u>ara *، ويليهما حرف الألف* <u>a</u>lhim, <u>a</u>th . *فلماذا لم يبدأ السفر بحرف الألف ، وهو الحرف الأول ؟ . يعود سبب قلب الأحرف إلى التالي ؛ قبل ألفي عام من بدء خَلقْ الكون ، كانت الأحرف الأبجدية محجوبة ومخفيّة*

*، وتتبع للمشيئة والبهجة الإلهية . ومع ذلك ، عندما شاءت الذاتُ الإلهية خلق الكون ،* ظهرت الحروف أمام القدّوس بترتيبها *المقلوب* .

تقدم حرف التاء أولاً **( حرف التاء أوالتاو هو آخر حروف الأبجدية العبرية حالياً )** وقال **:** *' سيد الكون* **!** *إذا سمحت أن تبدأ خلق العالم* **( أي أول حرف في سفر التكوين)** *من خلالي أنا ، ذلك أنني آخر حرف من كلمة 'إمتْ* emet ' **(وتعني الحقيقة)** *، وهي الكلمة المحفورة على خاتمك . وأنت نفسك تُدعى ' إمت ' . فأجاب المقّدس ، تباركَ اسمه :' أنت ، يا حرف التاء جدير بذلك حقاً ، ولكن لا يمكنني خلق الكونِ من خلالك .. ذلك أنك أيضاً مرتبطٌ بكلمة ' مافتْ* Mavet ' **(وتعني الموت) ' .**

وبعد ذهاب حرف التاء ، تقدم حرف الشين وقال **:** **"** *سيد الكون ، أتضرّع إليك وأنا أحمل اسمك العظيم شدّاي* Shaddai **(وتعني القادر)** *، أن تخلق العالم من خلالي* **"** . فقال الواحد المقدّس **: "** *أنت ، يا حرف الشين جدير بذلك حقاً كونك طاهراً وواقعياً ، ولكنك تدخل مع حرفي القاف والراء في تركيب كلمة شيقير* sheqer **( وتعني الكذب والزيف)** *، ولهذا السبب لن أخلق العالم من خلالك . وهكذا اختفت أحرف الشين والقاف والراء من الساحة* **"** .

وقال حرف الميم **: "** *ستدعى من خلالي' ميليخ* Melech ' **(وتعني المَلك)** .
**"** *هذا صحيح* **"** ، أجاب الإله ، **"** *ولكني لن أخلق العالم من خلالك لهذا السبب . عدّ حالاً إلى مكانك مع زملائك حرفي اللام والخاء ، ذلك لأنه يتوجب أن يكون هنالك ملكٌ ؛ فالعالم بلا ملك لن يكون تاماً وكما يجب أن يكون* **"** .

**..... (وعلى نحو مشابه ، فشلت غالبية الحروف العبرية الأخرى في إقناع سيد الكون بأن يخلق العالم من خلالهم )**

وكان أن جاء دور حرف الباء الذي قال **: "** *اخلقْ العالم من خلالي ، لأنني الحرف الأول من كلمة بيراخا* beracha **( وتعني البركة)** *، وعن طريقي سيمجدك الجميع في العالمين العلوي والسفلي"* .

**"** *في الواقع يا حرف الباء* **"** ، قال الواحد القدوس **: "** *سأخلق العالم من خلالك* **"** .

وعند سماعه هذه الكلمات ، بقي حرف الألِف في مكانه ولم يتقدم إلى حضرة القدوس ، الذي خاطبه : " *ألف ، ألف ، لم لا تتقدم أمامي مثل بقية الحروف* ؟ " . عندها أجاب الألِف :

" *السيد والمهيمن على الكونْ ، لقد لاحظت أن جميع الحروف قد أخفقت في سعيها* **(باستثناء الباء)** . *فلمَ أقف أمام حَضرَتك بعد أن منحتَ الباء الهدية الثمينة والكبرى ، التي تُقنا إليها ورغبنا فيها جميعاً. وعلاوة على ذلك ، لا يليق بملك الكَون أن يسحب هداياه من أحد رعاياه ويعطيها لآخر* " . وردّاً على هذه الكلمات ، أجاب الواحد القدّوس :

" *ألِف ، ألِف* ! *ستكون أنت الأول من بين جميع الحروف وستتمثلُ وحدانيتي حصراً من خلالك . ففي جميع الأفكار والمفاهيم البشرية والإلهية ، وفي كل فعل وعمل بدأ أو أنجز أو انتهى ستكون أنت أوله وبدايته.*"

" *ولهذا* " **(يتابع الحاخام خنانيا حديثه)** " *جعل الواحد القدّوس أحرف الأبجدية السماوية استهلالية* ***(كبيرة)*** *والأحرف الأرضية صغيرة كل واحد متطابق مع الآخر . ولهذا أيضاً استهلّ سفر التكوين* ***(باللغة العبرية)*** *بكلمتين تبدأن بحرف الباء ' براشيث ، بارا* Berashith, bara ' **(في البدءْ خَلقَ)** *ويليهما كلمتين تبدأن بحرف الألف ' ألهيم ، أت* Alhim, ath ' **(الله ، جوهرهُ)** *ليبيّن أن أحرف الأبجدية السماوية والأرضية واحدة تشكّلَ من خلالها كل شيء أو مخلوق في هذا الكون* " .

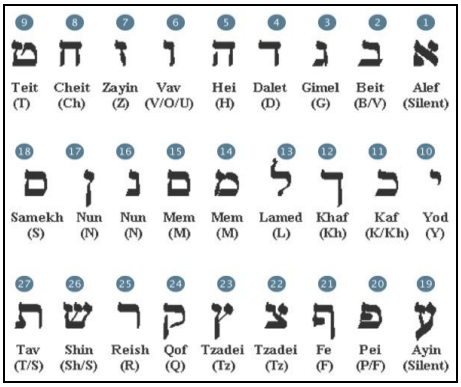


**الأبجدية العبرية بعد كشف غموضها في سفر التكوين**

**- من سفر رزائيل**

**<u>صلاة آدم ، الرجل الأول</u>**

هذه صلاة آدم بعد طرده من جنة عدن . ومن خلال صلواته بطلب الرحمة ، أُعطيَ الكتابَ المُقدَس رحمة من الرب . تكلم آدم قائلاً : ربي ، إله الكون السرمدي ، لقد خلقتَ الكون بسلطتكَ ومجدك . المملكة الأبدية الجمال ، والمُتنقلة من جيل إلى جيل . فلا شيء مجهول ولا شيء مخفي عن ناظريك . لقد خلقتني بيدك لأبسط السيطرة على جميع المخلوقات الحية وأسُودَ على الأفعال . لقد خدعَتْ حية الشجرة الماكرة والملعونة زوجتي وخدعتني بالكذب ، وحرفتنا لأكل فاكهة شجرة المعْرفة . وأنا لا أعرف مآل زوجتي ومآلي ومآل ابني والأجيال اللاحقة .

أنا عاص وأحمق ، هارب أمام سلطانك ، لا أجيبُ ولا أرفع ناظري خجلاً من الخطايا والشرور والإثام .... ؛ وأنا التمس نعمة الرأفة ، فتمهَل بغضبك وأظهر رأفتك مع صعود الصلوات إلى عرش مجدك .

[وبعد] أن صلى آدم ثلاثة أيام ، أرسل الله المَلك رزائيل ، الذي سلمَ آدم الكتاب [ المقدس] قائلاً له : " لا تخفْ ولا تندب بعد الآن ؛ فمنذ أن انهمكت في الصلاة ، تمَ الاستماع لصلواتك . لقد جئتُ لأعلمك كلمات الطهارة والحكمة الكبرى . لتصبح حكيماً من خلال كلمات الكتاب المقدس . كلمات تبوح إلى يوم الممات .....

وأخذ آدم الكتاب من رزائيل . واضطرمت نار هائلة على ضفة النهر . وارتفعَ الملاك في اللهيب عائداً إلى السماء . وأدرك آدم أن رزائيل قد أُرسلَ [إليه] من الربَ (إلوهيم Elohim) . تظهرُ كلمات الكتاب [المقدس] الأعمال التي يتوجَبُ [على آدم] القيام بها للوصول إلى النجاح في العالم .

على مدى ثلاثة أيام ، قُبيل ظهور القمر ، استعدَ بالصوم . لا تشربْ خمراً ولا تضَجعْ مع زوجتك . إغتسلْ في البحر قبل بزوغ الشمس . ثمَ احضِر يمامتين واذبحهُما بسكين نحاسي ذي حدَين . إذبحْ اليمامة الأولى بأحد الحدَين ثمَ اليمامة الثانية بالحدَ الآخر . إنزع أحشاءهما وأغسلها في البحر . أحْضِر ثلاثة مثاقيل (جمع مثقال) من خمر معتق وصمغ شجر اللبان وقليلاً من العسل الصافي والرائق . امزجها جميعاً مع بعضها البعض ، واملأ بها بطون اليمامات . ثمَ اقطع اليمامات إلى قطع وضعها فوق فحم مشتعل ، قبيل شروق الشمس ، كذبيحة صاعدة * (أي كقُربان إلى الربَ) ..

*** أنظر أيضاً سفر اللاوي1 / التوراة . ( الذبائح الصاعِدة . هي الذّبائِح التي تقدَم لاسترضاء الربَ في الديانة اليهودية ، ومُعظم هذه الذبائح كانَت تحرَق بالنار علَى المذبح )**

---

**- شارلز فولن آدامز ( 1842- 1918 ) : شاعر أمريكي يتسم شعره بالدعابة والسخرية . بدأ كتابة أشعاره في الصحف والمجلات عام 1872 ، مستخدماً اللهجة الألمانية الشعبية الممزوجة بالإنجليزية كتعبير عن "رطانة " المهاجرين الجدد وبخاصة اليهود في أواخر القرن التاسع عشر . من أشهر قصائده " ليدل يافكوب شتراوس Leedle Yawcob Strauss " و " قصة أنف A Tale of a Nose " اللتان أثارتا حفيظة اليهود لإبرازهما الصورة النمطية لهم .**

***Leedle Yawcob Strauss* by Adams C.F., Boston, Lee & Shepard Publ., 1878**

*** ملاحظة المترجم : أدخلت بعض التعديلات البسيطة ، عند ترجمة " قصة أنف" إلى العربية ، بهدف جعلها مناسبة ، قدر المستطاع ، للإيقاع العربي ، ومع الحفاظ على مضمون القصيدة الأساسي .**

**قصة أنف**

واقعة قاسية تلك التي حَدثتْ في لِينْ * [* مدينة في ماساتشوستس/ الولايات المتحدة]

ألم تسمع بها ؟ حسن سأرويها لك الحينْ

هناك في تلك المدينة يهودي ، يسمونه " العجوز مُوز "

يتاجر في الثياب البالية لتفادي العوز

***

واسم " مُوز" هذا ، مُختصرٌ من " موزِسْ * " [ * النبي موسى بالإنجليزيه Moses ]
أنفهُ هو الأكبر من بين الأنوف
له حدبة .. وشكله معقوف
وبه يستمتع " موز " بتنشَقِ العُطوس .

***

ذات يوم ، أوقعَ " موزِّس" نفسه في مَعمَعه
مع فتى يافعٍ السنَ ، كان قدَ " لطَشَ" حَرمَه
ضربَ العجوزُ الفتى بمنخسٍ ، فأخطأه
لكن " موزِّس " جَدَع أنفهُ المعقوف فأتلفه .

***

التقط العجوز بقايا أنفهِ في الحالْ
وأعاده إلى موضعه بلا إمهال
لفَ " موزِسْ " أنفه بضُمادة كبيره
لكي يُعيد لحمَهُ في وجههِ بلا جبيره

***

واحسرتي على أنف " موزِسْ " ، في ذلك الحدَث الجَلَلْ
وما قام به في ذلك اليوم ، على عَجلْ
إذ تبيَن أن أنفه المعقوف ، بعدما كان بَرأ
ركَبهُ مقلوباً على وجهه ، يا للخطأ !

***

ومع أن كل ضارةٍ قد تكون نافعه ..

عن أنفه المقلوب ، يقول " موز " في ضحكةٍ مخادعة

ركبتهُ بالعكس ، كي أزيد من كمَ نُشوقي

إذ لم يكن ، في الأصلِ ، ما أشمَهُ يروي عروقي

***

وبالمناسبة ، شيء واحدٌ تفادى أن يقوله

إن وضع أنفه الجديد قد صار أتعس

صحيح أنه يتنشقُ العُطوس في سُهوله

لكن عليه الآن الوقوف على رأسه ليعطس .